الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر
معهد الآثار

رسالة لنيل شهادة الماجستير
في الآثار الإسلامية

المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني

(المساجد ــ الأضرحة ــ المساكن ــ الحمامات)
ــ دراسة معمارية أثرية ــ

إعداد الطالبة :
سعاد بن شامة

إشراف الأستاذ الدكتور :
عبد العزيز محمود لعرج

السنة الجامعية : 2008 ــ 2009

*** بسم الله الرحمان الرحيم ***

... اهداء...

إلى كل من ورث الأدب خلقا ...

و إلى كل من تشبع بالروح الأثرية ...

حتى أضحى عطر الأتربة قمـــة ذوقـــه .

أساتـــذة ، طلبـــة و هـــواة علـــم الآثـــار .

شكر و إعتراف بالجميل*

إعتراف منا بأن هذا العمل لم يكن ليتم لو لا تلك المساعدات
التي أشكر أصحابها شكرا منقطع النظير ؛ بدءا بالأستاذ المشرف ،
الدكتور عبد العزيز محمود لعرج ، الذي قبل الإشراف على الرسالة
و قد تمكنّت من الأخذ عنه ما يخدم البحث العلمي و الأثري و كان معطاءا
حريصا على العلم و الأخذ به . كما أحفظ للأستاذ محمد الطيب عقاب
توجيهاته و المعلومات التي أمدني بها و التي تتجاوز قدرا من أن تثمّن .

و أشكر و بشكر خالص أصحاب ــ ملاّك ــ المعالم المدروسة ، من دور
و حمامات . أذكر السيد يزيد . ع و السيد لعروسي ، و عمي عمر و عائلته .
ولا أنسى موظفي مديرية الثقافة لولاية البليدة ، أخص بالذكر الآنسة: نبيلة . ق.ح ،
و السيد: ناصر.م. و كذا بلدية البليدة و موظفي مكتبتها .

و كل من ساهم في إنجاح هذا العمل ؛ سارة و يوسف .
و من دعى لنا بالقبول .

مقدمة :

بعون الله و الحمد له أن وفقنا إلى هذه المساهمة العلمية ، التي نرجو أن تنضم إلى سلسلة الأبحاث الأثرية . فأهمية هذا البحث تظهر في جوانب عديدة و هامة لأنها تمس العمارة الإسلامية الدينية و المدنية بما فيها المساجد و الأضرحة ، الدور و مساكن الأحياء ، الحمامات العامة و كذا الخاصة ، في فترة هي الأخرى لا تقل أهمية في السلسلة التاريخية للجزائر ـ المغرب الأوسط ـ و هي الفترة العثمانية التي نالت منها مدينة البليدة حظّها من الإنشاء و التعمير .

إن إشكالية هذا البحث التي نعرضها هنا تتنوع بحسب تنوع محاوره ، فكل فصل من فصوله يمس جانبا من جوانب العمارة الإسلامية ؛ بدءا بعمارة المساجد . فهل صيغت هذه الأخيرة بمدينة البليدة في العهد العثماني وفق تخطيط مساجد الفترة العثمانية ؟ و هل سيقت ملحقاتها على منوال ذاك التخطيط أيضا ؟ و ماذا غلب على ميزاتها ؟ وهل نلمس في مساجدها تأثرها بتلك السابقة للعهد العثماني ؟ و لماذا إنحصر نمط المساجد على المسقطين المتطاول ـ المستطيل ـ إلى جانب المسقط المربع ـ و هل لذلك دلالة على أهمية المسقط من حيث تجاوبه مع كيفية تأدية الصلاة الجماعية و صدارة المحراب و المنبر و بالتالي الإمام ؟ . أما فيما يخص الأضرحة فإن ما نريد الإستفهام عنه هو ؛ وفق أي مخطط أنشأت تلك الأضرحة ؟ و هل تعبّر عن نمط العهد العثماني في إنشائها أم أنها تستمد تخطيطها من أضرحة سابقة للعهد المذكور و في كلا الحاليتين ، هل تجاوب تصميمها مع خصائص العمارة الإسلامية ؟

و عن عمارة الدور ، عمارة الإستقرار الأسري ، هل تبنى حقا المعمار بمدينة البليدة نمط الدور التي تتوافق و توجهه الديني ـ الفكري – الإجتماعي ـ ؟ و هل استوعب هيئة التصميم العثماني و انسجم مع تقاليده المحلية و تمكّن من تجسيده وفق ما أملته الظروف المادية و المناخية ؟ و لماذا التوجه نحو الداخل بالذات في عمارة المساكن و الذي نراه ميزة أساسية للمسكن الجزائري في العهد العثماني و هل نلمس أيضا تأثير و استمرار فن عمارة المساكن الإسلامية لما قبل العهد العثماني بالجزائر ؟

أما عن عمارة الحمامات و بالأحرى عمارة التنعم ، فإن أهم ما نبسطه كركيزة لفهم هذا النوع من العمائر هو إشكال : هل حافظت حمامات مدينة البليدة على تسلسل القاعات الرئيسية و التي

عهدناها في حمامات إسلامية أخرى ؟ و هل استمر نمطها ليجسد قاعدة معمارية ضرورية في انشاء الحمامات و ما أهمية ذاك التسلسل و ما دوره ؟

إن أهم ما يجمع هذه المحاور تساؤل عام شامل نصوغه في : هل عمارة مدينة البليدة في العهد العثماني تعبيــر نوعي ــ بغض النظر عن الحجم و الذي تتحكم فيه عوامل أخرى ــ و تأكيد على وحدة الفن المعماري الإسلامي الذي بدت إرهاصاته في صور العمارة الإسلامية المبكرة بنوعيها الدينية و المدنية .

و ككل بحث علمي تعترض الباحث صعوبات ــ إلا أنها لا تثني من عزيمة و لا تنقص من إرادة و ليست مطية نبرر بها جوانب النقص و الهفوات ــ منها أن المعالم المدروسة ملك لخواص تعذّر في بعضها القيام بالرفع الأثري ، هذا مــن جهة و من جهة أخرى فإن تنــوع العينات المدروسة و تعدّدها فرض تركيزا على كل نوع منها . إضافة إلى ندرة المصادر و المراجع التي تتطرق إلى تاريخ مدينة البليدة تحديدا و كذا عدم العثور على بعضها في المكتبات ، رغم ما تلقينا من توجيه إلى أهميتها و بالتالي إقتصرنا في تحديد تاريخ المنطقة على مراجع قليلة ، كان من أهمها كتاب الفرنسي تريملي ــ trumelet ــ و مراجع أخرى منها لناصر الدين سعيدوني و حمدان بن عثمان خوجة .

يعتمد منهج البحث على جانبين أساسيين متكاملين ؛ هما الجانب التطبيقي و الجانب النظري . يشتمل الجانب التطبيقي تصوير المعالم المدروسة و كذا أخذ مخططات لها و ما تعذر علينا في ذلك لأسباب عدّة ، إستعنا بمديرية الثقافة لولاية البليدة . أما الجانب النظري فهو كل ما تعلق بالمادة التي خدمت البحث بالتحليل و التوسيع و التي إعتمدنا عليها في المقارنة من حيث ربط المنشآت تاريخيا و تحليل مخططاتها و تصاميمها و عناصرها المعمارية . و قد حرصنا على أخذ عينتين من كل نوع من العمائر المدروسة ، محاولين إضفاء نوعا من التوازن على البحث ، لغرض مس مختلف مميزات عمارة مدينة البليدة في العهد العثماني .

تم تفصيل البحث وفق منهج علمي ضم مدخلا : إفتتحنا به لنبرز مفهوم العمارة الإسلامية و كذا الجوانب التي مستها العمارة العثمانية في الجزائر تحديدا .

ثم الفصل الأول : جعلناه دراسة تاريخية لإقليم الجزائر من القدم إلى الفتوحات الإسلامية إلى آخر مرحلة من مراحل حضارتها ، المتمثلة في فترة الحكم العثماني ، مع التركيز على منطقة متيجة و كذا مدينة البليدة و أهم المعالم المعمارية فيها .

أما الفصل الثاني : فشمل دراسة عمارة المساجد و الأضرحة ، لمسجدين و ضريحين بالوصف و التحليل ، مبينين أصل ، انتشار و أهم مميزات هذان النوعان من العمائر .

أما الفصل الثالث : خصصناه لعمارة الدور و مساكن الأحياء ، بحيث سلطنا الضوء في عمارة الدور على عينتين ، تشتركان في خصائص كثيرة ، الى جانب مساكن الأحياء التي تجمعها خصائصها المميزة .

و شمل الفصل الرابع : دراسة وصفية و تحليلية لعمارة الحمامات بنوعيها العام و الخاص . مركزين في ذلك على نموذجين و هي من النماذج الكثيرة و المنشرة في مدينة البليدة ، و التي تتفق في مميزات كثيرة و تختلف في أخرى .

و احتوى الفصل الخامس : تفصيل للعناصر المعمارية بأنواعها من حيث أصلها و ابتكارها و أهميتها في المبنى .

أما الفصل السادس و الأخير فخصص لمواد و تقنيات البناء ، و نشير أنه من التقنيات ما أمكن تصويرها و أخرى تعذر فيها ذلك للإصلاحات التي تمت على البناءات .

و ختمنا البحث بخاتمة ، بمثابة شبه خلاصة لعمارة الجزائر في العهد العثماني ، مبرزين فيها خصائص الفن العثماني الذي تنعكس فيه خصائص الفن الإسلامي بإعتباره مرحلة من مراحله .

ألحقنا هذا البحث بملحق يشمل مختلف المعالم الأثرية على مستوى بلديات ولاية البليدة . كما تضمن إرسال خاص يؤكد الجهود المبذولة على مستوى الولاية لتصنيف بعض المعالم الأثرية .

مدخــل

ـ العمارة الإسلامية .

ـ صدى الفن المعماري العثماني .

العمبرة الإسيمت :

العمارة ــ بكسر حرف العين ــ هي ما يعمر به المكان و المكان العامر هو كل مكان ذو عمارة ، كما يقال لساكن الدار عامر ، و المعمر ــ بفتح حرفي الميم و سكون العين ــ هو المنزل [1]. و اذا أردنا إعطاء تعريفا بسيطا للعمارة ــ بكسر العين ــ فهي فن البناء و العمارة ــ بفتح العين ــ هي البناء الكبير و قد أعطاها ذوي الإختصاص تعاريفا مختلفة و متعددة ، فمنهم من يركز على البناء ككتل و أحجام و منهم من يرى في أوليات وجودها الدور النفعي، و لو اعتمدنا على صورة العمارة لظننا أنها كتل صماء و بالتالي نخطأ التقدير ، لكن بالتعامل معها نستنبط معنى لكل جزء من أجزاءها و بالتالي نتمكن من أن نوافيها حقهــا في التقدير و التثميــن . و تحمل العمارة معان مادية واقعيــة و أخرى فلسفية جمالية ، التمازج بينهما ركبه الفكر الهادف الهادئ ، كما قيل " المهم هو انجاز عمارة واعية لدورها من حيث النوعية و العلاقة المؤسسة بين القديم و الحديث "و" إن إنتاج القطعة المعمارية يشترك فيه كل من العلم و الفن و يزيد نصيب كل منهما حسب الهدف من البناء"[2].

من سنة الخلق أن لا يمكن للإنسان أن يعيش بمعزل عن غيره ، فالسنّة مكنت له الإجتماع ، الذي يحصل بالأنس بين الأفراد و يكفينا غنى ما نستقيه من ابن خلدون في نظريته الساطعة في فهم العمران و العمارة ، حيث يقول "... العمران هو التساكن و التنازل في مصر أو حلّة للأنس بالعشير و إقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش ." [3] فبعد الإحساس بضرورة الإجتماع تأتي دوافع إستغلال ما في المحيط للمأوى و السكن . و قد وفق الإنسان و عرف إنجاز حيّز و حقق كيانا معماريا ، فاتخذه سكنا و برهن على إمكانية توطيد العلاقة بينه و بين مكانــه و بنى أيضا معبــدا و لم ينس أن يحقق لوجوده منشآت أخــرى تكمل هذا و ذاك في مناحي حياته ؛ منها ما تنظــم حياته الإجتماعية و منها مــا يتعلق برفاهــه كالحمامات مثلا . و هي كلها منشآت تختلف تصميما ، حجمــا و وظيفة و كانت من أولى خطوات إقامة هذه المنشآت * التي لازمته فيها عواملا حتمت الصياغة

---

[1] ــ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،الطبعة الثالثة ، 2004 . ص 279.

[2] – فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، 1970 .ص .47.

[3] – عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، في أيام االعرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، بيروت ، ص.53.

* كانت فيها المساكن كهوفا و مغارات و أغصان أشجار إلى طين و حجر.

المعمارية . " فمن العمران ما يكون بدويا و هو الذي يكون في الضواحي و في الجبال و في الحلل المنتجعة في القفار و أطراف الرمال و منه ما يكون حضريا و هو الذي بالأمصار و القرى و المدر* للإعتصـــام بها و التحصن بجدرانها ..."[1] فالمنشـــآت المعماريـــة اذا هي تلك العناصـــر المتكاملة و المترابطة التي تحقق إستقرار الأفراد فيها و بالتالي إستقرار المدينة .

تمكن الإنسان بنضجه و وعيه ؛ من أن يصمم ما يتماشى و العوامل المناخية في المناطق الصحراوية و بما يتناسب و عطاء المنطقة و هو ما كان بجزيرة العرب التي لم يعترف لها البعض بقيام حضارة فيها و من الآراء المضادة لمعرفة العرب للعمارة ، ما قاله لامانس " يبدو أن أغنى أصحاب الأموال من قريش و على الأقل في الفترة السابقة للإسلام ، كانوا يعيشون في مساكن فقيرة..."[2] . و لامانس هنا من جهة ينفي معرفتهم للإنشاء و من جهة أخرى يذكر مساكنهم ، نؤكد أن الباحث الأثري ، لا يهمه الحجم و الضخامة و الترف ، انما الذي يهمه هو تأكيد معرفة الإنسان العربي لتصميم معماري حقق به مساكنا آوته كما أن فقر المساكن ليس مقياسا لنفي و جودها و يبقي أمر الغنى أو الفقر حسب إمدادات الطبيعة و الشروط المادية للوسط الطبيعي . كما ينحى كريزول ذاك المنحى فحسبه " أن العرب قبل الإسلام و أثناء نزول الوحي لم تكن لديهم من العمارة أو الفنون شيء "[3] في محاولة لتأكيد أنه لم تكن لديهم أصلا الرغبة في البناء و لم يتوقوا إلى ذلك و أنهم لما أرادوا البناء استعانوا بمعماريي شمال الجزيرة العربية و في الشام خاصة . و يشير طاهر المظفر العميد إلى أن الفاصل في الأمر هو الأبحاث الأثرية[4] ، ما دام لم تكفهم نقوش سبأ و اليمن و سد مأرب و مادام لفظ العمارة ليس واضحا في أذهانهم " و هي عندهم محصورة في تفاصيل و زخارف و أناقة البناء و عظمته " و يؤكد أن " جوهر العمارة ؛ هو التخطيط العام للمبنى و في توزيع وحداته الرئيسية التي يتكون منها ذلك التخطيط ، أما التفاصيل و العناصر و الزخارف فهي المظهر الخارجي ، الذي ينعكس عليه تفاوت درجات الأناقة و الثراء "[5] أمام هذا ، تعتزم بيوت النبط في الشمال و سد مأرب في الجنوب[6] أن تشد فكر الباحثين إليها و ما إهتدى إليه فنانو الحيرة في تطوير فن عمارتهم .

---

(1) ــ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص . 53.

* المدر هم سكان القرى و الامصار و العرب تسمي القرية المدرة .

(2) ــ طاهر المظفر العميد ، تخطيط المدن ، ص . 102 .

(3) – للاستزادة انظر ، طاهر المظفر ، نفس المرجع ، ص. 102 .

(4) ــ طاهر المظفرالعميد ، المرجع السابق ، ص. 104.

(5) ــ نفسه ، ص. 104 .

(6) ــ حسني محمد نويصر ، الاثار الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، ، القاهرة ، 1998 ، ص. 10.

ليأخذ طرازا حيريا إستمر إلى العصر الإسلامي [1] . و يذكر المسعودي أن المتوكل العباسي إتبع في بناء قصوره نظام البناء المعروف بالحيري و الكمين و الأروقة[2] و هو تعبير دقيق عن إمكانية تحقيق نماذج معمارية بالغة الدقة والتفنن في التصميم المعماري و إنه لدليل على أن العرب في جزيرتهم عرفوا بناء المنازل و المساجد و عرفوا حتى مظاهر التحضر الأخرى كتزويق الملابس مثلا[3].

و بعد إنتقال المسلمين من شبه الجزيزة العربية إلى مناطق أخرى ، حيث كانت العمارة في أوج صورها سواء تلك التي خلفها سابقيهم أو التي برع فيها جيرانهم ، إتسمت بالكمال ــ إن صح التعبير ــ و حمل المسلمون معهم فنهم الذي بدى أمام غيره بدائيا ، لكنه أصيل لديهم ، أنصفه يحي و زيري ، اذ قال " أن الفن الإسلامي أخذ قوامه الروحي من وسط شبه الجزيرة العربية " [4] و بإعجاب المسلمين و تقبلهم للفن المعماري الأجنبي عنهم " أخذ قوامه المادي " [5] على حد تعبير نفس الكاتب و أصبح" للعمارة الإسلامية شخصيتها و طابعها المميز "[6].

أما ايلي لومبيز فله ما يقوله في هذا الشأن : " بعد الإستقرار ... بدأت تتبلور أنماط من الفن الهادئ في مختلف الميادين و كان أبرزها المسار الجديد لفن العمارة ...و بدؤوا فعلا بعملية جديدة و هي إضافة خبرات معمارية منظمة و استجلبوها من مختلف أرجاء إمبراطوريتهم ، لهدف محدد ، مزج عمارتهم الأصيلة بالعمارة الغربية الطراز و ذات الصبغة الدينية ..." [7] كما عرف الفن الإسلامي وثبة هامة تجلت في قرن من الزمن ببداية فوضوية على حد ــ إيلي لومبيز ــ في القرن

---

[1] ــ حسني محمد نويصر ، المرجع السابق ، ص . 10.

[2] ــ عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ج 2 ، الاسكندرية ، 1993. ، ص . 301.

* الكمان : ميمنة و ميسرة ، الحيرة : على صورة الحرب و هيأتها

[3] ــ حسني محمد نويصر ، المرجع السابق ، ص . 10.

[4] ــ يحي وزيري ، موسوعة عناصر العناصر الا سلامية ن الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي ،1999 . ص 16.

[5] ــ نفسه ، ص .16.

[6] ــ أبو صالح الألفي ، ، الفن الإسلامي ، ص .121.

[7] ــ ايلي لومبير، تطور العمارة الإسلامية في اسبانيا والبرتغال و شمال افريقيا ، دار آسبا ، بيروت،1985م .ص .27.

السابع الميلادي و التي هدأت في القرن الثامن الميلادي [1] و اعتبر الفن العربي الإسلامي اذا ثمرة الفتح ؛ نبت و تربى في ظل الحضارة الإسلامية و في مختلف أقطارها فهو " أطول الفنون عمرا و أوسعها إنتشارا ، ساد خلال اثنتى عشرة قرنا بلادا أولها الصين و آخرها على المحيط الأطلسي " [2] و كتب له أن يلقى نفس الإهتمام في آخر طور من أطواره في الحضارة العثمانية .

صدى الفن المعماري العثماني :

إن الفن العثماني ما هو إلا جزء من الفن الإسلامي ، حصيلة جهد واع واكب أزمانا و لما نضج و اتضحت معالمه العثمانية ، انطلق من مقره في تركيا ، ليصل إلى الحدود الغربية للجزائر ، مخترقا في ذلك الحدود المتنوعة و لم يكترث بالعوائق الجغرافية ، ساعدتـــه في ذلك عوامل سياسية و إقتصادية و أنجزت هنا و هناك عمارات و عمارات *.

إن متعة دراسة المعالم العمرانية العثمانية تكمن في ذاك الإمتزاج بيـــن الكتل المعمارية و رسائلها المعنوية ، يتتبعها المعماري في مراحل و كأن البناء خلصت صورته النهائية في ذهنه ، ليضع على تربة هيكل لا يخلو من الراحة و الجمالية ، هذه الأخيرة التي يعرّفها أحد الباحثين على أنها عملية تفاعل الإنسان مع العمل الفني.** و إن ما تجسد من معالم في الجزائر خلال العهد العثماني لدليل على قيمة و رسوخ هذا الفن الذي كان له مـــا أعطاه و قدمـــه للمساجد و المساكـــن ، الفنادق و المقاهي و غيرها كثير. و بلغ صــــداه إلى أن لمسناه في التأثيـــر على التصاميم و الأشكال المحلية و ما أدخلت عليها من بصمـــات الفن العثماني ؛ فالعمارة العثمانيـــة عمارة إستندت على " المعرفـــة و العلوم التقنية و التطبيقية و تميزت بحسن تنظيم المكان و توازن الكتل ..." [3] و حتما كان هناك انسجام بين فن تركيا و الفن المحلي الجزائري ، مما سمح بأن يأخذ المحليون عن هذا الفن و كلهم إقبال عليه متوافقا مـــع ذوقهم الجزائري و متداخلا متمازجا مـــع رغباتهم الإجتماعية ، و تعاملـــوا

---

[1] ــ ايلي لومبيز ، المرجع السابق ، ص .28.

[2] ــ عبد القادر الريحاوي ، مدينة دمشق ، تراثها و معالمها الاثرية ، دمشق .1969 . ص .105 .

* العمارة بكسر حرف العين هي العمارة الصغيرة و بفتح حرف العين تعني العمارة الكبيرة .

.** قول للاستاذ عبد العزيز محمود لعرج .

[3] – الصفصافي أحمد المرسي، استانبول عبق التاريخ ، روعة الحضارة ، دار الآفاق العربية .1 ،1991 م، ص .102.

معه بكل وعي ، هذا ما يفسره ، تمكن الفن المعماري العثماني من أن يجد مساحة مدنية و اجتماعية لفنيات عناصره .

إن المتفحص لما أنجز في الفترة العثمانية في بلاد الجزائر ، يلاحظ بحق البصمة العثمانية ذات الذوق الخاص و التي خلّفها هؤلاء و يكاد يصعب تكرارها و حيـــن نشيد بعمائر الفترة العثمانية و التي وصل صداها إلى مدينة البليدة ، لا نقصد به العدد الجمّ و الحجم الضخم و الرفاه الفائق فالعمارة العثمانية لم تبلغ هذا المبلغ في الجزائر ، مقارنة بمصر و الشام ، حيث كان لعاملي الإضطرابات السياسية و الفتن الداخلية أثرهما الحساس في ضعف الإقتصاد و بالتالي العمران بالجزائر في تلك الفترة [1] و هو ما يذهب إليه مبروك مهيرس ، حيث يرد بساطـــة المعالم العثمانية و قلة زخرفتها إلى اللاأمن و اللاإستقرار بالجزائر و خاصة بالغرب الجزائري ، حيث كان للأحداث الداخلية أثرها السلبي على العمارة و الفن ، فميزانية الدولة كانت تخصص للجهاد و هي من العوامل التي أحالت دون ازدهار الفن العثماني بالجزائر .[2]

هناك نواح أخرى ساهمت في ضعف كيان الفــن الإسلامي عامـــة و ليس العثمانـــي فحسب و قللت من الإبداع و هو الغزو الفني للبلاد الإسلامية من أوربا ، الذي حدث في القرن التاسع عشر ، حيث توغلت تيارات فنية دخيلة على العمارة و الزخرفة و هي فني الروكوكو و الباروك [3] و اللذان انجذب إليهما الفنان العربي المسلم لينهي بنفسه إرثه الفني الإسلامي الذي أفقده إمتيازه بفقدان تميّزه .

تأتي الفترة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر و التي كان همّ المستعمر فيها طمس المعالم ذات الصبغة الإسلامية ، بتحويل معظمها إلى ما يخدم مصالحه . فتحولت جوامع و قصور الدايات إمّا إلى دور للحكومة كقصر العسكرية و دار الكتب ، أو كنائسا كالجامع الكبير بقسنطينة و جامع علي بتشين إلى كنيســة بروتستانتية و جامــع كتشـــاوة إلى كاتدرائية كاثوليكية و ما هي إلا نماذجـــا من العمائر

---

[1] ــ عثمان الكعاك ، ص . 310.

[2] ــ مبروك مهيرس ، المساجد العثمانية بوهران و معسكر ، 1402.1401 ، دراسة معمقة ، جامعة الجزائر ، 1981-1982 ، ص . 211.

[3] ــ الصفصافي ، المرجع السابق ، ص . 102.

* الروكوكو هو الفن الأجنبي الوافد من فرنسا أما الباروك فمن ايطاليا.

التي تم إستغلالها[1] .

و خِشِ ما وخهضإنِ ه ، ما وسد نداعمانذباغ [2]ڨىنه " العشان و العمابخظفح عامةبإذاع فكشي وف ىً لِوغا ّوثّرشلفانهفلش كمإج وانخٍال وانرظسا خ كإحغاط و عاطفة و التأليف فيه فن و التشييد و البناء فكر و حساب ..." [3] و هي عناصر إجتمعت لدى الإنسان القديم كما تشبع بها المعماري المسلم الذي لم يكن ليدخر طاقة و قدرة فنيتين ، ليملأ محيطه ما يشبع متعة عينه و هناء عيشه .

---

(1) ـــ عثمان الكعاك ، المرجع السابق ، ص . 310.

(2) ـــ عبد العزيز محمود لعرج ، العمران الإسلامي و عمارته السكنية ، قيم دينية و دلالات إجتماعية ، حولية المؤرخ ، مجلة دورية يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين ، العدد 3-4 ، 2003. . ص 27 .28.ـــ عن : جاسم الدباغ ـــ .

(3) ـــ نفسه ، ص .ص .28.27.

الفصل الأول

لمحة تاريخية

أولا : إطلالة على تاريخ الجزائر من القدم إلى دخول الجيش الفرنسي .

ثانيا : المحطات الكبرى لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي .

ثالثا : التطور التاريخي لمدينة البليدة إلى أواخر العهد العثماني .

رابعا : متيجة و أهم أحداثها التاريخية .

خامسا: مدينة البليدة.

أولا : إطلالة على تاريخ الجزائر من القدم إلى دخول الجيش الفرنسي:

لم يكن إقليم الجزائر بمعزل عن أحداث العالم منذ القدم فقد عرف تغيرات مناخية و حضارية هامة بحكم معرفة الشمال الإفريقي لها.و ليس من نافلة القول التطرق إلى أهم ما إختزنته مواقع عديدة بعين الحنش و ما إختزلته من كشف للمستوى الحضاري لإنسان ما قبل التاريخ الذي ناسب قدرات و امكانيات تلك الفترة من الزمن مؤكدة بذلك إختلاف مظاهر الحياة عن الحالية و في معظم مناحيها . حيث كشفت الحفريات التي قام بها أرامبورغ ــ ARAMBOURGUE ــ سنة 1947م في موقع عين الحنش عن عينات من الصناعة الأولى للحياة البدائية و هي صناعات خشنة جدا وغير مصقولة[1] تعكس بساطة في تقنيات الصنع * كالحجارة المنحوتة في شكل قادوم ــ مثلا ــ إلى جانب بقايا حيوانات** لازمت هذه الفترة .

تمر ملايين السنين لتمثل مرحلة ميزتها مواضع طهي الحلزون لإنسان ما قبل التاريخ [2] الذي عثر على بقاياه في مواقع أثرية [3] بالشرق الجزائري ــ بين سطيف و قسنطينة ــ و كانت أولى محاولات الإستقرار و ذلك منذ ثلاث ملايين سنة إلى تسعة ملايين سنة قبل الميلاد وهي فترة ظهور الفن و الصناعات العظمية لدى الإنسان لتليها فترة يعرف فيها الصيد و جمع الحبوب ثم الزراعة و إكتشاف الفخار و بناء القرى بدءا من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد [4] و ليخرج من مرحلة ما قبل التاريخ بمعرفته للتمدن و إتقان أساليب البناء .

سكنت الجزائر قديما قبائلا سمّاها هيرودوت " القبائل الليبية "*** الذين نزحوا من شرق إفريقيا إلى وسطهــا بدفعات شكلت النواة الأولى للشعوب المغربية و اعتبــرها المؤرخون أسلافا مباشرون

---

(1) ــ Lionel BALOUT , Algerie prehistorique , paris , p. 43.

* يتحصل عليها بضرب الحجارة إلى بعضها البعض و يستفاد من القطع التي يميل شكلها إلى الإستقامة .

** مثل وحيد القرن ، فرس النهر ، الفيل ، الزرافة ، الخنزير ، الجاموس ، الغزال و الكلب .

(2) _ Lionel BALOUT , op.cit , p. 12.

(3) ــ IBID , p.p .93.95.

(4) ــ منى يوسف نخلة ، علم الآثار في الوطن العربي ، جروس برس ، لبنان ، ص . ص .22.21.20 .23 .

*** أو الليبو أو اللوبيون أو الليبيين ــ عن : احمد صفر ، مدنية المغرب العربي في التاريخ ، ج1 ص . 34 .

للبربر* كما كان للفينقيين الفضـــل في إنفتاح شمال إفريقيا على القارات الأخـــرى بتأسيسهم لقرطاجة** سنة 814 ق م و التي كانت لهم قطبا للتبادل التجاري حيث قاموا بربط الحوض الشرقي للمتوسط بحوضها الغربي فضلا عن بناء العديد من المحطات التجارية البحرية على طول السواحل في شمال افريقيا كما أقاموا علاقات تجارية مع السواحل الا يطالية والمستعمرات الإغريقية جنوب الغال ــ فرنسا ــ و القسم الشرقي لإسبانيا(1).

حل الرومان بالجزائر في العهد القديم **و** كان لهم من البناء و التعمير ما إتسع له الشريط الساحلي ، فأنشؤوا مدنا و مستعمرات أثبتتها بقاياهم الأثرية و هي مدن تحمل كل ملامح الحضارة الرومانية و كانت غالبيتها ذات طابع عسكري (2) و مع هذا كانت بحق مدنا معمرة و متمدنة ، بها المعابد و القصور و الحمامات و المسارح و الساحات و مازالت أطلالها ، على سبيل الذكر لا الحصر قسنطينة (سيرتا) ، شرشال (القيصرية) ، تيبــازة (تيبازا) ، جميلة و سكيكــدة ، تبسة (تيفيستا) و تيمقاد . و كان داخل هذه المدن كما في خارجها قصورا و أحياءا سكنية (3). و قد اتبع بعض السكان المحليين في مظاهر بناء مساكنهم الأسلوب الروماني و هــو ما يذهب إليه أحمد صفر فـــي قوله " و الذين ... قلدوا الرومان في حياتهم و في بناء مساكنهم في المـــدن أو في المزارع و الحقـــول و ترمنوا شيئا فشيئا و هذا هو السبب في وجود مدن كثيرة بإفريقية من النوع الروماني".

---

* و الهلاليون هم الذين أطلقوا على سكان افريقية لقب البربر و ألحقوا هذه التسمية بكل شخص لا يتكلم اللغة اللاتينية و جعلهم ابن خلدون على ثلاثة أقسام هم البرانس و البتر و الملثمون نتيجة نوع لباسهم لا إلى جدهم الأول كما يرى ويليام مارسيه و حسب الدكتور شنيتي ، الجزائر ...ص 497 . فإن تسمية السكان المحليين بالبربر لم تسبق الفتح الإسلامي و انما أطلقها الفاتحون الأوائل على الأهالي الفارين من السلطة البيزنطية .

** يعود تأسيسها إلى عليسا . التي فبعدما قدمت إلى الشمال الإفريقي فارة من مدينة صور بالساحل الشرقي للمتوسط ، اختارت شبه جزيرة خارجة في البحر لها شبه كبير بموقع مدينة صور و ابتاعت قطعة أرض بافريقية بما يشمله جلد ثور على أن تدفع مقابل ذلك أقساطا سنوية و من ذكاءها قامت بقد الجلد قدا رقيقا لتملك أكبر قطعة أرض ممكنة شيدت عليها مدينتها ــ قرطاجة ــ التي عمرتها و وفد إليها عدد كبير من البقاع المجاورة و أخذ شأن قرطاجة يعظم شيئا فشيئا أمام تضاؤل مدينة صور .

(1) — Mohamed SADAK Messikh , El djazair , La Memoire , parais , 1997 ,p.11.

(2) ــ محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ظل الا حتلال الروماني ، بحث في منظوكمة التحكم العسكري ــ الليمس الموريطاني ــ و مقاومة المور ، ج 2 ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، ص ، 269 .

(3) __ Mohamed SADAK Messikh , op.cit,p.12.

رغم إستيلاء الرومان على مواقع إستراتيجية في الساحل الإفريقي ، إلا أنه كانت هناك عدة عوامل ساهمت في تفكك حكمه بافريقية منها سياسية ، إقتصادية ، دينية و إجتماعية تمثلت الأولى في الفوضى* التي سادت السلطة نتيجة تدخل الجنود في تعيين الحكام و قد دامت حمسين سنة ، مما أدى إلى ضعف الإقتصاد الروماني ، كما أدت المعارضة التي تلقتها الديانة النصرانية من طرف السلطة الرومانية التي سمحت بممارستها بكل حرية في المدن الساحلية و منها قرطاجة إلى نشوب رفض و معارضة لها ، و كان للعامل الإجتماعي أثره في ذاك التفكك فقد خلا المجتمع من إنسجامه ، حيث استولى الرومان على أهم الممتلكات و تجزأ المجتمع الموري إلى طبقات** مما نشط الحركة الثورية ضد الرومان[2] دون أن ننسى جعل الرومان لغتهم اللاتينية هي اللغة الرسمية و لغة المحلين هي اللغة الثانوية .

لبعض المؤرخين رأي بمثابة عصارة شاملة لتلك الأوضاع في القول :" أنه عندما بسطت روما هيمنتها على البلاد النوميدية بل على كل البلاد المغربية لم تفعل ما يستحق ذكره في سبيل تطور الإقتصاد النوميدي ... بينما الأهالي لم يستفدوا من الثراء ... و كل ما حملته روما من حضارة لاتينية في بلاد المغرب القديم كان في فائدة المستعمر الروماني ... أجل ان الحضارة الرومانية متعارضة مع القيم الثقافية النوميدية و هذا ما يفسر مقاومة نوميديا للإحتلال الروماني" [1]
و بالتالي نلمح الأرضية النافــرة التي أمكنت توليد قابلية لحكم مغاير و اجتمعت بذلك عوامل ساعدت في تغيير الصبغة الحضارية للشمال الإفريقي من روماني دام حكمه ما يقرب من ستة قرون أي من 146 ق م إلى 429 م [4] إلى وجه حضاري آخر تمثل في الغزو الوندالي .

---

* و هي تسمى فترة الفوضى العسكرية و التي دامت خمسين سنة.

** انقسمت فئات المجتمع النوميدي إلى أصحاب الملكيات الكبيرة بعدهم المالكون الصغار ثم العبيد من فئة البربر الأسرى ثم المزارعين الشركاء و المزارع المشارك و هو الذي يزرع الأرض و يدفع مقابل المحصول للرومان ــ عن: احمد السليماني . تاريخ ملوك البربر ، ص . 31 ــ .

(1) ــ أحمد السليماني ، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة ، دار القصبة للنشر ، ص . 31.

(4) ــنور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني ، الطبعة الثانية ، الجزائر ، 1962، ص . 14.

غزا الوندال* المدن الرومانية في شمال إفريقيا سنة 429 م ، حيث إستغلوا المشاكل الداخلية في الدولة الرومانية و ضعف حاميتها و نشاط المقاومة المورية إضافة إلى عوامل أخرى شجعت إجتياحهم** و هم تحت دافع أكبر من القيصرية التي جعلوا منها مطية عبور للوصول إلى روما مطمحهم و التي كانت وقتئذ عاصمة العالم المتوسطي و من تلك العوامل حرصهم على الا خذ بنصيب من ملاحة البحر المتوسطي إضافة إلى الغنى الزراعي للمنطقة كما تفطن الوندال لرفض السكان المحليين للسلطة الرومانية و استعدادهم للتعاون مع أي سلطة أخرى تحقق لهم الإستقرار الداخلي و كانت أهم غاراتهم تلك التي شهدتها قرطاجة و بالإستيلاء عليها إستكملوا سيطرتهم على شمال افريقيا و بعدها استعدوا لتحقيق ما طمحوا إليه و هو الإستيلاء على روما و قد عمل الوندال على تقريب المور إليهم فقاموا بإزالة التحصينات و اسقاط الأسوار من حول المدن ــ على حد تعبير الأستاذ شنيتي ــ و الذين كانوا عونا لهم في إنتصاراتهم على روما[1].

كحال كل أجنبي ، آل أمر الوندال إلى ما آل إليه سابقيهم ممن إجتاحوا الشمال الإفريقي و تتكر نفس الأسباب المؤدية إلى سقوط الدول و هي الخلافات و الأزمات الداخلية فقد وقعت حرب داخلية عام 531 م اقتتل على إثرها الوندال مما أنهك سلطتهم . كما أن ميلهم إلى الترف و ضعف الروح القتالية فيهم ، إضافة إلى تمكن المور من السيطرة على الشؤون الداخلية ، شجعت طمع أعدائهم فيهم [4] .

لما إعتلى جوستنيان عرش القسطنطينية نمت في نفسه رغبة إسترجاع رموز الإمبراطورية

---

* الوندال قوم جرمان جاوروا الحدود الرومانية الشمالية الممتدة بين نهري الراين و الدانوب خلال القرن الرابع ، أصلهم بلاد اسكندنافيا التي غادروها أواخر الألف الأولى ق م و استقروا بألمانيا . جاؤوا من صقلية و اخترقوا الغال سنة 406 م و جبال البيريني سنة 409 م و توطنوا جنوب اسبانيا و منها ترقبوا وضع شمال افريقيا و أعدوا عدتهم لاجتياحه ــ عن : شنيتي الجزائر .ــ و عبر مضيق جبل طارق اجتازوا إلى السواحل المغربية سنة 429 م و منها إلى عنابة بالقطر الجزائري في نفس السنة ، حاصروها و استولوا على قرطاجة سنة 439 م و جعلوها عاصمة لهم .

** ان موضع نزول الوندال على الشريط الساحلي غير محدد فقد أبحروا بمحاذاة الشاطئ باتجاه الشرق إلى أن وصلوا إلى عنابة ــ هيبو ــ سنة 430 م و تمكنوا من خلالها اختراق المقاومة الرومانية ــ عن : شنيتي، الجزائر.ص..379

(1) ــ محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص . 375.

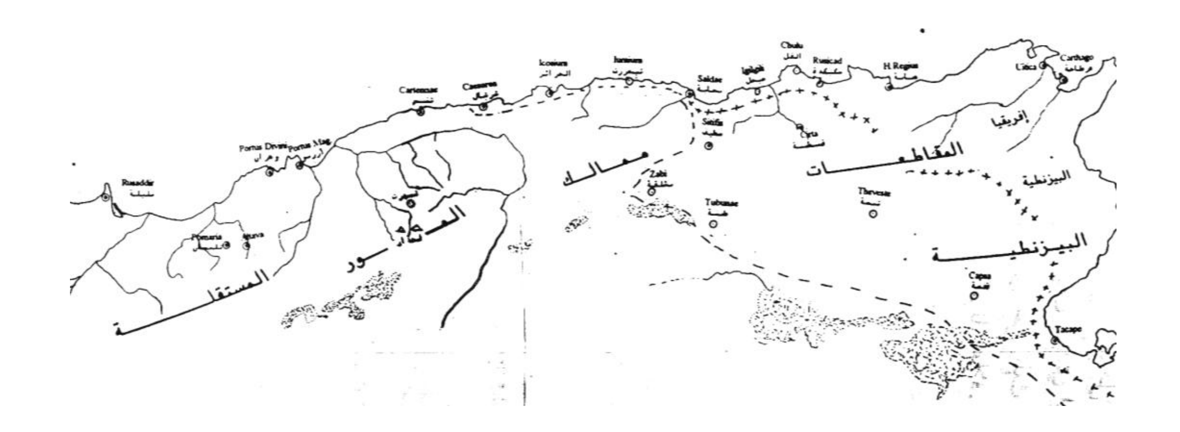
(4) ــ نفسه ، ص . 390 . عن : CH .Diehl , l’Afrique byzantine , p . 8 .

الرومانية والتي مثلتها قرطاجة [1] و تمكن البيزنطيون من القضاء على الوندال و استغلال شمال إفريقيا محتفظين بقرطاجة قاعدة لهم [2] و قد رأى السكان المحليون في البيزنطيين تكرارا للعهد الروماني[3] و لم يندمجوا في وسطهم و حسب معطيات الخرائط السياسية لبلاد المغرب ، نلاحظ سيطرة البيزنطيين على ما وقع مابين خليج قابس و سطيف مرورا بشمالي الأوراس مع قليلا من المراكز الساحلية ــ الخريطة رقم : 01 ــ بينما إحتفظ المور* ببقية المواقع [4] و قد صعب تحديـد الحدود الفاصلة بينهما كما سجل تراجعا لمواقع البيزنطيين في الفترة السابقة للفتح الإسلامي و دارت عليهم الدائرة بإسقاط المسلمين لهم حيث دخلوا إفريقية و نشروا الإسلام بين أهلها الذين كانوا لهم عونا في توطيد أمر الفتح بإفريقية .

إن التطرق إلى أحـوال افريقية في ظل الإحتلال للرومـان و من تلاهـم من وندال و بيزنطيين و أحوالها أثناء الفتح الا سلامي سيكون به تقصيرا في حق سكان إفريقية حيث نلاخظ شبه ثغرة تاريخية ــ ان صح التعبير ــ و التي يعوزها التوضيح إن لم نتطـرق إلى طبيعة هؤلاء السكان و نمط عيشهم ، فقد كاد يرسخ في الذهن أن افريقية ساحة أحداث عسكرية ــ فقط ــ متتالية بين الأجانب عنها و أهلها . و نشير أن الأحداث لم تكـن عسكرية فقط ، فوجـه افريقية كان قطبا زراعيا و اقتصاديا و عمرانيا ، ساهم المحليون بقدر كبير في تنشيط حركة الزراعة فيه و تفعيل النشاط العمراني . و أنا أقرأ للأستاذ شنيتي و في ذهني البحث عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط المحليين بأرضهم و بكل من مر ــ إحتل ــ بإفريقية ، وجدت ظالتي و استخلصتها و التي يمكـن أن أقول عنها أنها علاقة مواطن و محتل ؛ الأول سعى إلى إسترجاع ممتلكاته و الثاني كيان أجنبي ينبهنا إلى أن إفريقية ان لم نقل المغرب العربي يعتبر موضع إستراتيجي غني بثرواته منذ القدم ، مما جعله محل طمع كما يمكن ترجيح فكرة تبلورت لدى المحليين تتمثل في مدى قابليتهم للفاتحين العرب و تأثرهم بهم و مشاركتهم في أحداث الفتح الإسلامي .

---

(1) ــ محمد البشير شننتي ، المرجع السابق ، ص .407.
(2) ــ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ، ص .17.
(3) ــ محمد البشير شننتي ، المرجع السابق ، ص . 414.
* لفظ أطلق على جميع الأهالي المستقلين عن السلطات المتعاقبة ــ الرومان ، الوندال ، البيزنطيين ــ
(4) ــ محمد البشير شننتي ، المرجع السابق ، ص 439 .



اللیمس البیزنطي في أقصی إتساعه

+ + + تراجع الحدود البیزنطیة قبیل الفتح الإسلامي

الخریطة رقم : 01 ــ مناطق إنتشار البیزنطیین في بلاد المغرب .

ثانيا : المحطات الكبرى لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي :

يفتح الحديث عن مدينة البليدة مجالا واسعا ، من خلاله نتطرق إلى الفتوحات الإسلامية التي شهدها المغرب الأوسط و الذي كانت أحداثه مترابطة و متسلسلة ولا يكاد ينفصل حدث فيها عن الآخر مما يجعل سرد أحداث الفتح الإسلامي و مراحله في إفريقية مسترسلا ، كونه يشكل مرحلة تحول هامة في تاريخ المغرب و الجزائر خصوصا .

بعدما توطد أمر الإسلام في شبه الجزيرة العربية إهتم الخلفاء بفتح الشام و مصر و كانت أولى خطوات الفتح الإسلامي نحو إفريقية من مصر الإسلامية* التي هاجر منها عدد من المسيحيين إلى افريقية فرارا من المد الإسلامي و طمعا في النجاة بالنفس و الدين و استقبلهم البيزنطيين ، رغم ما آل إليه أمرهم من تقلص لسلطتهم و انحصارها ؛ حيث تراجعوا إلى المدن الكبرى و تركوا للبربر الأرياف و السهول(1).

بعد فتح عمر بن العاص للإسكندرية ** وضع على رأس جدول أعماله فتح إفريقية أخذ طريقه يريـــد المغرب حتى قدم برقة و صالـــح أهلها على الجزيـــة (2) ثم فتح أطرابلس عنوة في سنة اثنين و عشرين للهجـــرة (3) و كتب إلى الخليفـــة عمر بن الخطاب قائلا : " أن الله قد فتح علينا أطرابلس و ليس بينها و بين افريقية إلا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها و يفتحها الله على يديه فعل "(4) فنهاه الخليفة عن غزوها قائلا : " ماهي بإفريقية و لكنها مفرقة غادرة و مغدور بها " (5) " لا يغزوها أحد ما بقيت " (6) إلا أنه بعد وفاة الخليفـــة عمر بن الخطاب يقـــوم خلفه عثمان بن

---

(1) ــ محمد البشير شنتتي ، المرجع السابق ، ص.502 .

* هذه الا خيرة التي فتحت على عهد الخليفة عمر بن الخطاب طوعا من حاكمها المقوقس .

(2) ــ أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، وضح حواشيه عبد القادر محمد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000، ص.137.

(3) ــ نفسه ، ص .138 .

(4) ــ عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم ، فتوح افريقية و الا ندلس ، حققه و قدم له عبد أنيس الطباع ، بيروت ، 1987 ، ص . 33 .

** ذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثيرا و كان ملك الأندلس صالحهم ثم غدر بهم

(5) ــ البلاذري ، المرجع السابق ، ص. 138 .

(6) ــ ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص . 33.

عفـــان بعزل عمر بن العاص و خلفه بعبد الله بن سعد بن أبي سرح واليا على مصر و المغرب عزم على غزو افريقية و كتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره بغوزها و أمده بجيش . فكان أول من تجرأ على المواجهة* في أرض إفريقية و في هذا الشأن يذكر البكري أن عظماء إفريقية طلبوا من عبد الله بن سعد " أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطارا من ذهب على أن يكف عنهم و يخرج من بلادهم فقبل ذلك ...و رجع إلى مصر و لم يول على إفريقية أحد و لم يكن لها يومئذ قيروان و لا مصر جامع" [1] و لما ولي معاوية ابن حديج على مصر** فصل إفريقية عن مصر [2] و أرسل عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهري ل يواصل الفتح و يمتد به إلى مسار آخر جديد ، لم يسر عليه أحد قبله من الفاتحين حيث خرج عقبة إلى افريقية متجنبا الطريق الساحلية*** [3] و أتى موضع القيروان اليوم [4] حيث اختطها و بنى بها المسجد الجامع و بنى الناس معـــه الدور و المساكن [5] و كان أول من خطى خطوة للتعمير و اتخذ القيروان قاعدته الحربية و عرف نجاحا سجله التاريخ . و بتأسيس القيروان ظهرت إفريقية كولاية هامة[6].

لم تدم لعقبة بن نافع فرص الإستمرار في الفتح ، فقد عزل من طرف مسلمة بن مخلد الأنصاري[7] بعد خمس سنوات من مكوثه بافريقية ــ55 هــ .674 م ــ و ولي مكانه أبي المهاجر دينار الذي يسلّم أمر قيادة فتح ما بقي من إفريقية و تجنب قيروان عقبة بميلين و نزل و ابتنى[8] و وصل

---

* و قاتل جرجير ــ ملك قرطاجة ــ و غنم كثيرا من سراياه في المغرب .

(1) ــ البلاذري ، المصدر السابق ، ص. ص .138 . 139.

** اختلف في السنة ان كانت في السابع و العشرين أن الثامن و العشرون أم التاسع و العشرين للهجرة .

(2) ــ عبد الرحيم سالم ، دراسات في الشكل و التطور المعماري ، الطبعة الا ولى ، جامعة العلوم و التكنولوجيا الأردنية ، 1993 ، ص . 363.

*** يعطي الدكتورعبد العزيز سالم للفتح الا سلامي ، مراحلا سبعا ، مهمة و مترابطة الأحداث ، ساردا تلك الأحداث بأسلوب يشد إلى تتبعها و كأن الكاتب عايشها .

(3) ــ عبد الرحيم سالم ، المرجع السابق ، ص. 366.

(4) ــ عبد الحكم ، المرجع السابق ، ص .54.

(5) ــ البلاذري ، المصدر السابق ، ص .140.

(6) ــ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص . 366 .

(7) ــ عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص .55.

(8) ــ نفسه ، ص . ص . 57.56 .

إلى المغرب الأوسط و كان أول من حل به حيث فتح باغاية – شرق جبال الأوراس – ثم الزاب كما تمكن من فتح أحواز تلمسان و تيهرت و توجه إلى المغرب الا قصى و دخل طنجة و فتحها و حظي المغرب الا وسط بذلك شرف إمارة إفريقية الإسلامية و جعل ميلة بالمغرب الأوسط مركز قيادته و ابتنى فيها دارا للامارة ملاصقة للجامع و مكث بها سنتين ، إلا أنه لم يلبث طويلا على منصبه و يعزل ليعود عقبة إلى ولاية إفريقية غازيا غزوته الكبرى التي وصل فيها إلى المحيط الأطلسي و ابتدأها بإشتباك مع البيزنطيين في باغاية واستولى على قرطاجة و تمكن من دخول المنستير و الزاب واخترق أرض المغرب حتى وطئت جيوشه المغرب الأقصى ــ الخريطة رقم:02 ــ ثم عاد إلى المغرب الأوسط.

و لما بلغ طبنة فرق جيشه و سار إلى مدينة تهودة [1]** حيث لقيه كسيلة*** ــ و كان قد ارتد ــ بجمع كبير من الروم و البربر و اقتتلوا قتالا شديدا قتل هنالك عقبة بن نافع و من كان معه كأبي المهاجر دينار و هو موثق في الحديد و كان ذلك سنة 60 هـــ .679م [2] و حسب ابن العذاري في سنة 63 هـــ .682 م [3].

و بعد مقتل عقبة ، ولي أمر إفريقية زهير بن قيس البلوي الذي فتح تونس و برقة كما أتى من بعده حسان بن النعمان الغساني [4] الذي واجه و ضرب من كان على رأس افريقية حيث سأل عمّن له مهابة سياسية فيها و دله سكان القيروان على أعظمها و كانت قرطاجة فقصدها و تمكن من إخضاعها**** ثم عاد إلى القيروان ليستريح جيشه،و لما رأى ضرورة تصفية المغرب من بقايا الروم

---

* كان كسيلة نصرانيا ثم أسلم .

(1) ــ عبد الرحيم سالم ، المرجع السابق ، ص . 368.369 .

** تهودة قبيلة من البربر في جبال الا وراس .

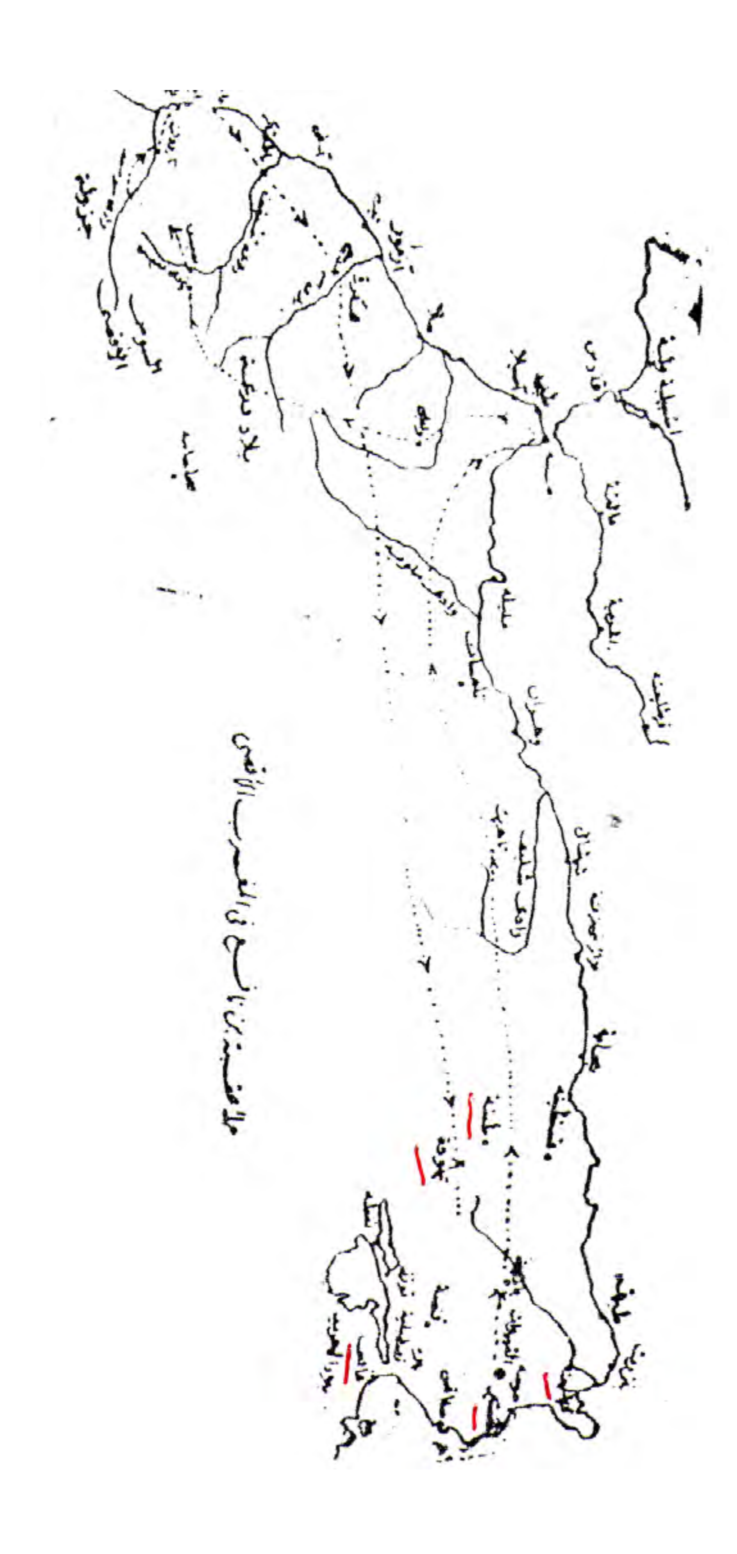
*** كان كسيلة نصرانيا ثم أسلم .

(2) ــ ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص .59 .

(3) ــ عبد الرحيم سالم ، المصدر السابق ، ص . 369.

(4) ــ البلاذري ، المصدر السابق ، ص .140.

**** بعد أن حاصرها و تظاهر سكانها بطلب الأمان و الرغبة في ايقاف القتال ، منحهم حسان ذلك و هاجروها ليلا و حين دخلها المسلمون وجدوها خالية من السكان مما مكنهم من أن يستولوا عليها دون قتال.



الخريطة رقم : 02 ـــ حملة عقبة بن نافع في المغرب الأقصى

و المعارضين و سأل أيضا من في القيروان عمن بقي في إفريقية من ملوك ليخضعهم حربا أو سلما[1] و ذكروا له الكاهنة * قائلين " إن قتلتها دان لك المغرب كله و في قولهم تلميح لمدى سلطانها و هي على عهد بالمغرب و كله عمران من طرابلس إلى طنجة فقد كانت ظلا و قرى متصلة..." و كان هناك عمرانا أدهش الفاتحين المسلمين [2] " فقرر غزوها و لما علمت الكاهنة بقدومه ، هدمت " بغاية " كي لا يتحصن بها ، أما حسان فقد ضللها و نزل بـــ " مسيانة " الواقعة أعلى واد لتسهيل الحصول على الماء و نزلت هي بأسفل الوادي ، غزاها و لم يتمكن من هزمها و أسرت ثمانين ممن كانوا معه ثم أطلقتهم إلا خالد بن يزيد العبسي ، تبنته [3] و التجأ حسان إلى قصور بقرب برقة و التي سميت " قصور حسان "[4] و لم تكن هذه الغزوة الوحيدة ضد الكاهنة فقد غزاها ثانية في كرة ليست كسابقتها فالإعانة هذه المرة تفد إليه من دمشق و توجه نحوها بأربعين ألف مقاتل في مقدمتهم عرب و بربر [5] و في غزوته الثانية لها لقيها في قتال شديد لقيت فيه مصرعها[6].

ذكر ابن عذارى أنه لما إطمأن حسان على استقرار الأحوال في المغرب الأوسط رجع إلى القيروان سنة 82 هــ . 701 م [7] و نزل بها و بنى مسجد جماعتها و دوّن الدواوين و وضع الخراج على عجم افريقية و على من أقام معهم على النصرانية من البربر و عامتهم من البرانس إلا قليلا من البتر"و أقام بموضعه حتى استقامت له البلاد [8] و بنى دارا لصناعة السفن عمّرت قرية تونس التي باشر منها المسلمون الغزو البحري ضد الروم و انطلقوا نحو صقيلة و جنوب ايطاليا منذ بداية القرن الثاني للهجرة ــ الثامن للميلاد ــ .[9]

بمشاركة الفاتحين المسلمين إتضحت مظاهر الإستقرار فـــي إفريقية الإسلامية و أصبحت

---

(1) ــ موسى لقبال ، تاريخ المغرب الاسلامي ، دار هومة ، ص .71 .

* ملكة البربر ، بجبال الا وراس ملكت جل افريقية .

(2) ــ محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص. 505 . عن : الرقيق القيرواني .

(3) ــ موسى لقبال ، المرجع السابق ،ص . 73 .

(4) ــ البلاذري ، المصدر السابق ، ص .140.

(5) ــ موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص . 68.

(6) ــ البلاذري ، المصدر السابق ، ص .140.

(7) ــ موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص . 78.

(8) ــ عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص .ص . 64.65.

(9) ــ موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص . ص . 84 . 85 .

أرضها ظهيرا لمرحلة أخرى يأتي فيها موسى بن نصير إلى إفريقية سنة 78 هـ . 697 م [1] و كان أول من نزلها من الولاة [2] بعد عقبة و لما تم له فتح طنجة ولى عليها طارق بن زياد* سنة 89 هـ .707 م و مهدت له أرض المغرب مد الفتح و توسيع الحكم الأموي بأرض المغرب الإسلامي و الأندلس[3] .

لم يكتف موسى بالغزو البري و صمم اختراق البحر إلى أرض الأندلس** ، هدفه في ذلك حماية الثغور الا سلامية [4] و لم يغز الا ندلس مباشرة و بدأ " بعمل كشفي تمهيدي و أرسل من يقوم بذلك سنة 91 هـ" [5] و يكلف لذلك طارقا فكان أول من غزاها سنة 92 هـ 710 م [6] حيث مر بجزيرة في البحر و زحف نحو قرطبة [7] و بلغها بعد قتال مع جنودها الذين هزمهم . و في السنة الموالية يخرج موسى إلى الأندلس حيث تلقاه طارقا فارتضاه [8] و انتقل ــ موسى ــ في جيش ضخم و تعاون مع طارقا على افتتاح بقية مدن الأندلس ، حتى تم له ذلك [9] .

حرص الخلفاء منذ بدء الفتوحات ، على أن لا يلي شؤون إفريقية إلا من سبقت لهم ممارسة إدارية أو مالية في مصر . إلا أنه في وقت لاحق خرج المسلمون عن هذا العرف ليولوا عليها من طبقة الموالي [10] *** و رسخت الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب تبعا لإنتشار الإسلام بإنتاج فكري و مادي من أولى خطواتـــه إلى الحضارة العثمانية حيث عمّـــر المغرب الأوسط خـــلال تلك المراحل و أنشأت به معالما واضحة و موحدة النمط .

---

(1) ــعبد الحكم ، المصدر السابق ، ص . 68.

(2) ــ نفسه ، ص . 71.

* بتوجيه من عبد العزيز بن مروان و الذي عينه واليا على افريقية و تمكن من فتح طنجة.

(3) ــ عبد الرحيم سالم ، المرجع السابق ، ص. 74 .

** ينتسب طارق بن زياد إلى البربر و أسلم على يد موسى بن نصير الذي عاد إلى القيروان بعد تولية طارق بن زياد

(4) ــ موسى لقبال ، مرجع سابق ، ص . 102.

(5) ــ نفسه ، ص. 107.

(6) ــ البلاذري ، المصدر السابق ، ص . 141.

(7) ــ عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص . 73 .

(8) ــ نفسه ، ص . ص . 75 . 76 .

(9) ــ عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ج 2 ، الاسكندرية ، 1993، ص . 275.

(10) ــ موسى لقبال ، المرجع السابق ، ص . 124.

*** مثل محمد بن يزيد ، اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي ، عبد الله بن الحبحاب .

تمنح القراءة المتأنية لمسار الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا فهما موضوعيا يعلل سرعة مده و انتصاراته المتتالية ، حيث نرى أن ذاك النجاح خضع لأسس متعددة ساعدت على التغلغل في افريقية ، منها قابلية البربر للتعاون مع أي سلطة تخلصهم من الغزو البيزنطي و لما رأوا أن الفاتحين لم يكن من أولى أهدافهم الإستيلاء على إفريقية و انما إنصب الهدف في محاولات لنشر الدين الإسلامي . يساند هذا ما قاله غوتيي ــ Gautier ــ في " أن العرب رأوا بلاد المغرب بعيون و عقل مختلفان عن عيون و عقل الغربيين ــ اليونان و الرومان ــ [1] و قد نمت تلك القابلية لتشابه بعضا من نمط حياة العرب بتلك لدى البربر ؛ و التي يراها ابن خلدون في سكنى الخيام و الترحال و تربية الجمال . و تتعدد الآراء لتعلل جانب الغربيين فهو مغاير لما يراه غيرهم من العرب ، حيث يرى البعض أن ما آلت إليه المملكة البيزنطية من ضعف ، كان عاملا مهما في غنجاح المد الإسلامي و هو ما لا يستند إليه نظرا لأن بعض المدن بإفريقية تصدت للفاتحين و صعب عليهم دخولها رغم أنها كانت مدنا مستقلة و قد تعامل معها الفاتحون كل على حده و غزوها واحدة بعد الأخرى [2]. و من جهة أخرى يرى د عبد العزيز سالم ، أن غنى إفريقية و كثرة غنائمها كانت من العوامل التي شجعت على التوغل و الذي يكون عاملا مهما لدوره في تعزيز المسلمين[3] .

بعد أن كان المغرب الإسلامي وحدة جغرافية و عرقية منذ القرن 3 هــ . 9 م يعرف إنقساما ثلاثيا ؛ المغرب الأدنى ، المغرب الأقصى و ميّز العرب الإقليم الأوسط و سموه المغرب الأوسط [4] . و قد ملكت هذا الأخير دولة الرستميين (144 ــ 296 هــ . 761 ــ 909 م) على يد مؤسسها عبد الرحمان رستم الفارسي الذي شيد مدينة تاهرت و أحاطها بسور و بنى جامعا في مركزها و دارا للإمـــارة إلى جانبه و ابتنى الناس منازلهم [5] و أصبحت المدينة مقصـــد الأندلسيين و أهل البصرة و الكوفة.

---

(1) ــ محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص . 201 .

(2) ــ نفسه ، ص. ص . 504 . 507.

(3) ــ عبد العزيز سالم ، بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ، القسم الثاني ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الا سلامي ، 1992 ، ص

(4) ــ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص . ص .349 ،350.

(5) ــ حسين مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته ، من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، الجزء الاول ، الطبعة الأولى ، بيروت 1992، ص . 323.

و لم تدم لدولتهم السيادة لتسقط على يد الفاطميين الذين أعادوا للمغرب وحدته سنة 442 هـ .1050 م ثم انقسم إلى ولايتين صنهاجيتين من أبناء عمومته حيث نال بني زيري الصنهاجي المغرب الأدنى ـ تونس ـ أما المغرب الأوسط فكانت عليه دولة بني حماد و كانت عاصمتها آشير و التي بنيت إلى جنوبها قلعة ضخمة و كان أول أمراءها حماد بن يوسف بلكين بن زيري الذي نجح في مد سلطته على المغرب الأوسط و قد خلفه ابنه الذي اتخذ من بجاية عاصمة له ، و حكم المغرب الأوسط حتى سنة481 هـ . 1088 م ، ليخلفه هو الآخر ابنه المنصور المولع بالإنشاء و التعمير و الذي تطورت على عهـده مدينة بجاية و أضحت من أعظم مدن إفريقية و أوسعها عمرانا[1] . و يذكر حسين مؤنس " أنه لما قامت الدولة الصنهاجية بدأ تمدين الكثير من المدن بالمغرب الا وسط الذي كان قلب الدولة و عقلها و مصدر قوتها و مورد رجالها ثم انتقلت قاعدتها إلى المنصورية بتونس[2] . و على عهد يحي بن العزيز آخر أمراء الدولة ، تمكن الهلاليون* من القضاء على هذه الدولة و لم تسترجع أنفاسها حتى سقطت في يد عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحدية الذي إستولى على وهران و تلمسان ثم دخل بجاية و تمكنمن الإستيلاء على قلعة بني حماد و كان من أجـلّ أعماله أن وحّد كل المغرب مـن طرابلس إلى المحيط الأطلسي و فـي أواخر العهـد الموحدي ـ 7هـ .13 م ـ عرفت تلمسان ازدهارها ؛ عمرانا و تجارة و عدت من أكبر الأسواق المتعاملة مع الأوربيين خاصة السلاح بالمقايضة مع مختلف المواد النادرة و الثمينة كالعاج و ريش النعام و التوابل و غيرها [3] . و بعد سقوط دولة الموحدين سنة 668 هـ . 1269 م إنقسـم المغرب الإسلامـي إلى ثلاث دويلات ؛ دولة بني حفص فـي المغرب الأدنى ، و بني مرين في المغرب الا قصى و كانت بالمغرب الأوسط دولة بني عبد الواد أو الزيانيين و مقرها تلمسان[4] و ما لبثت الدولة الزيانية أن ضعفت و آلت إلى السقوط و تمكن الإسبـان من الإستيـلاء على المرسى الكبير ، وهران و بجاية [5] و أصبح الساحل المغربي منذ القرن 9 هـ .15 م قطبا مغريا للدول الأوربية المجاورة .

---

(1) ـ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص .617.

(2) ـ نفسه ، ص . 675 .

* أراد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أن ينتقم من الحماديين فأرسل أعراب بني هلال من صعيد مصر وخربوا دولة بني حماد الذين هجروا قلعتها و انتقلوا إلى بجاية ، و تسرب الهلاليون إلى المغرب و إفريقية بعلم من الفاطميين في مصر و كان تنقلهم إلى المغرب الأوسط عبر دفعات . ـ عن : حسين مؤنس ، تاريخ المغرب ...ص. 589 ـ .

(3) ـ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص . 124 .

(4) ـ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص . ص . 350 . 351..

(5) ـ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص . 43 .

ثالثا : التطور التاريخي لمدينة البليدة إلى أواخر العهد العثماني :

قبل التطرق إلى مدينة البليدة في العهد العثماني تجدر الإشارة إلى البحث عن ظروف مجيئ العثمانيين إلى الجزائر و تحالف هذه الأخيرة مع الدولة العثمانية و التحاقها بها ؛ فمن هم العثمانيون ؟

العثمانيون فرع من الجنس التركي* نشؤوا فوق سهول سيبيريا الشمالية و في بوادي بحر الخزر ــ القزوين ــ[1] كانوا قبائلا متعددة و بسبب الغزو المغولي للمنطقة ، إضطرت إحدى قبائلهم إلى أن تتراجع و التمست الحماية من " خوار زمشاه جلال الدين منكبرتي" الذي هداها إلى المراعي القائمة في شمال غربي أرمينية ، إلا أن زعيمهم سليمان عزم على إرجاعهم إلى أسيا الوسطى ، حيث موطنهم الأصلي ، مبعدا إياهم عن النزاعات القائمة ، و قد تزعم إبنه الثالث أرطغول القسم الأصغر من القبيلة التي كانت تتألف من حوالي مائة أسرة ، و اندفع إلى آسيا الصغرى حيث كانت تحكمها دولة سلاجقة الروم و دخل في خدمة علاء الدين الثاني السلجوقي الذي قام بإقطاعهم قطعة من الأرض على الحــدود الفاصلة بين أملاكه و أملاك البيزنطيين و ترك لهم حريــة التوسع على حساب أراضي جيرانـــه من النصارى كما قـــام ابنه عثمان بتنظيـــم و توسيع ممتلكاتهم و استقل بإمارته [2] إلى أن تولى أمر الأتراك من بعده إبنه أورخان سنة 727 هــ . 1326 م، ليخلفه هو الآخر إبنه مراد الأول.

لما توفي السلطان مراد قاد الأتراك ابنه محمد ــ الذي قتل أخاه أحمد ــ [3] و الذي كان من أعماله بناء قلعة "روم ايلي حصال" ، منيعة على بعد لا يتجاوز سبع كيلومترات عن أبواب القسطنطينية و التي أثارت غضب الإمبراطور البيزنطي الذي إحتج على الأمر و قام ببعث سفراء للأتراك إلا أن محمدا قام بقطع رؤوسهم و كان هذا ايذانا بإعلان الحرب ضد الإمبراطور الذي لم يتمكن من الدفاع عن مدينته ضد هجوم مشاة الأتراك سنة 837 هــ .1433 م و دخلوها و سقطت

---

* كانوا بين سكان التبت و الصين في الشرق و الجنس الأسيوي القديم ــ السيبيري ــ في الشمال و الشعوب الفنلاندية ــ الأوغرية ــ عن : كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب ... ــ و لقبوا كذلك في ظل الإسلام و لم تعرف هذه التسمية قبل العهد الإسلامي ــ عن : عبد العزيز مرزوق ، الفنون... ص.ص 11.10 .

(1) ــ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الثانية عشر ، 1993 ، ص. 259.

(2) ــ نفسه ، ص . ص .407.408.409 .

(3) ــ نفسه ، ص . 429 .

القسطنطينية أمام عدم تلقي الإمبراطور أية مساعدة من دول الغرب التي عزمت على ذلك بعد فوات الأوان و أعاد بناء حصون القسطنطينية ليجعل منها عاصمة و مقــرا له و استولى محمد على كنيســة أيا صوفيا رسميا و حولها إلى جامــع و جعله الرئيسي في العاصمة و بنى جامعا آخر على أنقاظ الكنيسة الرسولية التي كانت مدفن الأباطرة و مساجدا أخرى جهزها بمكتبات و معاهد للتعليــم و منشآت مدنية أخرى كالمستشفيات و الحمامات و آبــار و خانات كما قام بتنظيــم أمور من بقى من الروم بالمدينــة و سمح للفارين بالرجــوع إليها حيث استثمر الباب العالي مهارتهــم التجارية بأن جعلهم وسائط بينــه و بين الدول الغربية . و فتح الأبواب للوفود إليها و كانت بهذا موفد لمسلمي آسيا و بالتالي حقق ما رمى إليه من تعميرها و تمكن من جعلها "مركزا فكريا في العالم الإسلامي" [1] و هاجر كثير من الأتراك إلى الأناضول ، حاملين معهم مقومات حضارتهم المادية و المعنوية و التي أصبحت بفضلهــم و في مدة قصيرة بلادا تركية [2].

إعتنى العثمانيون في عهد السلطان محمد الأول ــ 805 هــ . 1402م ــ الملقب بالفاتح بإنشاء قوة بحرية إلى جانب جيشهم العظيم فإشتد أمرهم و قوي شأنهم برا و بحرا و في عهد السلطان محمد الثانـــي (855 ــ886 هــ . 1451ــ1481م) الذي أعطـــى لنفســه لقب " سلطان البرين و البحرين " حيث كان أول من أورث العثمانيين السمعة التي استحقوها في البحر و واصل بعده سليما الأول بتعزيز الأسطول كما فعل سليمان ذلك إلا أن الأسطول كانت تعوزه بحرية تجارية قوية و في عهده وفق خير الدين بربروسا إلى الوصول إلى الشواطئ الإسبانية و كان أسطوله جزءا مهما من الأسطول العثماني . و قد جلب هذا الأسطول للدولة العثمانية مشاكلا مع الدول المطلة على البحر ، حيث كانوا يقومون بأعمال في البحر من غير إستشارة الباب العالي[3].

و جعل محمد الثاني من " إسلام بول " عاصمة له و التي غير إسمهــا إلى " استانبول" [4] . و اعتبر هذا الفتح نهاية للعصور الوسطى و بداية للعصور الحديثــة ــ بسقوط الدولة الرومانية – البيزنطية و دخــول القسطنطينية ــ و تربــع على عرش تركيا بعــد الفاتح ، إبنه بايزيد الثاني

---

(1) ــ كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص .ص .431 432.

(2) ــ عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ،ص .14 .

(3) ــ كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص . ص .469.470.471.

(4) ــ عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص .32 .

ــ886 / 918 هــ . 1481 -1512م ــ الذي رعى الفنون و العلوم و أصبح للعثمانيين المكانة التي استحقوها بجدارة لما ساهموا بجهودهم في لم شمل المشرق العربي و الدفاع عن حمى المغرب العربي فيما بعد .

العثمانيون في المغرب العربي :

مع مطلع القرن السادس عشر ، أصبحت سواحل تونس بوابة بحرية للعثمانيين نحو غرب المتوسط ، فمنذ أن سمحت السلطة الحفصية في تونس للأخوين عروج و خير الدين بإستعمال موانئها لغرض حماية مؤخرة الأسطول العثماني مقابل تعهد العثمانيين بمنحها خمس الغنائم "[1] فكانت إنطلاقة للتقرب من إقليم المغرب الأوسط و الإنفتاح عليه و الرسوخ في أرضه لعهد من الزمن ، كما سنلاحظه لاحقا .

العثمانيون في الجزائر :

لما وصل العثمانيون إلى الجزائر وجدوا بناءا إجتماعيا إحتضن حياة القبائل و لم تكن هناك سلطة مركزية و بموازاة ذلك كان الوضع في الأندلس مضطربا نتيجة ما تعرض له مسلمو الأندلس من إضطهاد و تقتيل مما جعلهم يفرون بما خف حمله و غلا ثمنه ، قاصدين السواحل الغربية للبحر المتوسط ، حيث و جدوا من يستقبلهم من سكان المغرب ، كما جلبوا معهم أموالهم و ذوقهم الأندلسي ، فدعموا بأساليبهم و ميراثهم الأندلسي الحضارة و العمارة و الفنون ببلاد المغرب و المدن التي نزحوا إليها و كان ذلك مكسبا للعمارة و الحضارة المغربية و كان مكسبا لبلاد المغرب و خاصة من الناحية الحضارية و الثقافية و لم يكتف الصليبون بطردهم بل حاولوا الإستيلاء على أهم المواقع الساحلية للمغرب الإسلامي [2] .

---

(1) ــ اندريه ريمون ، العواصم العربية ، عمارتها و عمرانها في الفترة العثمانية ، تعريب قاسم طوير ، ص .228.

(2) ــ بسام العسلي ، خير الدين بربروس ، و الجهاد في البحر ،دار النفائس ، الطبعةالثالثة ، بيروت ، 1986 ، ص. 12.

إستنادا إلى الدراسات التاريخية ، نلمس ما عانته سواحل الجزائر جراء لإستيلاء الإسبانيين و هو الأمر الذي دفع بالسكان المحليين إلى الإستنجاد بالقوة البحرية الناشئة التي كان يقودها الأخوين عروج و خيرالدين [1]* لتحرير ميناء بجاية الذي كان أكبر ميناء في الجهة الشرقية وكذا لمساعدة الأهالي على طرد الإسبان و تمكن فعلا عروج من تخليص هذا الميناء من أيدي الإسبان بعد هجومين أحدهما في سنة 918 هـ. 1512 م و الثاني سنة 920 هـ . 1516 م ، تبعا لهذا نقل قاعدة عملياته من جزيرة جربة بتونس إلى ميناء جيجل بالجزائر . كما إستولى** خير الدين على شرشال و منها عاد إلى تونس أما عروج فقد استولى على مدينة الجزائر و طرد الإسبان منها كما خلص تلمسان أيضا منهم[2] و قد اتبع استراتيجية أوسع حيث أقنع الجزائريين بأهمية مساعدة استانبول و امكانية جلب الأسلحة من تركيا حرصا منه على تشكيل دولة مستقلة في الجزائر تابعة للدولة العثمانية [3]. و لقي خير الدين تجاوبا من طرف المحليين و أرسل حينها وفدا إلى السلطان سليم يخبره بفتح مدينة الجزائر و ليبيّن له الأهمية الإستراتيجية للجزائر في حال إلحاقها بالدولة العثمانية . وافق السلطان سليم الأول بضم الجزائر إلى مملكته و أرسل إليه السفن و جنود الإنكشارية و كانت تلك أول مساعدة من الباب العالي و كانت سنة 921 هـ . 1515 م و هو تاريخ بداية إنضمام إقليم المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية. و عين خير الدين حاكما على الجزائر تحت لقب "بكلربك " بعد أن تخلص من حاكمها السابق " سليم التومي "*** و بذا صار هـذا الإقليم ولاية عثمانيـة يدعى فيه في خطبة الجمعة بإسم السلطـان سليم و تضرب النقود بإسمه[4] .

---

(1) ـ عبد القادر زبادية ، الجزائر في عهد رياس البحر ، الجزائر ، 1980 ، ص.65.

* عرفا في المأثورات الشعبية لمنطقة البحر المتوسط و في التاريخ الاوربي بالبرباروسيين و تحديدا خير الدين هو الذي لقب بالبارباروس أي ذي اللحية الصهباء . ـ عن : فريد بك المحامي ، ص . 230 ـ .

** يكثر إستعمال لفظ ـ استيلاء ـ في المراجع رغم أن منها ما ترى أن وفود الأتراك إلى الجزائر لم يكن بالقوة العسكرية و لم ينعت بالإستعمار.

(2) ـ فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، الطبعة الأولى ، دار النفائس ، 1981، ص.231.

(3) ـ عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص.65.

*** فتك بابا عروج بسالم التومي و " قيل أنه خنقه و هو في حمام داره "و أنه كلف من يغتاله . ثم نصب نفسه ملكا على الجزائر و لم يلق أي معارضة من الأهالي . ـ عن : نور الدين عبد القادر ، صفحات ... ص . 48 ـ .

(4) ـ فريد بك المحامي ، المرجع السابق ، ص.231.

و كان هذا أهم حادث يضع تحولا سياسيا لإقليم الجزائر و يغير من حكمها . كما تمكن بابا عروج من الإستيلاء على متيجة ، المدية و مليانة و احتل بلدة تنس سنة 923 هـ . 1517 م و خص الناحية الغربية لنفسه [1] و صارت الجزائر منذ سنة 924 هـ . 1518 م ولاية تركية ، متمتعة بإستقلالها الداخلي[2] . و عدت البلد الوحيد الذي لم ينضو تحت حكم الدولة العثمانية بالقوة العسكرية[3].

بعد أن استقر خير الدين على حكم الجزائر انتقل إلى مرحلة أخرى من مراحل جهاده و هي تدعيم عملية الإتحاد مع الدولة الإسلامية في الشرق الأدنى . ففي السنوات الأولى من حكمه كان رد الهجمات الأجنبية من أولى إهتماماته حيث عزم على القضاء عليها و تفرغ بعد ذلك للقضاء على المعارضة الداخلية التي لم تتجاوب مع الحركة الإتحادية .

من الآراء ما ترى أن الصراع الذي تزعمه العثمانيين ضد الإسبان في حوض البحر الأبيض المتوسط جهادا إسلاميا ، كونه بين قطبين لا إمتزاج بينهما لا في المعتقد و لا في الأهداف ، فالقطب الشمالي الغربي مسيحي ، هدفه إستيلاء ، أما القطب الجنوبي فعربي مسلم ، هدفه حماية ممتلكاته . و آراء أخرى ترى أن هذا الصراع " أخذ شكل الهيمنة التي لا تخلو من إستغلال إقتصادي و تسلط سياسي لسواحل المغرب العربي و إن إتخذ طابعا دينيا " [4]. و لم تشأ الظروف أن يحقق عروج مأربه في توحيد الشعب الجزائري و تقريبــه من الشعوب العربية الإسلامية و توحيدها أمام عدو مشترك [5] و في سنة 925 هـ . 1519 م ينتقم خير الدين لمقتل أخيه عروج ، فقام بتدمير الأسطول الإسباني أمام مدينة الجزائر . و تعد سنة 935هـ . 1529 م مرحلة هامة ، صعبة و شاقة ، ساهمت في التاريخ الحضاري الجزائري ، و هي التي حدث فيها قدوم الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية و استنجدوا بخير الدين الذي لبى مطلبهم و أرسل سفنا لنجدتهم و نقلهم و لم يتوانى في إكرامهم و تسهيل اقامتهم و ترك لهم حرية إختيار الأماكن التي ينزلون بها فإختار بعضهم مدينة الجزائر و آخرين فحص متيجة و آخرين نزلوا بشرشال و دلس و وهران و تلمسان[6].

---

(1) ــ عبد القادر نور الدين ، المرجع السابق ، ص . 50.

(2) ــ عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ، لبنان ، ص. 64.

(3) ــ نفسه ، ص ، 66 .

(4) ــ سمرة أوجيل ، أعمال المؤتمر العام الثالث للدراسات العثمانية حول الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني .ج 1و2 منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و المورسكية و التوثيق و المعلومات. 1990. ص213 .

(5) ــ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص .23.

(6) ــ نفسه ، ص.7.

نظام الحكم العثماني في الجزائر :

إتبعت السياسة العثمانية في تركيا ، في السنوات الا ولى لحكمها للجزائر سياسة خاصة ، بحيث منحتها نوعـا من الإستقلالية في تسيير شؤونها الداخليـة ، بعدما اطمأنت على الأمـن الداخلي بها و وصول الضرائب إليها بانتظام [1] و في سنوات تلت اتصف نظام الحكم بتعاقب عدة أنظمة سياسية و تطورات في المؤسسات الا دارية و تحول في الجهاز الإقتصادي و تكونت في مدينة الجزائر حكومة تضمت ثلاث سلطات ؛ سلطة مدنية و أخرتان قضائية و تنفيذية و كان يترأس السلطة المدنية شيخ يساعده في مهامه مجلس بلدي ، من مهامه الإهتمام بالشوؤن المدنية للمدينة ؛ كالأمن و النظافـة و جمع الضرائب أما السلطة القضائية فشملـت محكمتين بقاضيين و مفتيين ، أحدهما مالكي المذهب و الآخر حنفي.أما السلطة الثالثة فهي التنفيذية ؛ كان من مهامها تنفيذ الأحكام الصادرة عن السلطتين السابقتي الذكر. و هكذا نشأ ما يعرف بـ " ايالة الجزائر"[2] ** و تسمى الحكام بأسمـاء عديدة مثل البـاي لارباي الذي حكـم مابين سنتي 924 /997 هـ . 1518 و 1588 م ، الباشا ما بين 997 / 1069 هـ . 1588 و 1658 م والآغا الذي حكم من 1070هـ. 1659م إلى1082 هـ . 1671 م و كان آخر لقب للحاكم هو الداي و تراوحت فترة حكمه من 1082 هـ 1671 إلى 1246 هـ . 1830 م *** و قد حاز حكام الجزائر بإستقلالية أكبر عن الحكومة المركزية بإستانبول مقارنة بحكام مصر و سورية ، نظرا لأن السلطان لم يكن يملك هناك في القرن 11 هـ . 17 م أسطولا [3] . كما تطورت مؤسسات الدولة الجزائرية في جانبها الإداري حيث قسم العثمانيون إقليم الجزائر إلى ثلاث بايلكات ؛ بايلك الغرب حيث كان مقر الباي بمدينـة مازونة **** ثم تحول إلى

---

(1) ــ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ص . 19.

* عرف هذه التسمية في العهد العثماني ــ القرن 16 م ــ اضافة إلى اسم ، "جزائر الغرب" .

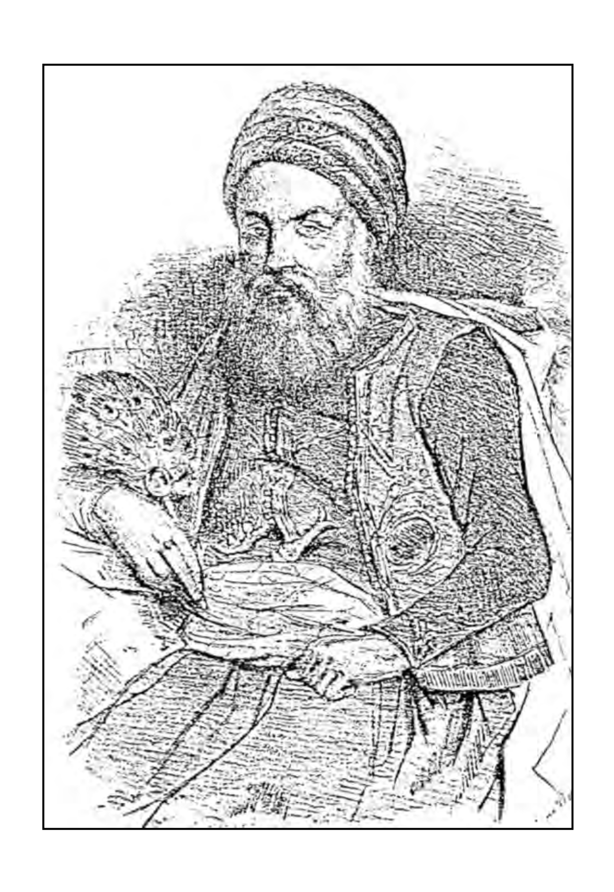
(2) ــ حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم وتعريب و تحقيق ، محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2005، ص .ص. 71.72.

** في هذه الفترة كان حكام الجزائر تحت الحكم المطلق للسلطان العثماني و بعد أن ضعفت العلاقة بينهما ، أعلن حكام الجزائر استقلالهم و أصبح لهم حرية التصرف .

*** و هي الفترة التي عاصر أواخرها حمدان خوجة و كتب مذكرته عن أهم أحداثها السياسية . و ذكر أن من مهام الداي أمر تطبيق القوانين المدنية ، العسكرية و تنظيم المالية العمومية و تعيين الوزراء و أعضاء الحاشية و الإشراف على حصون المدينة و تنظيم الجيوش و مراسلة القبائل وكان نظام الحكم يجمع بين الصبغة المدنية و العسكرية .

(3) ــ كارل بروكلمان ، المرجع السابق ، ص .619 .

**** توجد بجبال الظهرة ، شمال واد الشلف بين تنس و مستغانم.



حغ ٍيقاشا داي انضرطش 1818-1830

مدينة معسكر ثم إلى وهران . أما بايلك التيطري ، فكان مقره بمدينة المدية و بايلك الشرق ؛ كان مقر الباي به بمدينة قسنطينة . كما قسم كل بايلك إلى أقسام كثيرة يسمى كل واحد بالوطن و الذي يشمل على عدة أعراش و لكل عرش قائد. [1] و قد تميزت الجزائر و لاسيما في الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين بها عن باقي أقاليم الإمبراطورية العثمانية كادارة منظمة و عاصمة قارة ، بحدود معترف بها و روابط متفق عليها في باقي الدول و قد أصبحت دولة مكتملة السيادة ، لها كامل الصلاحيات في توقيع الإتفاقات و اقرار المعاهدات مع الدول الأوربية بدون الرجوع إلى الباب العالي و تمتعت بكامل استقلاليتها عن الدولة العثمانية [2]. أما من الناحية الإقتصادية كان القمح أهم منتجات البلاد و كان يصدّر منه إلى الخارج و لم تكن الحكومة تسمح بخروجه إلا برخصة كما كانت تقام أسواق أسبوعية في أرجاء القطر لبيع مختلف المنتوجات و لم يكن للأهالي اعانات من طرف الدولة ، لتنمية انتاجهم الزراعي ، بل كانت الجبايات كلها تحول إلى شؤون الدولة بالعاصمة أما فيما يخص العملات فقد كانت السكة تضرب بالجزائر من الذهب و الفضة و النحاس و كانت التعاملات الخارجية تتم بنقود أوربية بينما المعاملات الأخرى فكانت بالنقود المضروبة بمدينة الجزائر[3].

تفرعت عن مدينة الجزائر ثلاث طرق رئيسية ، أوصلتها بالشرق و الغرب و الجنوب و طرقا أخرى فرعية ، ربطتها بمدن دار السلطان الأكثر أهمية منها البليدة ، القليعة و شرشال [4] كما اشتهرت من المدن ؛ قسنطينة ، بجاية و جيجل شرقا [5] و وهران و معسكر غربا . و كان من العسير تقدير عدد سكان القطر الجزائري إلا أن بعض المؤرخين يقدره بحوالي ثلاثة ملايين نسمة دون إحصاء الجنوب الذي كان مجهولا إلى حد كبير و حظيت مدينة الجزائر وحدها بثلاثة آلاف نسمة [6]. و قد سادت اللغة العربية بين السكان المحليين أما الحكام العثمانيين فقد احتفظوا بلغتهم التركية و تعلموا فيما بعد العربية للضرورة الإدارية و الإجتماعية و بعضا من اللهجات المحلية و الإسبانية و الفرنسية و الإيطالية ، لضرورة التعامل الخارجي السياسي و الإقتصادي[7].

---

(1) ــ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص . 270 .

(2) ــ ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني ،ج4 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص. 15.

(3) ــ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص . 244 .

(4) ــ نفسه ، ص.271 . 272

(5) ــ نفسه ، ص 235.

(6). Mahfoud Kaddache , OPCIT ..P.3

(7) ــ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ، ص.271

إن الحكم العثماني الذي غالبا ما ميزته أعمالا توجهت نحو حماية الإقليم و المحافظة على دينه الإسلامي . صدرت عنه أحيانا ، أعمالا أثقلت الأهالي و أجبرتهم على التمرد في مرات عديدة مما دفع ببعض الكتاب إلى أن يصف هذه الفتـــرة بفترة الإنحطاط المدني [1] لتنتهي ثلاث عقـــود من الزمن و يحل بعدها إستعمارا ، لم يكن في أدنى صور وجوده بالجزائر في خدمة الأهالي فقد دمر مقومات المجتمع و ميراثه الفكري و العلمي و المعماري و أتى بأساليب إستيطانية بحتة .

الجزائر أثناء دخول الجيش الفرنسي :

لم يكن دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر بشكل مباشر ، إنما كان بشكل تدريجي و كان سببه المباشر هو زيارة القنصل العام الفرنسي دوفان للداي لتهنئته بالعيد سنة 1244 هـــ . 1828 م و دار بينهما حوار حول الديون التي تماطلت فرنسا في تسديدها إلى الجزائريين و سأل الداي قنصل فرنسا إذا و صلته من حكومته تعليمات بشأن تلك الديون ، حينها رد القنصل بالنفي و عدم استعداد فرنسا لإجابة مطالبه مع ألفاظ أخرى لا تليق بمقام الداي ، حينها ثار الداي حسين و لطـــم القنصل بمروحته أو منشفتـــه[2] و طلب منه مغادرة الجزائر و رحل القنصل إلى فرنسا في هذه السنة سلّط الأسطول الفرنسي حصارا على مدينة الجزائر و حدثت اشتباكات بحرية [3] و في سنة 1246 هـــ . 1830 م حققت السلطة الفرنسية ما كانت تطمح إليه منذ زمن بعيد و ذلك لضمان مركزا حربيا لها في شمال افريقيا منافسة بذلك قرينتها الإستعمارية انجلترا التي إحتجت على الإجتياح الفرنسي للجزائر و اتفقت مع الباب العالي ليأمر داي الجزائر بالتساهل مع فرنسا حتى يتم تدمير الجيش الفرنسي و هو في البحر و أرسل الباب العالي مندوبا إلى الجزائر لتنفيذ ذلك إلا أنه لم يصل حيث تم القبض عليه من طرف الفرنسيين ، مما عطل إقتراح انجلترا و بالتالي نزل الجيش الفرنسي إلى السواحل الجزائرية [4]. أرسلت فرنسا مبعوثا إلى الداي ، حمـــل إليه شروطا للصلح و عن سيمون بفايفر؛ إتفـــق بعض الوزراء و جميـــع الموظفين و الضباط و التجار و العلماء على التشاور و اتفقوا على التفاوض مع الفرنسيين وتمكن بورمون مـــن الضغط على الداي و طلب منه أن يسلـــم مدينة الجزائر طوعا أو

---

(1) ـــ اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص .11.

(2) ـــ فريد بك المحامي ، المرجع السابق ، ص . 447 .

(3) ـــ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص .44 .

(4) ـــ فريد بك المحامي ، المرجع السابق ، ص . 447.

قسرا و على اثرهـــا وقّع الداي مع بورمون معاهدة الإستسلام مع تعهده بحفظ الممتلكات و ديانة السكان المحليين و اثـــر وصـــول الجيش الفرنسي إلى سيدي فرج " كتب حسين باشا إلى القبائـــل و العرب ، يخبرهم بالنوايا العدوانية التي يضمرها لهم الفرنسيون و يأمرهم بأن يستعدوا...فأجابوهـــم بأنهم مستعدون و ينتظرون أوامـــر الباشا لنصرته" [1] و اقترب الجيش الفرنسي اقترب من السواحل الجزائرية و قام بتحطيم حامية سيدي فرج ، بالرغم من المقاومة و أمر الداي الآغا بالإنسحاب إلى سطاوالي* و عندها نزل الفرنسيون إلى البر [2] بالقرب من مدينة الجزائر تمكنوا من إحتلالها و دخلها الجيش الفرنسي بعد خروج حسين باي منها[3]. و استولى الفرنسيون تدريجيا على الممتلكات و من بين ما إستهوتهم تلك البناءات الضخمة و القصور الشامخـــة و يقول يحي بوعزيز في هذا الشـــأن و قد نال هؤلاء حظا وفيـــرا من نعيـــم تلك القصورو بهجتها سواء تلك التي بالمدن أو بالفحوص و كل أوربي دخل الوطن تلقى تسهيلات خاصة لإسكانه [4] و أغرب ما في الأمر أنه كان يمنع بيع و كراء المساكن للجزائرين ، و قد اتخذه الفرنسيون شرطا** في عقد البيع[5].

و استمر هذا الحال طول الفترة الإستعمارية و زاد من ضيق الحال القتل و التشريد و المتابعة التعسفية للاستعمار الذي تمادت يده إلى طمس كل معاني و ملامح التمدن الإسلامي و استغلال المعالم العمرانية ، مما أثر على انحسار الجانب الفني في الجزائر ، في هذه الفترة إلى درجة تلاشيه .

---

(1) ــ حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص .149 .

* عرفت بسطح الولي .

(2) ــ سيمون بفايفر ، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال ، ترجمة و تعريب و تقديم ، أبو العيد دودو ، الجزائر ، 1998 ص . ص . 77 . 88 .

(3) ــ فريد بك المحامي ، المرجع السابق ، ص . 447 .

(4) ــ يحي بوعزيز ، السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري ، 1830ــ 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995، ص .91 .

** الشرط هو : لا يجوز البيع للجزائريين .

(5) ــ يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص . 93 .

رابعا : متيجة و أهم أحداثها التاريخية :

متّيجة ، بفتح الأول و كسر الثاني و تشديده ثم ياء مثناة من تحت ثم جيم ، بلد في أواخر افريقية " [1] زارها ابن بطوطة ذاكرا إيّاها في رحلتــه مع جماعة من أصحابه في طريقــه إلى المشرق [2]. و لا يمكن الحديث عن مدينة البليدة ما لم نعــرج على التاريخ السياسي لمتيجة ، السهل الذي أسست عليه مدينة البليدة . و ما يمكن الوقوف عنده أن سهل متيجة الذي تنتمي إليه مدينة البليدة يعد منذ أزمنة غابرة من أحسن السهول المنتجة للمحاصيل الزراعية ، مما دفع إلى تسميتها بـــ " خزينة روما " [3] غير أنه يعتقد ــ في العهد العثماني ــ أن تربة هذا السهل ليس في نوعية تربة بقية سهول الإيالـــة من حيث جودتها [4] . و قد عرفت المنطقـــة أحداثا كثيرة منها ما تعــود إلى العهــد الروماني و أخرى إلى العهد الإسلامي الذي عرف توافد العرب و المسلمين ويعد العهد العثماني آخر تلك المراحل الإسلامية من حيث تميز أحداثها السياسية و مظاهرها العمرانية .

وفد إلى المغرب الإسلامي في القرن الثاني للهجرة جماعات أخرى من عرب شبه الجزيرة العربية و كان منهم العلويون المنحدرون من عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ و اختاروا السهل و الربوع الشمالية للمغرب الأوسط للاستقرار و ظل نفوذهم يتزايد بالمغرب الأوسط إلى أن كونوا ممالكا منها مملكة قزرونة بهذا السهل . و قد أخذت هذه الممالك في التقلص أواخر القرن الثالث للهجرة و ذلك لفائدة الدولة العبيدية ، كما ساعد الصنهاجيون الدولة العبيدية في تقويض الممالك العلوية في السهــل المتيجي و محو نفوذهم منـــه [5] كما خضعت متيجة إلى الثعالبة و المنحدرون من قبائـــل المعقل *الهلالية و ينسبه البعض إلى جعفــر بن أبي طالب و البعض الآخر

---

(1) ــ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، المجلد 5 ، ص

(2) ــ ابن بطوطة ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الا مصار و عجائب الا سفار ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2001 ، ص . 10.

(3) ــ مرآة متيجة ، مجلة اعلامية ، فصلية ، ولاية البليدة ، العدد 1، 1986 ، ص .23.

(4) ــ حمدان بن عثمان خوجة ، ، المصدر السابق ، ص .47.

(5) ــ حليمي عبد القادر ، مدينة الجزائر ، نشأتها و تطورها قبل 1830 ، الطبعة الا ولى ، 1972 ، ص ص .157. . 158

* أعراب المعقل بن ربيعة من بني الحارث نزلوا الجزائر في أواسط القرن الخامس للهجرة .

ينسبونه إلى قيس علان[1] و إن أعراب المعقل أول مانزلوا بأرض الجزائر، نزلوا بمساكن بني ملكان بن كرب الصنهاجيين ، مما يلي ملوية ، آخر مواطن بني هلال ...و كان من أعراب المعقل الثعالبة الذين انحدروا إلى بسيط متيجة فسكنوا بسهوله محتمين بصنهاجة . و قد ذكر ابن خلدون إنتساب المعقل إلى جعفر بن أبي طالب و الذي ملك أبناؤه متيجة في القرن الثالث فلا يستبعد أنهم بقوا هنالك بعد ذهاب ملكهم حتى نزل عليهم الثعالبة[2] .

وفد الثعالبة إلى سهل متيجـــة و ملكوه و" كانوا قبلهـــا بتيطيري ، نزلوها منذ عصور قديمـــة و كانت مواطنهم متصلة بالتلول الشرقية ... و تدرجوا في المواطن و نزلوا جبل تيطري و لما تغلب بنو توجين على التلول و ملكوا وانشريس و أغزي من ورائهم من بقية الثعالبة و استلحمهم و اكتسح أموالهم و غلبهم بعدها على تيطران و أزاحهم عنها إلى متيجة [3] حيث دخل هؤلاء إلى إيالة ملكيش من صنهاجة ، ببسيط متيجة و أوطنوا تحت ملكتهم[4] وقد كان هؤلاء الثعالبة مستضعفين عاجزين عن الترحال فاستقروا بالتل[5]. و ممن زار الثعالبة بسهل متيجة ، إبن تومرت ، سنة 513 هـــ .1119م حين عرج على العواصم العلمية و السياسية بالمغرب الإسلامي* [6] و حينها أكرمه الثعالبة و انضووا تحت ولائه إلى أن ظهر أمره بالمغرب و ساعدوه على بسط نفوذه في السهل المتيجي . و لما غلب المرابطون على المغرب الأوسط و قضـــوا على ملك صنهاجة استبد الثعالبة بهـــذا البسيط من أرض متيجة[7] و دخل يوسف بن تاشفين متيجة و توغل في سهولها إلى أسوار مدينة الجزائر إلا أن حصونها ردته عنها[8].

---

(1) ـــ حليمي عبد القادر ، المرجع السابق ، ص .159.

(2) ـــ مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،ص.199.

(3) ـــ عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص.73.

(4) ـــ نفسه ، ص. 76.

(5) ـــ مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص. 370.

* كمصر ، طرابلس ، تونس ، قسنطينة ، بجاية ، تلمسان فاس ، مراكش .

(6) ـــ مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص. 301.

(7) ـــ عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص.300.

(8) ـــ نفسه ، ص.408.

لما فتح الموحدون الجزائر ، أسندت إمارة متيجة إلى الثعالبة و كان ذلك سنة 548هـ - 1153 م الذين تمكنوا من بسط سلطانهم على كامل السهل و بنوا بتلك النواحي نحو الثلاثين حصنا[1] . و كان الثعالبة عونا للموحدين في تأسيس دولتهم و مد نفوذهم إلى متيجة و مدينة الجزائر و لذلك حماهم عبد المؤمن و أبناؤه و جعل منهم السيادة على مدينة الجزائر و ضواحيها سنة 548 هـ .1153 م . أما بعد سقوط دولة الموحيدن فقد تشتت الثعالبة بين دول المغرب ، من حفصيين بتونس ، مرينيين بالمغرب و زيانيين بتلمسان [2] و كانوا يوالون القوي من السلطتين الحفصية و الزيانية [3]. و توالت عليهم أساليب الأسر و النهب من طرف الزيانيين ، لرفضهم أداء المغارم ، و كانوا يرغمون على أداء دفعها بعد خروج الحملات إليهم و التي كانت منها حملة السلطان الزياني أبو حمو الثاني الذي خرج من تلمسان إلى متيجة سنة 771 هـ . 1369م و أخذ منهم جباية سنوات مضت و بعد عودته إلى تلمسان عاد الثعالبة إلى التآمر ضده ، مما دفعه إلى العودة إلى مدينة الجزائر سنة 718 هـ .1318 م ، فإستولى عليها و تمكن من تتبع الثعالبة و أسر منهم و نهب ، و لم يترك منهم إلا العدد القليل [4] و الذين أجفلوا إلى رؤوس الجبال و منهم من نزل مستأمنا بأبي حمو [5] . و يذكر ابن خلدون ، هذه الحادثة فيقول "... ثم تتبع إخوانه و عشيرته و قبيله بالقتل و السبي و النهب إلى أن دثروا ." [6] و خربت قصورهم و حطمت ديارهم و لم ينجوا منهم إلا القليل ، الذي التجأ إلى أحلافه بني مرين بالمغرب الأقصى [7] .

هلك الثعالبة بمتيجة " وزاد من إبادتهم الإستيلاء التركي الذي شتت شملهم و أهلك دولتهم " [8] ليخلفوهم بأرض متيجة و بكل إقليم الجزائر. و قد تتبع بفايفر ، الذي عايش أواخر الفترة العثمانية بالجزائر و شهد دخول الجيش الفرنسي إليها ، تتبع مراحل المقاومة الا ولى ، في مدينة الجزائر و سيدي فرج وأحداث متيجة التي يقول عنها أنه " كان يسكنها الفلاحون و العرب و يطلق

---

(1) ــ عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص .301.

(2) ــ عبد القادر حليمي ، المرجع السابق ، ص . ص.160. 161.

(3) ــ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج1، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1996 . ص202.

(4) ــ عبد القادر حليمي ، المرجع السابق ، ص. 161.

(5) ــ مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص . 372 .

(6) ــ عبد الرحمان ابن خلدون ، المرجع السابق .ص. 76.

(7) ــ عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص . 146.

(8) ــ عبد القادر حليمي ، المرجع السابق ، ص .161.

عليهـــم الأوربيون عادة إسم المـــور " * و يظيف " و لكني لم أسمع الجزائريـــون أبدا يستعملون هذه التسمية " و " يسكنون أكواخا حجرية أو طينية تعيسة و لا جدال في أن منطقتهم تعتبر أخصب منطقة في دولة الجزائر ، فهي تنتج الحبوب و جميع أنواع نباتات المناطق الحارة بنفسها ". كما أثر المناخ على سلوكهم ، فأخذوا منحى الخمول** و زادهم من تدهور حالتهم المعيشية كثرة الضرائب التي كانت تفرضها عليهم السلطة العثمانية[1] .

---

* يعتقد الأوربيون أن كل سكان متيجة من الوافدين الأندلسيين .

** أي كانوا يتحايلون في الإنتاج ، فلا يكثرون منه .

(1) ــ سيمون بفايفر ، المصدر السابق ، ص.160.

خامسا: مدينة البليدة ــ BLIDA ــ :

البليدة ــ بضم حرف الباء ــ أو بليدة ــ بسكونه ــ * ؛ مدينة جزائرية ، تقع في الجنوب الغربي للجزائر العاصمة و تبعد عنها بنحو 50 كلم . و هي في السفح الشمالي للأطلس التلي و تمتد إلى الطــرف الجنوبي لسهل متيجة ** في منخفض ممتــد من الشرق إلى الغرب بأكثــر من 100 كلم و المتوجه قليلا نحو الجنوب الشرقي و الشمال الغربي من جبال بني مناصر و شنوة إلى تلال بودواو و ثنية و عرضها يتراوح ما بين 15 إلى 18 كلم(1) و هي على إرتفاع 770 قدم . تبلغ مساحة إقليمها 72.08 كلم2 (2).

تجمع مدينة البليدة بين ثلاثة أنواع من أشكال تضاريس المنطقة , السهل ، السفح و الجبل(3) . تحدها ــ حاليا ــ بلديات وادي العلايق و بني مراد و بني تامو شمالا و بلديتا بوعرفة و الشريعة جنوبا و بلديتا أولا يعيش و قرواو شرقا أما من الغرب فتحدها بلدية بوعرفة و شفة ــ خريطة رقم:03. و للمدينة مؤهلات جغرافية هامة ، بموقعها المميز في مفترق طرق الا تصـــال بين الشرق و الغرب و الجنوب و بقربها من العاصمة ؛ شروط أهلتها لتلعب دورا هاما في المبادلات التجارية و حركة السياحة لمختلف المواقع المحيطة بها كجبال شفة و الشريعة و شواطئ البحر(4).

تحتل مدينة البليدة المرتبة الخامسة بعدما كانت السابعة من بين كبرى مدن الجزائر و التي منها ؛ العاصمة ، وهران ، قسنطينة ، عنابة و هو الإحصاء الخاص بسنة 1977 و الذي عتمد فيه على ارتفاع نسبة عدد السكان بها(5).

---

* تنطق الكلمة بدون ألف و لام و بسكون الحرف الأول ، رغم أن الكلمات العربية لا تبدأ بالسكون .

.** الممتد بين الأطلس و الساحل.

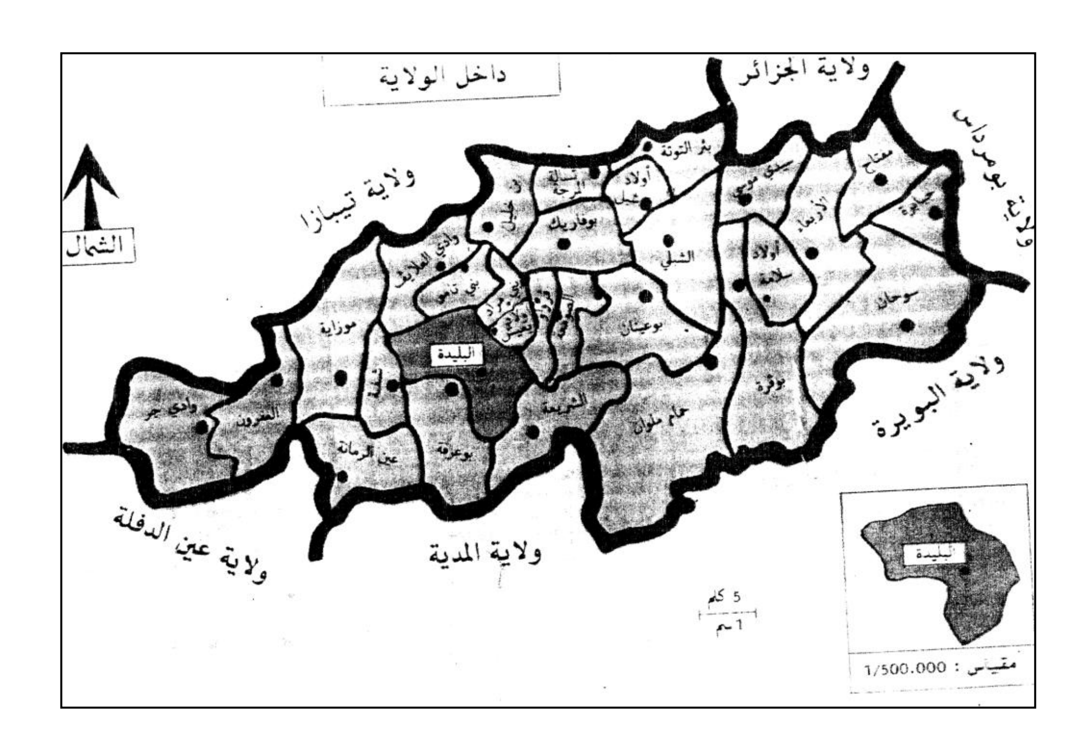
(1) Nacereddine SAIDOUNI . OP.CIT. P.33.

(2) ــ البليدة ، خمسة قرون من الحضور ، آفاق واعدة ، المجلس الشعبي لبلدية البليدة ، القرطبية للإعلام و النشر و الاشهار ، 2003. ، ص .17.

(3) ــ مونوغرافية البليدة ، العدد الثالث ، 1988 . ص . 11 .

(4) ــ نفسه ، ص. 28 .

(5) ــ نفسه ، ص. 14.



خريطة رقم : 03 . مدينة البليدة

يخترق هذه المدينة وادي سيدي أحمد الكبير الذي وفّر لها المياه المغذية لمنابع كثيرة أسهمت في إحاطتها بإخضرار من أشجار البرتقال و الزيتون و مختلف أشجار " الميموزا "* ، فعدت بذلك من أجمل المناطق بالجزائر[1].

يخضع مناخ مدينة البليدة لتأثير مزدوج ، متوسط مع خصائص قارية ؛ لفعل الجبال المطلة على المدينة من جهة و البحر الذي لا يبعد عنها كثيرا . و يخضع الطقس بها إلى التغيرات الموسمية أي ما بين الموسم البارد و الموسم الحار و اعتدال فصلي الخريف و الربيع و يكون الفصل الحار و الجاف ، ما بين شهري ماي و سبتمبر و تصل فيهما درجة الحرارة إلى 38° . أما الأيام الباردة و المطرة فهي مابين شهري سبتمبر و مارس و معدل الامطار بينهما من 500 – 700 ملم3 و درجة حرارة هذا الفصل لا تتجاوز 12 درجة مئوية .

مدينة البليدة في مؤلفات المؤرخين :

إن الغرض من التطرق إلى ما ورد عن مدينة البليدة في نصوص المؤرخين هو معرفة إمتدادها التاريخي و لنرى إذا كان تأسيسها في عصور قديمة أم أنه يرجع إلى زمن ليس بالبعيد .

عرفت مدينة البليدة في مؤلفات المؤرخين بتسميات مختلفة متنوعة ، نوجز ذكر بعضها ، فما ورد عن البكري أن " من أراد الطريق من تنس إلى تاهرت ... ومدينة الخضراء على مقربة من تنس و هي مدينة كبيرة على نهر خرار عليه الأرحا ، إذا حمل دخل المدينة ، حولها بساتين كثيرة يكتنفها من قبائل البربر ، مدغرة و بنو دمر و مديونة و بنو واريفن وهي بين مدينة تنس و مدينة اغرر، و هي افزرنة متيجة "[2] و ورد له نص آخر يشير فيه إلى قزرونة و لعلها هي مدينة البليدة و يرجح أنها عرفت منذ زمن بعيد بنهرها و مزارعها و يذكر " من أشير إلى المدية ... و منها إلى قزرونة و هي مدينة على نهر كبير عليه الأرحاء و البساتين و يقال لها متيجة و لها مزارع و مسارح

---

* نوع من الأشجار المزهرة ، زهرها بلون أصفر ، برائحة طيبة ، منتشرة في متيجة .

(1) ـــ يفر ، البليدة ، دائرة المعارف ، يصدرها بالعربية أحمد الشناوي و آخرون ، وزارة المعارف ، المجلد8 ، ص

(2) ـــ أبو عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، بغداد ، ص. 75.

و هي أكثر تلك النواحي كتانا و منها يحمل ، و فيها عيون سايحة و طواحين..." [1].

يحدد حمدان خوجة جيدا ما تميزت به مدينة البليدة عن بقية مدن متيجة فيقول " سكان البليدة يشبهون بعض الشيء سكان المتيجة ، غير أنهم أكثر منهم حضارة انهم يصنعون قماش المناديل التي تباع في مدينة الجزائر و برغم ذلك فإنهم فقراء ، لا يعرفون تجارة و لا صناعة ، مناخهم غير صحي" [2] .

في مراجع حديثة نجد أن " قزرونة كلمة رومانية ، هي مدينة البليدة حاليا ، أطلق عليها العرب إسم متيجة ثم عمموا إسم المدينة على السهل المتيجـــي ، حيث أطلقوا عليها فيما بعد سهل متيجة "[3]. كما وجدناه أيضا في مرجع آخر ، يذكر أن " إمارة متيجة ، و هي أرض فسيحة كلها سهل واسع يمتد من العلمة شرقا إلى (مارنكو) غربا. و يحدها من جهة الشمال مدينة الجزائر و جنوبا جبل بني صالح و بني ميسرة ، و متيجة إسم قاعدة هذه الإمارة القديم و يقال لها أيضا قزرونة ، و لعلها نفس المكان المدعو اليوم خزرونة ، قرب مدينة البليدة بأميال." [4] .

من خلال هذه المصادر و المراجع نجد تسميات مختلفة لمنطقة واحدة تربطها علاقة المكان و إن الأخذ بها له أهمية في تقريب العلاقة بين تلك المواضع ـــ الأماكن ـــ من جهة و من جهة أخرى تفتح مجالا واسعا للبحث في أصل تسمية مدينة البليدة وعلاقتها بقزرونة الحالية و متيجة . فهل أسست مدينة البليدة فعلا في العهد الروماني أم أنها تقوم على نفس موقعا الأصلي أم أنها فعلا كانت على موقع قزرونة التي على أميال من موقع مدينة البليدة الحالية ؟ .

---

(1) ـــ البكري ، المصدر السابق ، ص. 65.

(2) ـــ حمدان خوجة ، المرجع السابق ، ص. 53.

(3) ـــ عبد القادر حليمي ، المرجع السابق ، ص.157.

(4) ـــ عبد الرحمان الجيلالي اىمشخغان غقلق ، ص .249 .

حاول بعض الباحثين الخوض في أصل مدينة البليدة و وضعوا كل الفرضيات الممكنة لإكتشاف و تحديد أصلها و مما لا خلاف فيه أن مدينة البليدة من المدن التي حققت لنفسها ضربا تاريخيا و قياما ذاتيا و فتحت بذلك مجالا لترصدها بالبحث و الكشف عما خفي من تاريخها و سجلت بسهلها و جبالها و عمرانها مركزا حضاريا ميزها كثيرا و من خلال إطلالة على الإمتداد التاريخي للمدينة نتمكن من أخذ صورة عن ماضيها و ندرك ملامح وضعها لأطول زمن ممكن من تاريخها الذي يحمل جذوره إلى زمن يرجعه بعض الباحثين إلى العهد الروماني و إننا لا نقتحم مجال هذا الإمتداد التاريخي بالإعتماد على أقوال ارتجالية غير موثوقة التدوين و انما إستقاءا مما عثرنا عليه تصفحا في مصادر و مراجع نؤكد ندرتها و قلتها و قد حاولنا تفادي كل معلومة يكتسيها الغموض خشية الخلط و تفاديا لحشو و حرصا أيضا على الإقتضاب و تقصي الحقائق .

مع حرص الرومـــان على إستغلال المواقع الإستراتيجية و المسالك التي تسهـــل حركتهم و انتشارهم ، لا ندري حقيقة فعالية منطقة البليدة من حيث قدرتها أم قصورها في مد الرومان بمثل ذاك الإستغلال . و قد حاول بعض الباحثين الفرنسيين إعطاء هوية تأسيسية للمدينة تعود إلى الفترة الرومانية [(1)].إلا أن المراجع لا تحدد طبيعة أبحاثهم و تخصصهم معتمدين على رأي الرحالة الإنجليزي شاو ــ SHAW ــ * ، فقد زعموا أن البليدة مقامـــة على أثار بلدة رومانية تعرف بإسم BIDA COLONIA .[(2)] يعود ــ الكاتب ــ و يستبعد قيام البليدة على آثار مدينة رومانية ، من غير أن ينفي ذلك و يرى أنه لا يمكن أن يختار الرومان منطقة في منخفض ، لتأسيس مستعمرة دفاعية لهم[(3)]. و باعتبارنا أثريين و لطبيعة دراستنا ، نجزم فنقول أن أهم ما يمكنه تأكيد هذه الأقوال هو الحفريات الأثرية ، و الزائر لمدينة البليدة الحالية لا يجد بها آثارا تعود للفترة الرومانية . إلا أننا نجد إشارة إلى قيام حفريات لم يحدد تاريخهـــا و لا القائمين بها و أن الأبحاث بها لم تتـــم ، لسبب حدوث زلزالا ضرب المنطقة أحال دون إتمامها [(4)].

_ (1). Fiori lys et autres , Guide , blida , cherea, et leurs environs , blida , 1948 , p.5.

* من أشهر الرحالة الغربيين ، قطع افريقيا الشمالية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

_(2) C.TRUMELET,.BLIDA,récits selon la légende,la tradition et l'histoire,alger, 1887.p746

_ (3) C.TRUMELET opcit. P .747.

._ (4) Fiori lys . opcit . p.6.

و عليه ؛ يبقى أمر تأسيس مدينة البليدة على آثار رومانية محل شك و غموض ، نبرره بعدم عثورنا على ما يؤكد أو ينفي بشكل قاطع أمر التأسيس إلى حين العثور على إثبات مادي يمكن من خلاله الفصل في الأمر و ما يمكن الوقوف عنده أن سهل متيجة الذي تنتمي إليه مدينة البليدة يعد من أزمنة غابرة من أحسن السهول المنتجة للمحاصيل الزراعية ، مما دفع إلى تسميتها بـــ " خزينة روما "(1) غير أنه يعتقد أن تربة هذا السهل ليست في نوعية تربة بقية سهول الإيالة من حيث جودتها (2) .

مدينة البليدة في العهد العثماني :

نالت مدينة البليدة التي إمتد إليها نفوذ العثمانيين ما نالته بقية المدن من إنشاءات معمارية كالمساجد ، الدور ، الحمامات ، المقرات الإدارية ، المحلات التجارية و الأسواق ، الذين سجلوا بذلك إستقرارهم الذي دام نحو ثلاثة قرون فقد كانت المدينة في يد الآغا و ارتبطت به إرتباطا مباشرا بتوسط من الحاكم (3).

في عام 921 هــ .1515 م لم تكن مدينة البليدة سوى " دشرة "* من إحدى عشر كوخا ، في مكان يدعى حجار سيدي علي ــ مكان السوق الأوروبي ــ و كانت تحيط به بساتين من أشجار التين ، اللوز و الرمان ، تشكو الجفاف و كانت تسكن بها عشيرتان هما حجار سيدي علي و أولاد سلطان ــ في الحي الإسلامي ــ في هذه السنة ينزل بها أحمد الكبير أو سيدي** احمد الكبير ، الذي نكاد لا نعثر على سيرته و تاريخه في المنطقة و مراجع قليلة و تعد على الأصابع تتطرق إليه و هي من تأليف فرنسيين أمثال تريملي و آخر لعبد القادر نور الدين في كتابه صفحات و اتفقت الروايات في هذه المراجع و تروي قصة مجيئه إلى البليدة ؛ حيث جاء سيدي احمد الكبير من غرناطة التي بكاها بعد أن فقدها المسلمون و توجه إلى فاس بالمغرب و منها شد رحيله إلى سواحل الجزائر و قد إتفقت

---

(1) ــ مرآة متيجة ، المرجع السابق .ص . 23 .

(2) ــ حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص .47.

(3)_ C. TRUMELET .op.cit. .P.780.

* تستعمل الكلمة للدلالة على تجمع سكاني قليل العدد في شكل قبيلة .

** تضاف كلمة : سيدي ، للإسم الأصلي للشخص ، تقديرا له .

الروايات التي تتطرق الى مجيئه إلى البليدة ــ و التي لم تكن تسمى بعد بالبليدة ــ أنه إتبع في مشيه الضفة اليمنى لواد و استوقفه إلتقاء وادين و انشد إنتباهه إلى أشجار الزيتون الكثيفة ، توجــه نحوها و أبدى إرتياحه للمكان و بدت بسمة على وجهه . حينها شكر الله و صلى ركعتين و مالبث أن أقام كوخه هناك . و تطرقت الروايات إلى صلاحه و زهده و كرامات التي نالها نتيجة ورعه و تقواه حتى لقب بــ " المرابط " . و كأن الله منحه مهمة أخيرة لتحويل المنطقة بكرامته ، من جفاف و يبس إلى جنة عدن* .

عاين سيدي احمد الكبير المنطقة أياما افتقد فيها الوديان و المنخفضات و الغابات و زاد من فرحته اكتشافه لمنبع ماء(1) عمل على توجيه إلى وجهة واحدة ليروي ما جف من الأرض إلا أن هذا المنبع أصبح مصدر شقاق بين العشيرتين حجار سيدي علي و أولاد سلطان في أمر توزيع الماء بينهما . حدث أن تشاجرت العشيرتان مما أدى إلى مقتل شخص منهما ، و هو الأمر الذي أغضب سيدي أحمد الكبير الذي ضرب منبع الماء و الوادي داعيا لهما بالتوقف و كانت له الإستجابة و توقف المنبع عن التدفق و دام الأمر أربعة أيام مما أثــر على الزرع و النبات و الوقــت صيفا و اكتسى العشيرتان حزن بليغ و لم يجرأ أحد على التودد إلى سيدي احمد الكبير للإعتذار و توسطوا بشخص عرف بصلاحه هو الآخر يدعى ، سيدي مجبر ** ، تدخل لديه و لم يردّه سيدي الكبيرو عالج أمر فقدان الماء بضربه ثانية على صخرة بعصاه داعيا بتدفق المياه و تدفقت ، فما كان من سكان العشيرتين إلا التوجه إلى هذ الرجل الصالح شاكرين له و إستغل سيدي الكبير الأمر ليعيد لمّ شمل العشيرتين و التأليف بينهما .

بعد عشر سنوات من إستقرار سيدي الكبير في المنطقة أي في سنة 1535 م تقبل مجموعة من

---

* هكذا ورد عند : TRUMELET .

(1)_ FIORY . Lys . op.cit . P .4

**رئيس قبيلة بني خليل .

الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية و قرروا نصب خيامهم بالقرب منه لما سمعوا عنه من كرامات و صلاح و طلبوا حمايته إلا أنه في بادئ الأمر لم يرض سكان حجار سيدي علي و أولاد سلطان بإستقرار الأندلسيين بالقرب منهم ، و وافقوا تفاديا لغضبه ــ سبق لهم و أن أغضبوه في أمر توزيع الماء ــ ،[1] و تحت حمايته إستقر الأندلسيون بين عشيرتي حجار سيدي علي و حدائق أولاد سلطان الذين تركوا له الطرف الشمالي لممتلكاتهم ليمنحها لهؤلاء الوافدين[2] .

خير الدين في زيارة لسيدي أحمد الكبير :

في سنة942 هــ . 1535 م ، جاء حاكم الجزائر الباشا خير الدين لزيارة لسيدي أحمد الكبير و أوضح له ــ أحمد الكبير ــ سوء الأوضاع الإجتماعية التي يعانيها السكان المحليين و كذا الأندلسيين الوافدين الذين سبق لهم أن ألفوا حياة السكن اللائق في الأندلس . و التمس منه المساعدة في تحسين أوضاعهم المعيشية و تلقى سيدي أحمد الكبير القبول من الباشا خير الدين و فعلا أمده يد العون و قرر إنجاز مسجدا ، فرنا بسيطا و حماما على نفقته و بتدعيم منه و ترك حرية اختيار المكان الذي أنجزت عليه هذه المنشآت لسيدي أحمد الكبير و كان تشييد المسجد في الزاوية الشمالية الغربية لساحة الأسلحة ، يقابل مدخله الفرن في الناحية الشرقية ، أعلى مكان المجلس الحربي أما الحمام فشيد في زاوية ساحة الأسلحة و طريق باب السبت الحالي و أكواخ الأندلسيين جنوب مساكن حجار سيدي علي [3]. حول تلك المنشآت الثلاث ، أنشأ الأندلسيون مساكنهم و فعل ذلك أيضا سكان حجار سيدي علــي و أولاد سلطان و كانت مساكنهم من الحجر ، عوضتهم سكنى الأكواخ و كان تأسيس تلك المنشآت عاملا مهما في إندماج و تآلف الأندلسيين مع القبائل المحلية[4] و عاملا مساعدا في إستقرار الأندلسيين في المنطقة ، مما سمح بإنماء العلاقات بينهم و بالتالي كوّنوا النواة الأولى لملامح مدينة البليدة و كان هذا سنة942 هــ . 1535 م . و بذلك تعد سنة التأسيس الفعلية لمدينة البليدة ، برعاية سيدي أحمد الكبير و بمساعدة الباشا خير الدين .

---

(1) ــ FIORY LYS .OP . CIT . P 10

(2) TRUMELET . OP .CIT . P. 757

(3) ــ iBID P.P 158.759.

(4) ــ FIORY LYS .OP . CIT P 11.

إن من حكمة سيدي احمد الكبير و سعة نظره بتعمير مدينة البليدة بالأندلسيين كان له فائدة كبيرة للمنطقة فقد كان لهم الفضل الكبير في المساهمة في بناء منشآت المدينة ، يؤكد هذا قول لسعيدوني يذكر فيه أن " بفضل مجئ الأندلسيين أنشأت مدنا جديدة منها البليدة " [1] كما جلب هؤلاء الأندلسيون معهم ثقافة التشجير ، كان من أشهرها البرتقال التي سميت " شجرة الفاكهة الذهبية " [2].

وفاة سيدي احمد الكبير :

عاش سيدي احمد الكبير الذي خمس سنوات في رفقة الأندلسيين الوافدين و توفي عام947 هـ . **1540 م** عن عمر يناهز الست و الستين سنة ، في الليلة الخامسة عشر من شهر شعبان و دفن بالقرب من كوخه و قد خلفت وفاته حزنا شديدا في وسط السكان و إلى غاية عهد قريب مايزال يعترف البليديون له بفضل تأسيس مدينتهم و يكنّون له التقدير ، فهو الذي عاش فقيرا و كان اغتناءه من عطاءات الأوفياء من حوله[3] . و يشهد له التاريخ بمشاركته في المقاومات التي كان يخوضها القادة العثمانيين ضد الهجمات الإسبانية ، دفاعا عن العاصمة و المدن الساحلية و ذلك بتجنيده لقبائل بني صالح و بني خليل [4].

ترك سيدي احمد الكبير ثلاثة أولاد هم ؛ سيدي عبد العزيز ، سيدي بلعباس و سيدي المبارك.[5] و من شدة تعلق الناس به نسبوا معظم الكوارث التي حدثت بعده في المدينة ، كثرة سماع الذئاب و الزلازل التي هزّتها ثلاث مرات [6] و سجل الدكتور أبو القاسم سعد الله عن دفتر محكمة المدية أواخر العهــد العثماني وقائع الزلزال الذي ضرب المدينة سنة 1240 هــ .1824م و سجل ذلك بقوله : " ضربت الزلزلة في يوم 12 رجب و انهدمت البليدة ...على الساعة الرابعة ساعة (كذا) من سنة 1240 و استرسلت على الضرب و في آخر سنة 1254هــ ، جاء فيه ، زلزلة يوم الثلاثاء

---

(1) ــ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ج4 ، ص . 98.

(2) ــ TRUMELET.. OP .CIT . P 755 .

(3) ــ IBID, p 594.

(4) ــ البليدة ق زون خمسة ... المرجع السابق ، ص ص 5.3.

(5) ــ TRUMELET.. OP .CIT . P 595

(6) ــ FIORY LYS .OP . CIT . P 11 .

عند الزوال يوم 14 صفر ... وحدثت في سنوا ت تالية كان أعنفها ز لزال الخامس من مارس سنة1241 هـــ . 1825 م و الذي دمـــر المدينة و كاد أن يكون كليا [1] ، حيث طمـــر نصف سكان المدينة ـــ 3000 ساكن ـــ و من بقي غادرها و استقر في أكواخ شمال المساكن الأولى .

إثر حادث الزلزال و ما آلت إليه أوضاع السكان الا جتماعية ، بعث باشا الجزائر الآغا يحيا و كان قائدا عسكريا* [2] لتقديم الغغاثة للمدينة و اقترح على الناجين تغيير موقع المدينة و إعادة بنائها في موقع آخر يبعد كيلومترين شمال الموقع السالف و أول ماقام به أن بنى مسجدا ، كما بدأ بعض من السكان في بناء مساكنهم . إلا أن الآغا يحي رأى حلما أخبره فيه سيدي احمد الكبير ، أن تغيير موقع المدينة غير مجد ، أوقف الآغا على التو أشغال المدينة الجديدة التي بقي منها بعض أطراف السور في طريق " جوانفيل " و الذي كان من المفروض أن يحيط بالمدينة و بذلك عاد السكان إلى موقعهم الأول[3] و أصبحت فيما بعد مدينة البليدة منفى الآغا يحي ، حيث عزل عن منصبه و كان سبب نفيه تآمر " الخزناجي " ضده [4]. حيث اتهم بعقد الا جتماعات في بيته مع رؤساء العرب و القبائل لغرض مهاجمة مدينة الجزائر و الإستيلاء على الحكومة و تم إقناع الباشا بخيانـــة يحي آغا و على إثر ذلك أمر بإعدامه و هو القائد العسكري المحنك ، فكان قتله ـــ حسب حمدان خوجة ، الذي كان عينا حيا للوقائع و الا حداث ـــ أكبر خطأ قام به الداي حسين .

عرفت البليدة كوارثا أخرى تتالت و تنوعت ، فمن انتشار الجراد إلى وباء الطاعون سنة1241 هـــ . 1825م الذي عاودها و كانت تسترجع أنفاسها في كل مرة و لكن ببطء و تأتيها مرحلة أشد على كل الإقليم الجزائري و هي مرحلة يضع فيها الجيش الفرنسي أقدامه على أرضه بصمات أخرى .

---

(1) ـــ FIORY Lys .OP . CIT . P.13

* عمل على هذا المنصب لمدة اثنى عشر سنة صاحب فضل كبير على أحمد باي ، حيث ساعده على تدعيم سلطته شرق الإيالة

(2) ـــ حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص. 150 .

(3) ـــ FIORY Lys .OP . CIT . P.14

(4) ـــ محمد حمدان خوجة ، المصدر السابق ، ص ص . 150. 151

معالم مدينة البليدة أواخر العهد العثماني :

إن مدينة البليدة حصيلة تحولات و تطورات متلاحقة و متداخلة ، لكل فترة منها رصيد عمراني أظيف إلى سابقه و اجتمعت بصمات الأجيال رغم اختلافها و أعطت لها شكلا متناسقا متكاملا مؤهلة عمرانيا ــ بشريا و معماريا ــ للإستقرار، كما هو شأن كل حضارة ؛ ببداية تتمثل في إستقرار ساكن يتوجه فكره إلى تحقيق مدينة مستقبله .

إن أهم ما يساعد على دراسة التطور العمراني لمدينة البليدة هو مؤلفات المؤرخين و كذا مورفولوجية المنطقة التي تدخلت في تحديد شكل المدينة و الخرائط التي تحتفظ بها مديرية الثقافة لولاية البليدة ــ و هي تبين التوسع الواضح للمدينة بداية من القرن السادس عشر (16 م) إلى القرن التاسع عشر(19م) ميلادي الذي إتسم بالتدرج و التطور الملحوظ و ذكر الرحالة شاو أن مدينة البليدة عرفت ألف تطور[1] ، قد يبدو تعبيرا مجازيا إلا أنه يحمل دلالة حقيقية على التغيــر و التطور الذي عرفته المدينة و الذي يمكن تتبع مميزاته ، منذ ظهور" النواة الأولى " التي شكلت " المدينة الأم " بلستقرار بسيط على شكل مجموعات سكنية في أراضي زراعية و بممتلكات محدودة إلى غاية أواخر العهد العثماني ، حيث توسع عمرانها و كثر البناء بها و عرفت المدينة أواخر العثماني معالم عمرانية هامة ، تنوعت بين دينية و مدنية فقد كان بها إحدى عشر مسجدا للصلوات الخمس ، و ذلك قبل أن يضربها زلزال 1241هــ . 1825 م [2] و أشهر ما شيد بها أربعة هي جامع سيدي أحمد الكبير المذكور سالفا ، اندثر و لم يبق له أثر و مسجد بابا امحمد و هو ما يعرف بجامع باب الجزائر ، إندثر هو الآخر . أما جامع سيدي أحمد بن سعدون فقد شيد في طريق كولوغليس و الجامع الحنفي التركي أو ما يعرف بجامع الترك فشيد في طريق المقهى الكبير، و هما مسجدان قائمان إلى يومنا هذا .

بنيت المساجد الثلاث الاخيرة بتدخل الباشوات و ذلك بتقديم إعاناتهم و أحيانا أخرى كانت تبنى من عطاءات السكان المحليين و يذكر تريملي إسم مسجد آخر عرف باسم مسجد القايد أحمد بن قدور

---

(1) TRUMELET. OPCIT . P.885.
(2) IBID . .P.887.

و الذي تحول إلى " مسيد "* في الفترة الإستعمارية[1] .

إحتوت مدينة البليدة ـــ أيضا ـــ على الأحياء السكنية ، كحي البقعة في الشرق ملتصق بالسور و حي الجون القصير و حي الجون الطويل [2] و قصبة أنشأت في الجنو ب الغربي للمدينة من طرف الأتراك لأسباب سياسية ، عسكرية ، ضد سلطة قبائل بربر المنطقة . كان بها حومة حجار سيدي علي و حومة باب الزاوية و الخويخة شمال المدينة و مجموعات سكنية أخرى مدخلها باب القبور مثل سعودة و بوعرفة[3] .

كانت تخترق هذه الأحياء طرق رئيسية و أخرى فرعية ، حيث شكل الطريقان الرئيسيان محورين يقتربان من التعامد ، يتجه الأول من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ـــ من باب الرحبة إلى باب السبت ـــ و الثاني من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ـــ من باب الجزائر إلى باب القبور ـــ [4] و يلتقيان في مركز المدينة عند ساحة أول نوفمبر و هما طريقان واسعان . أما الممرات في الاحياء فكانت أقل عرضا إن لم نقل ضيقة و كانت مسقوفة بالقصب لحماية المارة [5] . و حملت بعضا من شوارع المدينة** ، إلى العهد الإستعماري أسماءا تذكر ببناة مدينة البليدة و هم الأندلسيين[6] و بلغ عددها تسع و عشرين طريقا و بإسم عربي[7] .

---

* بمعنى مدرسة .

(1) _ TRUMELET . OP .CIT P. 877 .

(2) _ IBID. P888

(3) ـــ البليدة ، خمسة قرون ، مرجع سابق ، ص. 7.

(4) _ TRUMELET. OP.CIT P.891

(5) _. SAIDOUNI. OP.CIT . p. 75.

(6) _. TRUMELET. OP.CIT . P. 891

** للتعرف على أسماء الأحياء أنظر: TRUMELET مه ص 892إلى 893.

(7) _. TRUMELET . OPCIT P .89

أحيطت المدينة بسور من صلصال [1] و بلغ محيطه 1560 م[2] كما إحتوى على منازل أسوار"[3] و أقيمت خارجه المقابر و الأسواق [4] و وجد خارجه أيضا الوادي الذي كان يجري من الجنوب إلى الشمال الغربي.و حدد هذا السور شكـل المدينة و سمح بالنفاذ إليها عبر أبواب ست ــ خريطة رقم 04 .ــ فتحت به ، موزعة على إتجاهات أربع و مواقعها كالتالي :

باب الرحبة : الرحبة و التي تعني سوق أو مربض الدواب ، جنوب المدينة و كان يقام أمامه سوق تميز بتجارة الحبوب ، الزيوت و المواشي و كان يؤدي إلى جبل الشريعة و المناطق الغابية ، و منه إلى زاوية سيدي أحمد الكبير و هو الباب الذي تفد منه القبائل المجاورة إلى المدينة ، كبني ميصرة و بني علي و بني صالح و غيرهم .

باب القبور : غرب المدينة ، كانت تتقدمه مقبرة و تمكن من خلاله التوجه إلى ضريح سيدي يعقوب .

باب السبت : شمال المدينة ، عند مدخل كان يقام سوق السبت .

باب الزاوية : في الشمال الشرقي يفتح على طريق زاوية سيدي مجبر .

باب الجزائر : يوجد شرق المدينة ، بمحاذاته جامع بابا امحمد و مع الزمن توسعت أمامه مقبرة للعرب كما عرف بنشاط و حركة خاصة فيه نظرا لانفتاحه على الطريق المؤدي لمدينة الجزائر.

باب الخويخة : يقع في الجنوب الشرقي للمدينة و يعرف بباب النجدة و هناك من يقول أن تسميته تصغير لشجرة الخوخ و آخرين يرون أنها لفظة تركية .

أما الباب السابع فهو باب القصبة و هو باب ثانوي .

إن ما يشد الإنتباه في النسيج العمراني لمدينة البليدة في العهد العثماني هو الطريقين الرئيسيين و التقاءهما عنـد المسجد الأول إضافة إلى تنـوع البناءات الدينية و المدنية في الأحياء ، مما أعطى

---

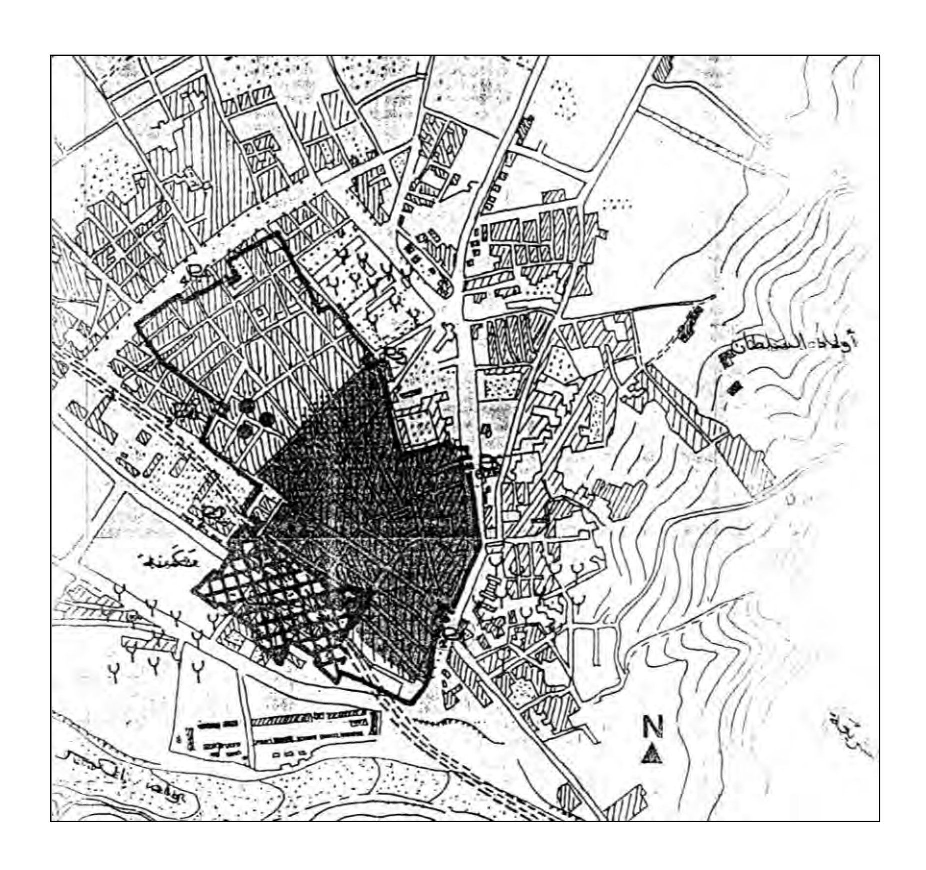
(1) ــ TRUMELET . OP .CIT. P .885

(2) ــ SAIDOUNI. OP .CIT . p 75 .

* اضافة إلى الأبواب السالفة الذكر نظيف ،باب الزاوية و باب الخويخة

(3) ــ TRUMELET. OP .CIT. P.885 .

(4) ــمشآج متيجة ، المرجع السابق ، ص23



ب1 باب الرحبة . ب2 باب القبور — المركز العمراني الأول /••• مركز تجاري

ب3 باب السبت ب4 باب الزاوية

ب5 باب الجزائر ب6 باب الخويخة

خريطة رقم : 04 مدينة البليدة قبل العهد الإستعماري .



البليدة . باب الجزائر.



البليدة . باب الرحبة .

صورة واضحة لهيكلها العمراني وفق تصور إسلامي للحياة الحضرية للمدنية الإسلامية و التي دعّم فيها خير الدين باشا الحرفيين و السكان و أصحاب الصناعات[1]، ليتمكنوا من عيش في ظروف تأهلهم للمشاركة العملية التي تناسب المدن المتحضرة .

حاليا تحتفظ مدينة البليدة ببعض من تلك المعالم ، كآثار تشهد للعثمانيين حرصهم على التعمير و من أهم ما بقي منها المسجدين ابن سعدون و المسجد الحنفـي التركـي و أهم الأحياء ، الدويرات و الجون و هي تحتفظ بنسبة كبيرة من تكوينها و تكوين مساكنها من حيث الأصالة المعمارية ، منذ العهد العثماني. هذا الأخير الذي بقيت فيه مساكن و حمامات و معالم أخرى منها ما اندثرت و منها ما هدم .

سكان مدينة البليدة في العهد العثماني :

تؤكد بعض المعلومات التاريخية أن أصل سكان مدينة البليدة جبليين ، إشتهروا بالمرح و اللهو ، و هو ما يذهب إليه " حمدان خوجة " في قوله " سكان مدينة البليدة معظمهم من الجبلين الذين تحضروا لتحسين أوضاعهم و هم يشبهون بعض الشئ سكان متيجة ، إلا أنهم أكثر حضارة ، يصنعون قماش المناديل التي تباع في مدينة الجزائر و بالرغم من ذلك فهم فقراء ، لا يعرفون تجارة و لا صناعة و مناخهم غير صحي "[2] ... عمومـا يعرف عنهم أن مزهم الأندلسيين و المغاربـة و اليهود و بني ميزاب و قد إشتهروا بمرحهم و حبهم للهو "[3].

اذا ؛ فتركيبة سكان مدينة البليدة ، مزيج من تلك الفئات المتنوعة ، بين أصلية و وافد ة تعايشوا سلما و نزاعا و كانت المدينة كفيلة بأن تجمع بين أفراد مختلفي الجنس و الإنتماء و بالتالي الأفكار ، إستطاعت أن تشكل منهم وحدة في تجانس عمراني ، تعايشوا رغم الإضطرابات و النزاعات الداخلية و فيما يلي تفصيل للتركيبة السكانية لمدينة البليدة و أماكن توزعهم :

---

(1) ــ البليدة ــ خمسة قرون ... ــ ، المرجع السابق ، ص .5.

(2) ــ حمدان بن عثمان خوجة . المصدر السابق ، ص. 248.

(3) ــ يفر ، المرجع السابق .

ـــ أولاد سلطان :

شغل أولاد سلطان المنطقة الداخلية للناحية الجنوبية من المدينة ، بين الطريق الحالي ، الشهداء و السوق العربي.

ـــ حجار سيدي علي :

ينتمون إلى قبيلة بني خليل و استقروا في حيهم و المعروف بإسمهم "حومة* حجارسيدي علي" في وسط المدينة في الناحية الشمالية ، في المنطقة المعروفة بالسوق الأوربي ، مدخلها بن " باب الجزائر " [1].

ـــ بني خليل :

بني خليل ، فئة هامة من مجموع سكان المدينـــة ، اعتبر موطنهم الأكثر خصبا في متيجة [2] وكانوا يثورون من حين لآخر ضد الأتراك و كانت آخر ثورة لهم على عهد الداي حسين[3] .

ـــ الأتراك :

أقام العنصر التركي في الشمال الشرقي للمدينة و كانوا سادتها و حكامها و شغلوا الوظائف الا دارية و انفردوا بملكية الأراضي[4] و لم يكن للسكان الا صليين حكما أو سلطة إدارية و لم يتمكنوا من اعتلاء المراتب العليا[5] حيث فرض العثمانيون سيطرتهم و استغلالهم لتلك المراتب و احدثوا بذلك طبقية في بنيـة السكان و من هذه الفئـــة كان هناك الكولوغليس

---

* تسمية شعبية ، مرادفة لكمة ، الحي.

(1) ـــ البليدة ، رونق خمسة ، المرجع السابق ، ص 5.

(2) ـــ Naceredine SAIDOUNI,.OP . CIT . p.95 .

(3) ـــ IBID , p126.

(4) ـــ TRUMELET ..OP . CIT .P . 77 .

(5) ـــ IBID .P. 770.

و الذين اعتبروا حامية البليدة[1] و كان عددهم بين البليدة و القليعة 490 فردا ، و نتجت هذه الفئة عن تزاوج الأتراك مع الجزائريات[2] و يقول سيمون بفايفر في هذا الشأن " و المعروف أن الأتراك لايجلبون معهم تركيات إلى الجزائر و انما يتزوجون بنات العرب و الأطفال الذين ينشؤون عن هذا الزواج ، يسمون كراغلة و لكنهم يعدّون ثانية من عرب البلد "[3].

مع انتشار الإنكشارية في مدينة البليدة ، كثرت مظاهر اللهو كالحفلات ، التي كانت تقام في سائر الأيام* إلى أن ساءت سمعة المدينة إلى درجة أن وصفت المدينة بالمنحطة [4].

ــ الأندلسيون :

شغل الأندلسيون المنطقة الجنوبية لضفة وادي سيدي الكبير و تسمى البليدة العاليا ، مع مرور الزمن إنزاحوا نحو غرب المدينة و كانوا صناع المدينة و أتقن معظمهم أساليب الزراعة و تخصصوا في السقي و أنشؤوا شبكات الأحــواض و ساقيات لتوزيع المــاء من الوادي الكبير باتجــاه الشمــال و الشرق . و وصفوا بخبراء فن السقي فجعلوا المنطقة من أجمل و أوسع المناطق في عمالة الجزائر و ذلك بفضل غرسهم لأشجار آلفوها في غرناطة و بفضلهم توسعت الزراعة و أحيطت المدينة بحزام أخضر براق معطر ... هي عوامل أهدت للمدينة استحقاق ا جماليا وصفها سيدي احمد بن يوسف الملياني قائلا عنها "سموك البليدة ، أنا أنسميك الوريدة "[5].

ــ البربر :

ما ميز هذه الفئة من سكان مدينة البليدة هو اعتنائها بتربية الدواجن و انتاجها .

---

(1) ــ TRUMELET .OP . CIT p 777

(2) ــ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ج4 ، ص .92.

(3) ــ سيمون بفايفر ، المصدر السابق ، ص .166.

* كثرت الحفلات و كانت تقام في كل ساعة من اليوم و الليلة .

(4) ــ TRUMELET .OP . CIT pp 750.752

(5) ــ IBID . P 759.760 .765.

ـــ الميزابيون :

حاز الميزابيون على نصيبهم الهام في التعاملات التجارية ، فاشتغلوا في الجزارة و الحبوب و الفواكه و الفحم و تجارة جلد الضبي[1]. و لم تقتصر تجارتهم على مدينة البليدة ، حيث كانوا سادتهــا في مدينـــة الجزائر و منحهم الدايات منـــذ قـــرون امتيازات خاصـــة ، فسيّروا الحمامـــات و الطاحونات و اشتغلوا في الخبازة ، القصابة و صناعة الحلوى[2] .

ـــ اليهود :

أقام اليهود في طريق " عبد الله " بالبليدة و اشتغلــوا هم أيضا في التجارة و تحكموا فيها [3]. و اشتهروا بالغش و عدم الصدق في تعاملاتهم التجارية[4]. و لم يقم يهود الجزائر في العهد العثماني بنشاطهم التجاري بشكل عشوائي و انما كان بطريقـــة منظمـــة ، فكانت لهم تجارة مـــع تونس و فاس و اسغنـــوا من تجارتهم ، رغـــم هذا عرف منهم الفقراء [5] و كان منهم تجار الصياغة ، الزجّاجون و الخياطـــون و الحـــدادون و اشتهر لديهم مشـــروب خاص يصنـــع من التيـــن الجاف ، عرف بـــ " العرق" [6]. " و لم يضطهد أبناء اسرائيل و لم يحقروا فيأي مكان آخر مثلما اضطهدوا و احتقروا في مدينة الجزائر " [7] هكذا عايش أحداثهم سيمون بفايفر ، حيث كانت تطبق قوانين صارمة تجاههم من طرف حكومة الداي و من تلك القوانيـــن ما حددت طريقة لباسهـــم فقد منعوا من إرتداء ملابس باللون الأخضـــر و الذي كان للمسلمين أما الأحمـــر فكان للأتراك . و منعوا مـــن إرتداء البرنوس الأبيض و الشاشية و العمامة و سمح لهم فقط بالألوان الداكنة و لم يسمح لهم بحمل السلاح ولا الخروج ليلا

---

(1) ــ TRUMELET .OP . CIT p . 782 .

(2) ــ سيمون بفايفر ، المصدر السابق ، ص .163.

(3) ــ TRUMELET .OP . CIT p 780

(4) IBID. p. 781.782

(5) _ MOHAMD SADEK MESSIKH, El-djazaïr, la mémoire, édition raïs, p.p.29.30.

(6) ــ سيمون بفايفر ، المصدر السابق ص . 182.

(7) ــ نفسه .ص . 181

و اذا فعلوا فبشمعة فقط و بعد السادســـة مساءا لم يكن يسمـــح لهم بالتجوال إلا بتصريح من السلطـــة العليا[1] . و رخص لهم لإتخاذ بيعة و إقامة العبادة مقابل دفع إتاوة [2] .

الحياة الإقتصادية بمدينة البليدة :

وجدت بمدينة البليدة ، محلات للنجارين ، الحياكين و الدباغين و غيرها ، منها ما كان شرق المدينة و بضواحي ساحة السوق الأصلي ، حيث إختص المكان بالصناع من الأبناء المحليين لصناعة الجلد المطروز و الخشب المنقوش و كانت هناك مدرسة خاصة بصناعة السجاد[3] .

أما عن التجارة ، فقد كانت مدينة البليدة مركزا للتبادل التجاري بين التل و الصحراء و قد تمكن رؤساء القوافل من جمع ثروة لا بأس بها من أعمال التجارة [4] التي لم يكن للأ تراك ــ الإنكشارين ــ فيها علاقة بالتجارة[5] و بنشـــاط الأندلسيين في الزراعـــة إزدهرت المدينـــة بسرعـــة و أصبحت في زمن قصير مستودعا و مخزنا للعمليات التجارية لمدية و العاصمة و الجنوب و مدن الساحل[6] .

مع بداية القرن السابع عشر ميلادي ، حدث توسع للمدينة و كان جهة الجنوب الشرقي ، يعود إلى توسع النشاطات المعمارية نتيجة الكثافة السكانية و يمكن إرجاع سبب الإتساع نحو هذه الجهة إلى العامل المورفولوجي ، لوجود الجبال في الجنوب و وجود واد ي سيدي احمد الكبير في الجهة الجنوبية الغربية ، اللذان شكلا حاجزا طبيعيا معيقا للإنشاء و التوسع .

---

(1) ــ MOHAMD Sadek messikh.op.cit.p30

(2) ــ سيمون بفايفر ، المصدر السابق ، ص . 181.

(3) ــ. Fiori lys. OP . CIT . p52

(4) ــي فــز ، المرجع السابق .

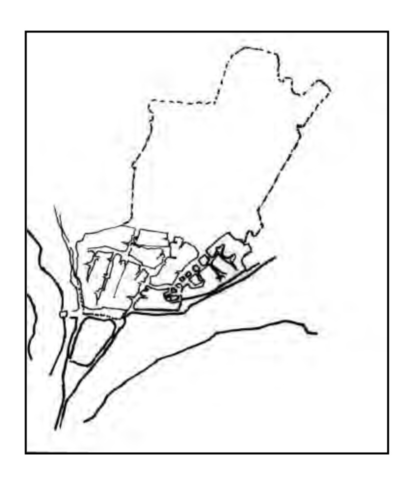
(5) ــ TRUMELET .OP . CIT p 783

(6) _ IBID.p.783.

في نهاية هذا القرن و بداية القرن الثامن عشر ، يسجل إستمرار آخر في التوسع و هذه المرة نحو الشرق . أما في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر فقد عرفت المدينة توسعا كبيرا نحو الشمال و مع كل توسع ــ الخرائط أ .ب . ج . د ــ كانت تحتفظ المدينة بأجود ما إمتلكت وهي أشجار البرتقال ــ الحمضيات ــ ، التين ، الزيتون و العنب ، إلى أواخر العهد العثماني [1] .



ـ أنقشن لخا مظ عشر



ـ بانقشنانغ ادط عشر



ـ جانقشن السابع عشر وتذالخقشانثام ه عشر



ـ د ـ و هالخقشانثامن عشر وتذالخقشن ارزاعغ عشر

الخرئط : أ .ب .ج .د :طىساريغحانعشولً نمنئخثذج .

مدينة البليدة و دخول الجيش الفرنسي إليها :

في توجهه إلى المدية ، مر كلوزيل القائد الأعلى للجيش الفرنسي بمدينة البليدة و التي دوّن فيها بيانه الذي نشره في المدية ، يؤكد فيه وعود المارشال بورمون .* و عند إقتراب الجيش الفرنسي من البليدة فر معظم الأهالي إلى الجبال و سنحت هذه الفرصة للفرنسيين بأن تركوا فيها حامية صغيرة من 600 فرد ، حينها إتفق الجبليون مع بعض سكان المدينة على مهاجمة تلك الحامية ، إلا أن الجنرال كلوزيل ، عاد إلى مدينة البليدة و اثر علم المحليين بعودته ، فروا و تشتتوا و لم يسلم من بقي في المدينة ، من المجزرة الرهيبة التي أحدثها الفرنسيون فيهم بأعمال وحشية [2]. و بهذا ، تمكن الجيش الفرنسي من الإستيلاء على مدينة البليــدة و نجح في بث الفرقة و الأحقاد بين سكان المدينة و الجبليين[3].

و مما يشهد به حمدان خوجة أيضا أن الجنرالات الفرنسيين لم يتوانوا في الإستيلاء على مساكن المدن و الفحوص سواء كانت ملكا للأتراك أو للسكان المحليين[4] .

---

(1) ــ Nacereddine SAIDOUNI ..OP.cit .p78.

* من تلك الوعود : إحترام الأملاك و التجارة و الصناعة و النساء و السماح بالديانة المحمدية . انظر محمد حمدان خوجة ، المرآة ص ص 167 ــ 172.

(2) ــ عن تفاصيل المجزرة انظر محمد حمدان خوجة ، المرجع السابق ، ص . 216.

(3) ــ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق ، ص. 44.

(4) ــ نفسه ، ص .ص. 206.207.

الفصل الثاني

المساجد و الأضرحة

أولا : المساجد .

ثانيا : الأضرحة .

أولا : المساجد :

المسجد ــ بكسر حرف الجيم ــ إسم لمكان السجود و المسجد بالفتح جهة الرجل ، حيث يصيبه السجود و المسجد بكسر الميم الخمرة و هي الحصير الصغير [1] من السعف ، قدر ما يسجد عليه . ذكرت أم سلمة أن النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ قال لها " ناوليني الخمرة " [2] ــ بضم حرف الخاء ــ و للشهرستاني وصف للخمرة في قوله " هي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة خوص و نحوه من النبات ... " [3] و سميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها . و المسجد ، بيت الله الذي يذكر فيه إسمه ، يقول الله تعالى " و أن المساجد لله " [4] و يقول أيضا " في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها إسمه "[5].

للمسجد مفهوم لغوي و إصطلاحي و شرعي ، فالمسجد كلمة من فعل سجد ، والسجود لغة يعني وضع الجبهة على الأرض ، و تلفظ كلمــة سجد بكسر كلمة حرف" الجيم "[6] أما شــرعا فهــو " الموضع الذي يسجد فيه " ، لقوله ــ صلى الله عليه و سلم ــ " جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا " . وهي خاصة تميزت بها الأمة الإسلامية ، دون غيرها من الأمم ، حيث أحلت للمسلمين الصلاة في كل موضع من الأرض بإستثناء المتيقن من نجاستة[7] و اقترن إسم المسجد بالسجود لإعتبار السجود " أشرف أفعال الصلاة "[8] .

---

(1)ــ سعاد ماهر، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ص .29 ــ عن التصحيف للمعسكري ــ

(2) ــ نفسه ، ص .29.

(3) ــ نفسه ، ص. 29 ــ عن الشهرستاني ــ

(4) ــ قرآن كريم ، سورة الجن ، الآية 18.

(5) ــ قرآن كريم ، سورة النور ، الآية 36.

(6) ــ عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، 2000 م ، ص. 282 .

(7) ــ طه الولي ، المساجد في الإسلام ، ص . 282.

(8) ــ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص 29 .

أما لفظ " جامع " فيعني المؤلف بين الأشياء و الضام لما تفرق منها [1] و ذلك دلالة على الجمع و الجماعة و المجموعة . و الجامع شرعا ، يطلق على المسجد الذي تقام فيه الجمعة ، لوجود المنبر و لم يعرف العرب في الجاهلية لفظ " مسجد " ، إلا أنه و رد في النصوص النبطية بمعنى " معبد " .

عند المالكية الجامع هو الذي تقام فيه صلاة الجمعة و يسمى الجامع الأعظم ، أما عند الحنفية فالجامع ، من له إمام و مؤذن ، سواء أديت فيه الصلوات الخمس أم لم تؤد [2] أما المصليات ، فهي مساجدا صغيرة ، تبنى في الأحياء و المدن للصلوات الخمس .

أطلق لفظا المسجد و الجامع للتميز بينهما لا من حيث التخطيط و الحجم و لكن من حيث إقتصار المسجد ـــ غالبا ـــ على الصلوات الخمس والجامع على صلاة الجمعة و الصلوات الخمس فكل جامع مسجد و ليس كل مسجد جامع . حدث و أن كتب عمر ابن الخطاب إلى عمر بن العاص عامله على مصر و إلى أبي موسى الأشعري عامله على البصرة و إلى أمراء أجناد الشام يأمرهم أن يتخذوا إضافة إلى مساجد القبائل مسجدا للجماعة حيث يصبح لكل قبيلة مسجد صغير و للجماعة مسجدا كبيرا[3] و في ذلك يقول المقريزي "و لما افتتح عمر بن العاص البلدان كتب إلى الأشعري و إلى سعد و ابن العاص ... و كانت صلاة الجمعة تؤدى في المسجد الجامع" و ظل الحال على ذلك إلى أن قامت الخلافة الأموية ليصبح للمساجد دور سياسي يذكر فيها إسم الخليفة و يدعى له فوق المنبر ، حيث بنى كل أمير أو كل عامل في إقليمه مسجدا جامعا يمثل " مسجد الدولة الرسمي " إلى أن أصبح الذكر شارة من شارات الخلافة و أن "عدم ذكر اسمه ـــ الخليفة ـــ يعني خلعه "[4] .

و من شروط إقامة المساجد أن يتوفر فيها الإتجاه إلى القبلة وكذا إقامة المداخل و الملحقات إضافة إلى التهوية و الإضاءة .و استخدمت المساجد الجامعة لأغراض علمية ، بمثابة مدارس تعقد فيها حلقات الدروس و العلم التي تجمع العدد الجم من الناس ، مثل الجامـــع الأزهر بالقاهـــرة بمصر

---

[1] ـــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 63.

[2] ـــ نفسه ، ص . 137.

[3] ـــ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص .31.

[4] ـــ نفسه ، ص .31 . عن : المقريزي .

و جامع سيدي عقبة بالقيروان ، وجامع الزيتونة بتونس[1] .

يشغل المسجد موقعا هاما من المدينة الإسلامية فهو يبنى عادة في مركزها تسهيلا لوصول المصلين إليه و يبنى وفق تصميم هندسي إما مستطيل أو مربع الشكل يتكيف مع اصطفاف المصلين و استقبال العدد الكافي منهم و تتنوع مساقط المساجد و تختلف أحجامها و كان المسجد ملتقى تدارس القضايا الإجتماعية و الحربية و غيرها ، و مع مرور الزمـــن تفرد بإقامة الصلوات و الخطب الدينية و انحصرت القضايا الأخرى في دور خاصة بها ، بعد ظهور المدارس و المراكز السياسية و دور القضاء و هـــو ركيزة وحـــدة المسلمين الأوائل و لا يزال ، بحيث إنطلقت منه أولى أفكـــار التجديد و التغيير في توجيه فكر أمة إلى أن ثبتت الحضارة الإسلامية .

للمسجد و الجامع ــ حاليا ــ مفهوما واحدا ، لإشتراكهما في إقامة الصلوات الخمس و صلوات الجمع . إلا أنه يقدم لفظ المسجد أرجحا .و تنسب عمارة المساجد إلى العمارة الدينية ، لخصوصيتها ولتميزها عن بقية العمائر ، إرتبط وجودها بإقامة الصلاة ثاني ركن من أركان الدين الإسلامي و ان هذا الإنتساب لا يعني حصر تطبيق تعاليم الإسلام داخل حيز المسجد فقط ، و إنما الإمتثال لمبادىء الإسلام في سلوك فردي وجماعي على محور إمتداد الزمان .

إعتنى المسلمون كثيرا ببناء المساجد فهي محط اهتمام المعماري المسلم ، حتى إرتبط وجودها إرتباطا كاملا بعمران المدينة الإسلامية و أصبحت العمارة الأكثر أهمية و الأوضح تعبيرا عن خصائص فن العمارة الإسلامية باعتبار المسجد " الأكثر تمثيلا لمختلف مدارسها "[2] .

نظام بناء المساجد و تطوره :

إن التطرق إلى نظام بناء المساجد و تطورها هام جدا و ذلك لما تعرضت له من تجديدات و تطورات و قد لعب العثمانيون دورا كبيرا في إبتكار طراز جديد خاص بهم و لتوضيح نوع المسجد

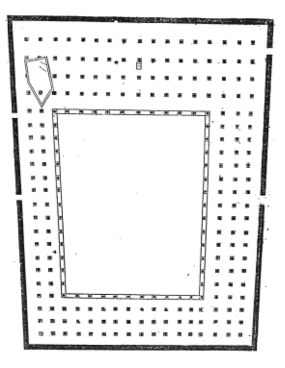
---

[1] ــ طه الولي ، المرجع السابق ، ص. 147.

[2] ــ الصفصافي أحمد المرسي ، استانبول عبق التاريخ ، روعة الحضارة ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ،1991 م ، ص 33.

وموقعه بين الطرز الأخـــرى و لمعرفة درجة حفاظه على أسسه و أهـــم التغييرات التـــي تمت عليه و الإبتكارات التي حصلت عليه ، و بالتالي تتبع تطوره ، نعرج على ما شهده التاريخ الإسلامي من نماذج ، أضحت المنهل الذي أخذت عنه مناطق كثيرة من العالم الإسلامي .

إن الأبحاث التي تناولت تصاميم المساجد بالدراسة و تتبعت مراحلها بالتحليل خلصت إلى مراحل هامة و رئيسية في تطور تصميمها و شكلها المعماري و قد دخلت عمارة المساجد التاريخ من بابه الواسع ، من أول مسجد بناه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في قباء قبل هجرته إلى المدينة و الذي لم يصلنا شيء عن تخطيطه ، ليبقى المسجد النبوي(شكل01) بالمدينة المثال الأول الذي احتفظ بالا سس الأولى للبناء واستوعب شكله فكرة بناءه كمؤسسة دينية .و قد أنشئ في" مربد التمر الذي بركت فيه ناقته " [1] واحتوى هذا المسجد صحنا أوسطا مكشوفا ، تحيطه ظلات أربع ، أكبرها ظلة القبلة. وأخذ شكله و تخطيطه الذي اقتضته الوظيفة الدينية و حاجه الناس وراحتهم[2] .



(شكل رقم 01.) مخطط المسجد النبوي في عهد النبي - عن أحمد فكري -

مستبعد جدا تصور أن النبي صلى الله عليه و سلم وهو يخطط لبناء مسجده كان في ذهنه تصور مسبق لتقليد كنيسة أو معبد ، فقد خطط مسجده ، بشكل بسيط في مظهره قوي في هدفه ، منذ الوهلة الأولى صمم ملائما لإقامة الصلاة الجماعية ، في صفوف مستقيمة و متتابعة في إنتظام بليغ يتناسب مع وظيفته " و جاء على بساطته المتناهية وافيا لكل ما تطلبته الجماعة منه ، و هذه هي

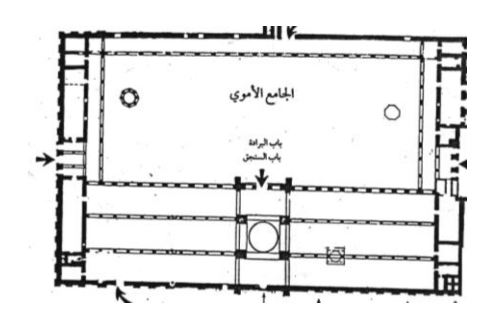
---

[1] ــ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص . 16.

[2] ــ جمعة أحمد قاجة ، موسوعة فن العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، 2000 م ، لبنان ، ص . 50 .

الأصالة بذاتها " ليصبح مسجده النموذج الذي إتبعته أغلب المساجد التالية ، كمسجد البصرة ــ 14 هــ .635 م ــ و مسجد الكوفة ــ 17 هــ . 638 م ــ و مسجد الفسطاط ــ 21 هــ . 641 م ــ[1] و قد كانت هذه المساجد بسيطة ، لبساطة الإمكانيات و لأن المسلمون الأوائل تفرغوا للعبادة و الحرب و الفتوحات و الدعوة إلى الدين الجديد .

عرف بناء المساجد تطوراساير رفاهية البلدان المفتوحة من أواخر عهد الخلفاء الراشدين [2] . رغم التجديدات التي قام بها الولاة في العصور المتتالية إلا أنها لم تحدث في وظيفتها تغييرا ، ليبق بناء المسجد عملا هندسيا متكامل الأبعاد صالح للوظائف التي بني من أجلها .و هناك مساجدا أخرى جديرة هي الأخرى بدخولها التاريخ كمساجد العصر الأموي التي اشتهر منها مسجد دمشق (شكل :02) ــ 87 هــ /706م ــ حيث لجأ الأمويون إلى التأنق في عمارتهم الدينية أسوة بما وجدوه من مظاهر الأبنية السابقة للإسلام ، حتى لا يكون مظهر المسلمين أقل من مظهر الأمم التي سبقتهم[3]
و مما جاء تخطيطه و فق هذا التوجه ، المسجد الأموي بمدشق ، ذي التخطيط المختلف نسبيا عن تخطيط المساجد الأولى[4] .



(شكل م.02) مخطط لنادمغ امىي تذمشق - عه قوريثلنش ءاتً -

---

[1] ــ سعاد ماهر، المرجع السابق ، ص . 50 .

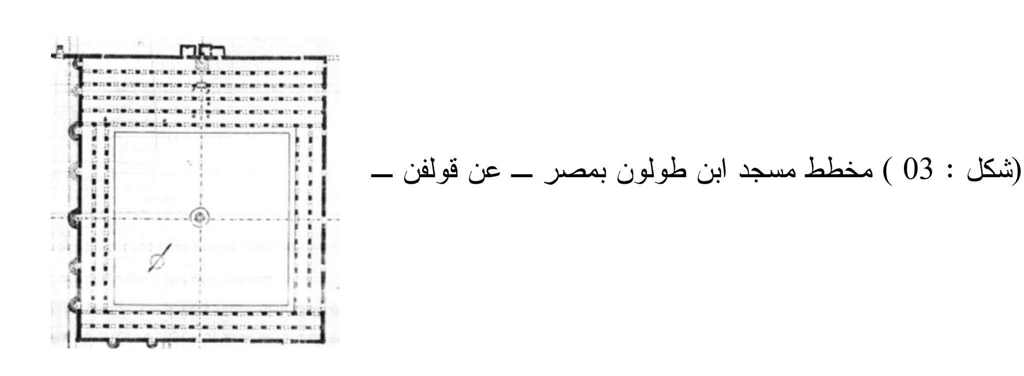
[2] ــ إيلي لومبير، تطور العمارة الإسلامية في اسبانيا و البرتغال و شمال افريقيا ، دار آسبا ، بيروت ، ، 1985م ، ص . 63 .

[3] ــ حسن الباشا ، موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، 1999م ، ص. 231.

[4] ــ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص . 17.

يشهد بعض الأوربيين لقيمة المسجد ، منهم الكاتب الفرنسي " غوشاف لبون " الذي ذكر في كتابه حضارة العرب أن " المسجد مركز الحياة الحقيقي عند العرب " و هذا لا يعني أنه سلم من الإنتقادات التي كان الغرض من ورآها الإنتقاص من قيمته المعمارية والحضارية وكذا تجريد المعماري المسلم من كل تخمين أو محاولة للتفرد بإنجاز متميز و لقد عمد المستشرقون في معظم تحاليلهم لعمارة المساجد إلى انتساب تصميمها إلى المعالم القديمة ، حتى كادوا أن يلحقوا بكل عنصر معماري أصلا منها في معابدهم ، مبررين ذلك بتأثر المسلمين ببناءاتهم ، واحتكاكهم بهم إثر الفتوحات الإسلامية لمنطقة الشام خاصة . وقد أخذ الكثيرون عنهم هذا التوجه لقلة درايتهم بالأسس و الأهداف التي بنيت من أجلها المساجد . و عن أصل المسجد و غيره من المعابد لحسن مؤنس توضيح في هذا الشأن في قوله : " ان الغاية الدينية و حدها هي التي و ضعت أصول نظام المسجد ، وأنه ليس للآثار التي سبقت الا سلام أثر في تأليف هذا النظام ، هذا إلى ان الفكرة التي تشعب منها بناء المسجد تختلف اختلافا بينا عن تلك التي تشعب منها نظام الكنائس القبطية او المعابد المصرية أو البازيليكات السورية ، فهي تخضع لفكرة أخرى فكرة تجعل منها مبان محدودة الفضاء او كتلة محصورة منه ، أما مسجد الإسلام فهو على نقيض ذلك يتشعب من فكـرة لا يقف أمامها فضاء عند حد أو نهاية "[1] و ما يمكـن قوله و بكل إنصاف هو تأثر بناء المساجد بالمنشآت المسيحية ، لكنه تأثر تجلى في تصميمات ظاهرية لم تخل بوظيفته .

عرف العصر العباسي هو الآخر مساجدا ، إشتهر منها مسجد سامراء في العراق في عهد المتوكل ــ 231 ــ237هــ .848 ــ852 ــ و الذي يعد أكبر مساجد العالم الإسلامي من حيث المساحة [2] به صحن مكشوف و أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة . و مسجد أبي دلف في سامراء أيضا و مسجد ابن طولون (شكل : 03)ــ 265/263 هــ ــ 879/876 م ــ بمصر و الذي ينسب إلى أبي العباس أحمد



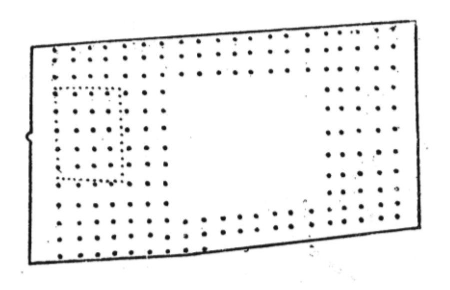
(شكل : 03) مخطط مسجد ابن طولون بمصر ــ عن قولفن ــ

---

[1] ــ طه الولي ، المرجع السابق ، ص. 148.

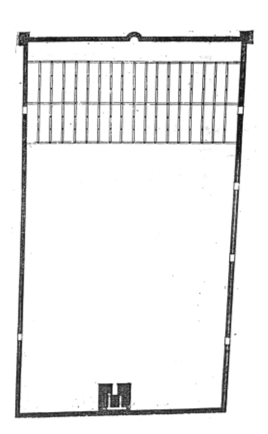
[2] ــ حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص. 228.

ابن طولون[1] و الذي تأثر بمسجد سامراء من حيث التصميم وهو ثالث الجوامع الكبرى بمصر بعد جامع عمرو (شكل .:04) و جامع العسكر [2] و أحسنها حفظا .و اتسمت مساجد العصر العباسي بالضخامة و الإتساع ، و هي تعتبر أكبر مساجد العالم الإسلامي ، إلا أن هذا لا ينفي إنشاء مساجدا صغيرة الحجم ، كمسجد أبي فتاتة بسوسة و الذي يعد أقدم ما وصلنا من مساجد العصر العباسي بالمغرب الإسلامي .



(شكل م04.) مخطط مغ دذ عشوت هانعاص - ع ه أخمفلشي -

يعتبر مسجد القيروان (55هـ/675 م) (شكل:05) أول معلم ديني بتونس و الذي بناه عقبة بن نافع ، بهندسة معمارية بسيطة و هو لا يختلف عن مسجد المدينة و الفسطاط بمصر . أدخلت عليه عدة تعديلات آخرها ما كان في عهد زيادة الله الأول ــ الأغلبي ــ الذي أعطــى له شكله الحالي[3] و نظرا لأن القيروان أقدم مدينة اسلامية بهذا الإقليم وأن جامعها هو أول جامع أسسه المسلمون في افريقية أصبح العنصر الهام الذي تأثرت به العمارة الدينية في بقية دول المغرب الإسلامي .



(شكل م:05.) مخطط خامغارقشوان - ع ه أخمفكشي -

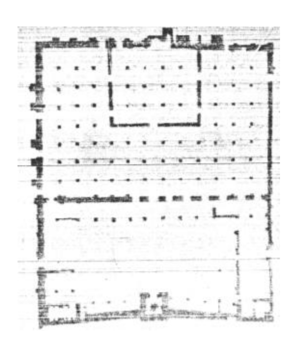
---

[1] ــ رحلة ابن جبير ، تقديم سليم بابا عمر ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1988 م ، ص. 20.

[2] ــ حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص. 229 .

[3] ــ الحبيب الجنحاني ، القيروان عبر العصور،ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ، الدار التونسية ، 1968 م ، ص ص . 122.123 .

أما المغرب الأوسط ، فيعد مسجد " سيدي عقبة " أول مسجد على أرضه و كان للرستميون مسجدهم بسدراتة، جنوب غرب ورقلة ، كما شيد الزيريون مساجدا لهم كمسجد مدينة تنس الذي يحتفظ بتخطيطه وشكله الأول و كذلك مسجد سيدي ابي مروان (401ـ 454هـ /1046 ـ 1062م) . من آثار الحماديين أيضا مسجد قصر المنار (شكل.: 06) بقلعة بني حماد بالمسيلة [1].



(شكل:06) مخطط مسجد قلعة بني حماد ـ عن رشيد بورويبة ـ

ان عمارة المعالم الدينية في المغرب الأوســط في العهدين الزيري و الحمادي ورثت كثيرا عن مسجد القيروان مظاهر العمارة و الأسلوب الفني. [2]

أشهر مساجد المرابطين المسجد الكبير (530هـ) بتلمسان مسجدا مدينة الجزائر (490 هـ .1097م) و المسجد الكبير بندرومة الذي يعاصر هذين المسجدين و قد أنشئ ببساطة ملحوظة [3]. كما أنشأوا أيضا جامع القرويين (192هـ/808م) بالمغرب الأقصى هذا الأخير الذي يعد من أجمل المساجد الأثرية المغربية، تصميمه الأول كان علي شاكلة المسجد الأموي بدمشق ، إلى درجة اعتباره نموذجا مصغرا عنه [4].

---

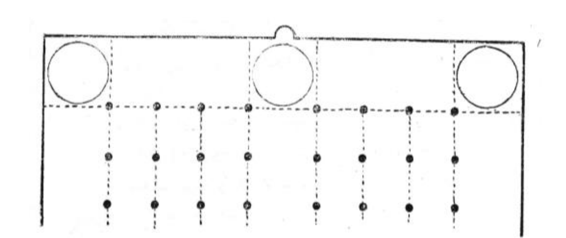
(1) ـ Rachid Bourouiba , Apports de l'algerie a l'architecture religieuse arabo-islamique office des publications , alger ,1986 , p. 5.

2 Rachid Dokali, les Mosqees de la periode turque a alger . alger 1981. p 23
عن: golvin le meghreb …p 23

(3) ـ Rachid Bourouiba ,l'Art musulman en algerie, s n e d , alger, 1972 , p. 28.

(4) ـ رؤوف الأنصاري ، عمارة المساجد ، دار النبوغ ، بيروت ، 1996 ، ص . 104.

لم يتأثر طراز المسجد في عهد المرابطين ، بغيره من الطرز المعمارية الإسلامية التي ظهرت خارج بلاد المغرب ، حيث استمر تخطيط المسجد على الطراز العربي الإسلامي ، الذي عرف في القيروان و قرطبة ، بقاعة صلاة و صحن مكشوف تحيط به الأروقة [1] فقد أخذ المرابطون عن الفن الأندلسي طراز المسجد ذي البلاطة المستعرضة و طراز القبة و المحراب ، ليجعل لها مثيلا في الفن المسجدي التلمساني.[2] و أسس الموحدون مسجد الكتيبة (548هـ ــ1153م) في مراكش في المغرب الأقصى الذي يعتبر من أجمل ما في هذه المدينة ، ثالث التحف الفنية بعد مسجدي تينمال (شكل:07) ورباط تازا .[3] و لهم أيضا مسجد القصبة باشبيلية الذي شيد ليضاهي مسجد قرطبة و قد نشطت في هذه الفترة حركة تشييد المساجد في المغرب. كما أسس الزيانيون مسجد ابي الحسن (696 هــ . 1296) بتلمسان[4] و أسس المرينيون مسجد المنصورة (شكل: 08) (702ــ 1302) ومسجد سيدي ابي مدين (739هــ . 1338م) ومسجد سيدي الحلوي (754هــ ــ1354 م) الذي يشبه كثيرا مسجد سيدي ابي مدين (شكل: 09) ، حيث قاعة الصلاة و الصحن المربع.[5] " تحت حكم الرستميين في تيهرت و أسلافهم في سدراته اسست في عهد الزيريين الحماديين ، المرابطين ، عبد الوادين و المرينيين بناءات دينية شديدة التنوع وذات قيمة فنية عالية"[6] .



شكل :07 مخطط مسجد تينمال بالمغرب ــ عن بوتي ــ

---

(1)ــ رؤوف الا نصاري ، المرجع السابق ، ص . 95 .

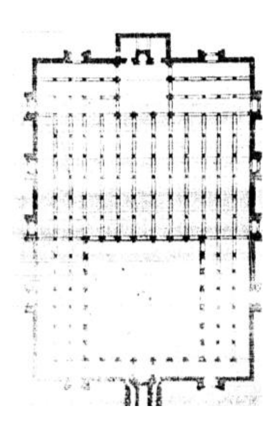
(2) ـ GEORGES Marçais , Algerie medievale, monuments et paysages historiques , paris, 1957 , p. 57.,

(3) ـ Rachid Bourouiba ,l'Art ...OP .CIT.p. 66.

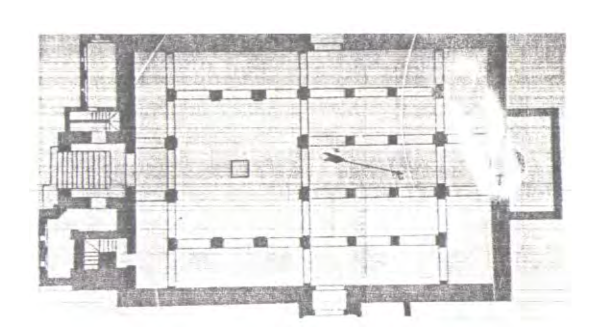
(4) ــ رؤوف الأنصاري ، مرجع سابق ، ص ، 105.

(5) ـ Rachid Bourouiba ,l'Art ...OP .CIT .p 69 .

(6) ـ IBID .p204 .



(شكل : 08) مخطط :مسجد المنصورة ـــ عن مرسيه ـــ



(شكل :09) مخطط سيدي أبي مدين ـــ عن رشيد بورويبة ـــ

مساجد العهد العثماني :

يظهر في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر للميلاد (6هـ .12م) طراز ثان متأثر إلى حد كبير بتخطيط المدارس التي يرجح إنشاءها في إيران ، حيث أصبح الصحن مكشوف أو مسقوف تحيطه أواوين .

تأثر الطراز أيضا بالمساجد الصغيرة التي شيدها السلاجقة " و التي تقوم على أساس القاعة المربعة ، يتقدمها رواق بدلا من الصحن "[1] وعلى أساس هذا الطراز شيد العثمانيون مساجدهم . و انتشر هذا الطراز في سائر أنحاء العالم الإسلامي [2] اذ لم تحمل مساجدهم الأولى الصبغة العثمانية المستقلة و المساجد التي أنشات في هذه المرحلة استمرار للطرز التي انتشرت بين الترك قبل فتح استانبول[3] منها مساجد بروصة ، إزنيق وأدرنه . و هو الطراز الذي " تكوّن أثناء توسع العثمانيين في آسيا الصغرى ، خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر" كما عرف القرن الرابع عشر للميلاد ، تخطيطا للمساجد يقوم على أروقة محمولة على أكتاف ، على كل مربع من هذه الأروقة قبة صغيرة ، نموذجه في جامع بروصة ، الذي أنشئ أواخر هذا القرن . [4] إن هذا النمط لم يدم ، ليحل محله نمط اخر منذ فتح القسطنطينية . في استانبول ، متأثرا بكنيسة ايا صوفيا و والتي تم تحويلها إلى جامع مع تعديلات طفيفة و يقوم هذا الطراز على أساس القبة المركزية الضخمة ، التي تسقف مساحة مربعة و تحف هذه القبة أنصاف و أرباع قباب صغيرة ، يظهر من خلالها تأثير اياصوفيا على مساجد العثمانيين في هذه المرحلة حيث أصبحت القبة " تتفق مع الإتجاهات الجديدة للعثمانيين". و يتجلى هذا التصميم في جامع الفاتح ــ 868 هــ .1463 م ــ في إستانبول هذا التصميم الذي مهد الطريق أمام الجوامع ذات القباب الكبيرة ،و منه " أصبحت المساجد بنسب علمية في التخطيط.. و يمكن اعتباره

---

[1] ــ عبد القادر الريحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الاولى ، مركز النشر العلمي ، جدة ، 1990 ، ص. 437..

[2] ــ أحمد مرسي الصفصافي ، استانبول ، عبق التاريخ ، روعة الحضارة ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ، 1999م ، ص . 103.

[3] ــ أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص . 225.

[4] ــ عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . ص 432 . 473.

نتيجة تركيب بين تخطيطين هما ، تخطيط المسجد ذي القبة الواحدة ، و المسجد المتعدد القباب ، مع الحفاظ على الشكل الأصلي لعمارة الجامع "[1].

مرحلة أخرى من مراحل بناء المساجد ، تمثلها معظم مساجد القرن السادس عشر للميلاد (10 هـ . 16م) عهد ظهور المهندس المشهور سنان الذي حقق العصر الذهبي لعمارة العثمانيين في تركيا ، وتطورت على يده العمارة العثمانية تطورا مهما. مر تطور أعمال هذا المهندس بثلاث مراحل ، كل منها تتمثل في مبنى من مبانيه منها مسجد السلطان سليمان القانوني (957هـ 1550 م) ، ولأنه إقتبس من اياصوفيا تصميم المسجد بين " كيف يمكن التعبير عن الفرق بين الفضاء الموجود في الأبنية المسيحية و الفضاء الموجود في الأبنية الإسلامية "[2] .

للكاتب الألفي رأيه في العمارة العثمانية في مصر , حيث يذكر أنه " بدأ التحول في العمارة الإسلامية ، منذ فتحها السلطان سليم عام 925 هـ . 1517م ، إذ توقف نموها و طغت عليها المؤثرات البيزنطية في تخطيط العمارة الدينية . مع ذلك استمر الأسلوب المصري الإسلامي في كثير من المنشآت... حيث تعتبر الفترة العثمانية في مصر فترة تخلف لأنها فرضت النظام التركي البيزنطي في تخطيط العمارة الدينية "[3] .

بعد المهندس سنان ، وفي القرن السابع عشر للميلاد (17م) و قبل التأثر بالتيارات الفنية الغربية ، تأتي مرحلة أخرى "عبرت عن رغبة في التفوق و منافسة العمائر السابقة من حيث الضخامة و الجمال الفني و الا نجاز التقني " [4] ، أهم ما يمثلها مسجد الأحمدية (1609 ـ 1617م) بتركيا بدءا من القرن الثامن عشر للميلاد (12 هـ . 18م) غزت تأثيرات اوربية فن استانبول و بقية مدن العالم الإسلامي ، هي لفني الباروك و الروكوكو ، حيث امتزجت عناصر هذه الا خيرة بتقاليد العمارة الإسلامية و التي تظهر في جامع "نور عثمانية " (1748ـ1755م) و لا ليلي. [5] و يمثل هذا القرن قرن ضعف الإمبراطورية العثمانية التي وصل بها الحال إلى فقدان خلافتها و انحصرت فيما بعد في دولة تركيا الحالية .

---

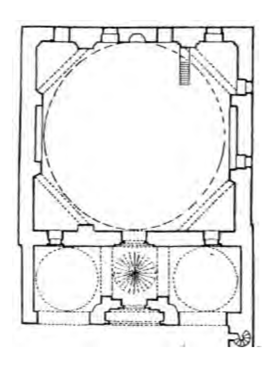
[1] ـ أحمد مرسي الصفصافي ، المرجع السابق ، ص. 104 .

[2] ـ رؤوف الا نصاري ، المرجع السابق ، ص . 176 .

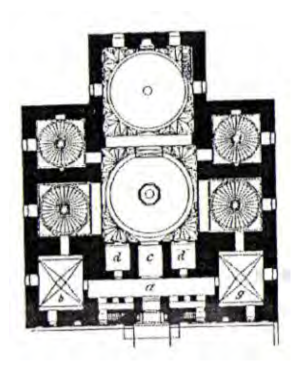
[3] ـ أبو صالح الا لفي ، المرجع السابق ، ص 230.

[4] ـ عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 447 .

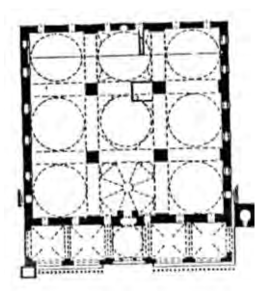
[5] ـ نفسه ، ص 467.



مغطأفقً نماغ تٌلضٌذ فمًىدوسوى . ع ه بكىسان .



مغطفقى ن هدامغ الأخش ـٌش ٍ م
خامغ ـ فتًشو طه .ع ه : وٌهذ .



مغطفق ن هدامغانعِق ف لسوح.

مساجد الجزائر في العهد العثماني :

تحتفظ أهم مدن الجزائر بنماذج لمساجد العثمانيين ـــ هامة هي الأخرى ـــ فمدينة الجزائر التي مايزال لها ، جامع صفر (941هـ ـــ1535م) ، مسجد سيدي رمضان الذي تجهل السنة الفعلية لتاسيسه ، ، مسجد علي بتشين (1032هـ ـــ1622م) ،الجامع الجديد (1070 هـ 1661ـــ 1662م) ، مسجد سيدي عبد الرحمان (1108هـ ـــ1696م)،مسجد سيدي امحمد (1206ـــ1791) ، مسجد كتشاوة (1209هـ ـــ1794م) ، الذي أعاد ترميمه الباشا حسن سنة 1794م ، المسجد خارج القصبة ـــ البراني ـــ(1233 هـ 1817ـــ1818) ، مسجد داخل داخل القصبة ـــ مسجد علي خوجة ـــ (1818/1234ـــ1819) [1] وجامع الحواتين ، الذي يعد أجمل نموذج للمساجد الجزائرية العثمانية الطراز. [2] أما بمعسكر فالمساجد الباقية ، مسجد عين البايدة (1195هـ .1781م) أما في وهران ، مسجد الباشا (1210هـــ1795م) ، ومسجدين من طرف الباي محمد الكبير . و في تلمسان مصليات لاله رويا وسيدي لحسن .
أما بتقرت، فقد بقى المسجد الكبير (1219 هـ 1808م) و في عنابة مسجد صالح باي (1206هـــ1791ـــ1792م) [3].

بتفحص جملة مساجد العهد العثماني بمدينة الجزائر ، نلاحظ أنماطا جديدة يمكن أن نستخلص منها أنواعا من المخططات من بينها التي بقبة مركزية و بأروقة تعلوها قبيبات ، هو استنتاج هام للباحث الأثري ، رشيد دوكالي الذي أدرك سعة تصور المعماريين العثمانيين حتى انه تمكن من استخلاص النماذج الجديدة في الجزائر ، والتي لم تمس بوظيفة المسجد [4] وهو ما حدث في تركيا أيضا ، موطنهم الذي احتضن أولى أسس العمارة الإسلامية العثمانية و أشكال تطورها لتنتشر بعد ذلك في أقاليم الإمبراطورية . و إن أحسن ما نخلص عن عمارة المساجد العثمانية في الجزائر ما يشهد به حسين مؤنس حيث يؤكد أن " معظم المساجد في الجزائر تركية الطراز ... فخلفوا لنا مساجد كثيرة يختلط فيها الطراز التركي بعناصر من العمارة المحلية الجزائرية "[5].

---

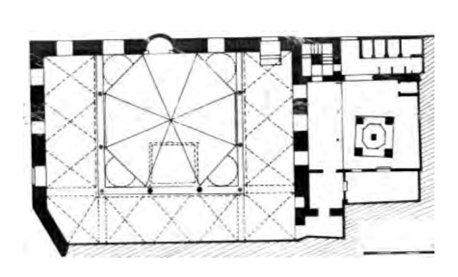
(1) Rachid BOUROUIBA , Apports... op.cit .p.07 .

(2) ـــ حسن مؤنس ، المساجد ، ص .242 .

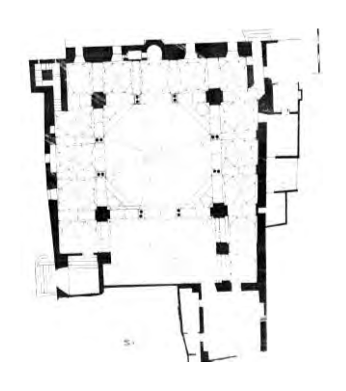
(3) ـــ Rachid BOUROUIBA , Apports... op.cit .p.07.

(4) ـــ يمكن الرجوع إلى : .Dokali , les Mosquees .op.cit.

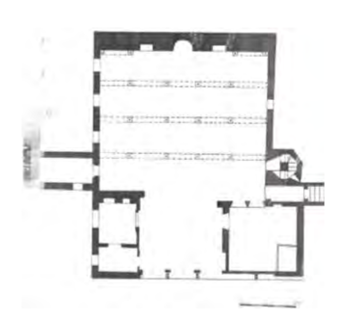
(5) ـــ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص . 242.



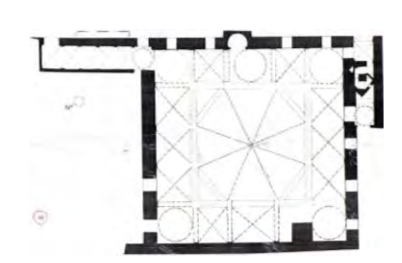
مخطط خامغ طفش ـ ع ه : دوكا نً .



مخطط خامغ ع مًتش ٍ ه ـ ع ه دوكا نً .



مخطط ندامغ خاس جارق ظنّح ـ ع ه : دوكا نً .



مخطط اندامغ داخ مارق ظنّح ـ ع ه : دوكا نً

مساجد مدينة البليدة في العهد العثماني :

إن ما تحتفظ به مدينة البليدة من مساجد الفترة العثمانية ، رغم قلتها فهي غنية بما تحمل من عناصر معمارية أصلية أعطت صورة حقيقية و واضحة التخطيط و الإنشاء لما خلفته هذه الحقبة من الزمن .

هي مساجد أثرية أربعة منها ما هدم و منها ما هو قائم محافظ على كيانه المعماري ، ذلك ما أمكن إحصاءه من جملة ما شيد من تلك المساجد بمدينة البليدة و التي تعود للفترة العثمانية . و أول مسجد شيد بها هو مسجد سيدي احمد الكبير سنة 942 هـ .1535 م إلا أننا لا نجد له أثرا فقد هدم ، أما ثاني مسجد بني فهو مسجد بابا امحمد هو الآخر إندثر ، ليبق المسجدين ؛ مسجد ابن سعدون بن بابا علي و المسجد التركي الحنفي قائمين إلى يومنا هذا ، تقام فيهما الصلوات .و كانت هذه المساجد جامعة تقام فيها صلاة الجمعة خلافا للمساجد الصغيرة الأخرى التي كانت تقارب الإحدى عشر مسجدا مخصصة للصلوات الخمس [1].

تبنّى مسجد ابن سعدون المذهب المالكي بينما المسجد التركي الحنفي فلأتباع المذهب الحنفي و قد سار المسجدين على مذهبيهما طوال الفترة العثمانية . و قبل التطرق إلى تفصيل دراسة هذين المسجدين ، نعرج قليلا على تعريف المذهبين الحنفي و التركي .

إن كلمة مذهب تعني لغة ، الذهاب و هو الطريق ، أما إصطلاحا فتعني الأحكام التي اشتملت عليها المسائل ظهرت أول فكرة للمذاهب في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ثم في عصر التابعين في القرن الثاني إلى منصف القرن الرابع الهجري و هو الدور الذهبي للاجتهاد [2] أما فيما يخص نواة المذهبين المالكي والحنفي فظهرت على يد كل من مالك بن أنس بالمدينة وأبي حنيفة بالكوفة مع غيرهما من المجتهدين الثلاثة عشر[3] كحسن البصري بالبصرة و الشافعي بمصر و ابن جرير الطبري ببغداد [4].

---

[1] ــ ملف التصنيف ، الوكالة الوطنية ل ثٓ ار و حماية المعالم و النصب التاريخية .

[2] ــ وهبة الزحيلي ، الفقه الاسلامي و أدلته ، دار الفكر ، الجزائر ، 1991. ص 28 .

[3] ــ نفسه ، ص . 86.

[4] ــ نفسه ، ص . 29 .

المذهب عند العثمانيين :

سار العثمانيون وفق المذهب الحنفي * و سيرت مساجدهم وفقه أيضا ، فمنذ أن جلس حسن باشا على كرسي الخلافة... سوى بين القريب و البعيد و انتصف للمظلوم و الظالم...و أجرى أحكامه على القانون الشرعي و المذهب الحنفي[1] و كانت في الجزائر ثلاث خطب ، أحدها للترك ، إمامهم حنفي المذهب [2].

---

[1] ــ مولاي .الجزائر. ص. 187.

[2] ــ نفسه .ص .57 .

* أسس المذهب الحنفي ، أبو حنيفة النعمان ابن ثابت بن زوطى الكوفي . ولد عام 80 هــ و توفي عام 150 هــ . عاصر أوج الدولتين الأموية و العباسية و هو من اتباع التابعين و قيل من التابعين [1] لم يكن امام أهل الرأي و فقيه أهل العراق فحسب بل نشط في مجال تجارة القماش بالكوفة أصول مذهبه ، الكتاب و السنة و الإجماع و القياس و الإستحسان .له في علم الكلام كتاب الفقه الأكبر كما له مسند في الحديث و لم يؤثر عنه كتاب في الفقه . من أشهر تلامذته أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم الكوفي ــ 182/133 هــ ــ ، محمد بن الحسن الشيباني ــ 189/132 هــ ، ــ أبو الذيل زفر ابن الهذيل بن قيس الكوفي ــ 158/110 هــ ــ ، الحسن بن زياد اللؤلؤي الذي توفي عام 204 هــ . عن : و هبة الزحيلي ، الفقه الا سلامي . ص . 29 .

أما المذهب المالكي: أ سسه الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ــ نسبة إلى قبيلة ذي أصبح من اليمن . عاصر هو الا خر الدولتين الأموية و العباسية . بنى مذهبه على أدلة عشرين منها القرآن و السنة والإجماع و القياس و الإستحسان و المصالح المرسلة[3] و أشهر تلامذته من المصريين ومن شمال افريقية و الاندلس ، الذين نشروا مذهبه في هذه الا قطار. [4] للإمام مالك كتابه المشهور الموطأ ، كتاب في الحديث و الفقه. عن : و هبة الزحيلي ، الفقه

1 ــ الدراسة الوصفية :

تلح هيآت رسمية بل حتى الرأي العام على تصنيف المسجدين ابن سعدون و التركي الحنفي و الأمر الذي إن تم سيتيح للمسجدين فرص الزيارات السياحية و ليحظيا بما حظيت به بقية المواقع المصنفة من ترميم واهتمام أكثر . فاللمسة المعمارية و الفنية في المسجدين تبرز الإرث الفني المعماري من الفترة العثمانية و بالتالي تغذي بصيرة الباحث الجاد فيصطبغ إدراكه بغنى الفن المسجدي و الذي يمكن نسبته حقا إلى حضارة غنية الذوق .

أ ــ مسجد ابن سعدون بن بابا علي :

إن مسجد ابن سعدون أول مسجد للمذهب المالكي بمدينة البليدة و من أهم مساجدها الجامعة بل أقدمها و أوسعها في تلك الفترة و لا يزال يحض بالعناية و الإقبال إلى يومنا هذا حيث تتكفل به حاليا مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف لولاية البليدة ، تسيره و تقف على شؤونه .

الموقع التأسيس :

نظرا لوجود مسجد ابن سعدون وسط مبان سكنية و تجارية جعله غير مميزا عن تلك المباني حتى يكاد لا يظهر ، لولا وجود أبوابه الثلاثة التي تنفتح على ممرات ــ شوارع ــ ضيقة محددة بشارع بن كالي عمر في الناحية الشمالية و في الناحية الغربية شارع 17 جوان ــ الكراغلة سابقا ــ أما في الناحية الجنوبية فشارع الإخوة شويط ــ عبد الله سابقا ــ . أما الجهة الشرقية فليس بها مدخل

و تحجبها مبان مجاورة لا، فلا يسعنا ذكر الواجهات الخارجية و منه سيقتصر الوصف ــ لاحقا ــ على المداخل فقط و بعضا من النوافذ .

يحمل مسجد ابن سعدون اسم صاحبه ابن سعدون بن بابا علي الذي بناه ما بين أواخر القرن 9هــ و بداية القرن 10هــ و يقال في القرن 17 م و أنشأه في وسط مدينة البليدة و يعد ابن سعدون أحد أثرياء المنطقة ، بناه على نفقته الخاصة و جعله حبوسا مع مجموعة دكاكين ، هي الأخرى حبوسا ، للنفقة على حاجيات و خدمة الجامع عند الضرورة ، كما يتم منها دفع أجر قراءة الحزب قبل صلاتي العصر و المغرب و هي الظاهرة التي لاحظت إستمرارها في أيامنا هذه ، إثر زيارتي للمسجد قبل صلاة العصر .

أجريت على المسجد ترميمات نتيجة التهديم الذي تعرض له اثر الزلزال الذي ضرب المدينة سنة 1241هــ . 1825 و قام حسان باشا بترميمه سنة 1243هــ ــ 1827 م . أما في العهد الإستعماري فقد أعيد بناء سقفه و أرضيته كما أنجزت سدة و لم تمس هذه التعديلات أسس بناءه المسجد .

وصف المسجد:

يكاد يصعب التعرف على مسجد ابن سعدون بن بابا علي ، فليس هناك ما يشير إليه عن بعد اضافة إلى كون مداخله غير بارزة وغير مميزة . و قد تعذر أخذ صورة خارجية شاملة له أو حتى لواجهاته على انفراد كون الممرات من حوله ضيقة ــ كما ذكرت سابقا ــ و حتى المئذنة التي تعتبر العنصر الذي يلفت الإنتباه للمسجد لا تظهر عن بعد و منه فان الصور المأخوذة اقتصرت على الأبواب و هي تبين بحق موضع المسجد في الحي حيث تكثر حركة المارين و النشاط التجاري .

الوصف الخارجي :

إن الحديث عن الواجهات الرئيسية للمسجد يبق مبتورا حيث تحيطه المحلات التجارية و السكنات التي منها مسكن الإمام و الميضئة و هي منشآت تحيط به من الجهات الأربع و المسجد ملتصق بها تماما و قد بنيت في نفس فترة بناءه بتأكيد من المالكين الحاليين لها و بقي عددا من تلك المحلات حبوسا إلى يومنا هذا . و توضح (صورة :01) جانبا من ارتباط كتلة البناء بالمحلات الملاصقة له و هي تأكيد على حرمان المسجد من المظهر المعماري الخارجي الطبيعي المألوف لدى كثير من المساجد التي بنيت في الفترة العثمانية بالجزائر .



(صورة :01) الواجهة الشمالية .

إن أرضية المسجد غير مميزة ، حيث بني على مستوى أرضية بقية البناءات المجاورة . يميز خارج المسجد ثلاث مداخل و يعتبر المدخل الشمالي الرئيسي (صورة:02) بينما المدخلان الجنوبي (صورة : 03) و الشمالي (صورة : 04) ففرعيان .



(صورة.02) المدخل الغربي
قبل تجديده و تكسيته بالبلاطات الخزفية



(صورة: 02 مكررة) المدخل الغربي
بعد تجديد و تكسيته ببلاطات خزفية حديثة



(صورة:04) المدخل الجنوبي
مسجد ابن سعدون ــ البليدة ــ



(صورة: 03) المدخل الشمالي
مسجد ابن سعدون ــ البليدة ــ

يختلف تصميم المدخل الرئيسي عن المدخلين الآخرين ، فهو من دفتين حديديتين غير أصلية و يعلوه عقدا نصف دائريا أما الآخرين فمن دفتين خشبيتين غير أصلية هي الأخرى و يعلو كل واحد منهما عقدا متجاوزا صمم بحيث جعل جزءه الخارجي أوسعا من الداخلي و تكسو أطرهما بلاطات خزفية حديثة متماثلة الشكل و الزخرفة ، يعلوهما شريطين من البلاطات الخزفية يرجح أنها أصلية و أعلاها أيضا ظلة بسيطة لا تبرز كثيرا و هي من القرميد المركب بشكل متعاكس . و تعلو كل واحدة منها لوحة رخامية ، دوّن على اثنين منها مايلي :

المدخل الشمالي : مسجد ابن سعدون . (في سطر واحد)

المدخل الغربي : مسجد ابن سعدون . (في سطر واحد)

أما اللوحة أعلى المدخل الغربي فمدوّن عليها اسم منشئ المسجد و تاريخ تأسيسه ، وفق مايلي :

المدخل الجنوبي : و فيه اللوحة التأسيسية في ثلاثة أسطر كتب عليها :

أسس مسجد المالكي بالبليدة ابن سعدون

في أواخر القرن التاسع

و بداية القرن العاشر الهجري

أما فيما يخص النوافذ ، فهي تبدو من الخارج في الواجهة الغربية ، بعدد ثلاث نوافذ يمين المدخل و شماله و هي نوافذ ضيقة و متطاولة و معقودة بعقد متجاوز و تعلو هذه النوافذ جدران المحلات التجارية ، بحيث صممت بدراية تامة بأساليب البناء لتوفير شروط التهوية و الإضاءة الطبيعية للمسجد بحيث استغل سطح المتاجر لإنجاز حيز إضافي للمسجد ، لتفتح من خلاله هذه النوافذ أما نوافذ الواجهات الأخرى فهي تطل على أسطح المحلات التجارية إلا أنها لا تبدو بوضوح من الخارج . إن هذا الإنشاء المتكامل و المتجانس بين المسجد و المحلات التجارية بحيث تبدو كتلة واحدة يؤكد أن بناءه كان في فترة واحدة .

كما هو معلوم ، للمآذن دور هام في إمكانية تحديد موقع المساجد ، إلا أن هذا الأمر لا ينطبق على مسجد ابن سعدون . فمئذنته (صورة: 05) غير مرتفعة و هي بطول 35 م ، مما لا يسهل رؤيتها من الشوارع المحاذية المحاذية للمسجد و أمكن تصوريها من على سطح المسجد حيث يبرز بدنها المربع الذي يبلغ عرض كل ضلع من أضلاعها 3 م . وهو بدن مركب من أربع طوابق يتوسط

أعلاها جوسقا مربع الشكل هو الآخر و قد زينت الأوجه الأربعة للمئذنة بنوافذ صماء ، تختلف من طابق إلى آخر و فتحت بين النوافذ الصماء للطابق الثاني نافذة لإنارة و تهوية داخل المئذنة



(صورة : 05) المئذنة من أعلى سطح المسجد

و زينّت الأركان العلوية بشرافات ، زادت المئذنة جمالا و تزين مثيلتها أركان الجوسق كما يبدو أمام المئذنة التسقيف الذي عوض القباب التي تهدمت، و لم يتمكن المعماري من إعادة تصميم القباب الأصلية التي كانت تعلو المسجد ، ليعيدها على مسقط مستطيل ، بتسقيف جمالوني.

الوصف الداخلي :

يلي كل مدخل من مداخل مسجد ابن سعدون رواق شمالي (صورة: 06) ، غربي (صورة : 07) و جنوبي (صورة : 08) .و ينتهي كل منها بمدخل ينفتح على بيت الصلاة و يرتفع أعلى هذه

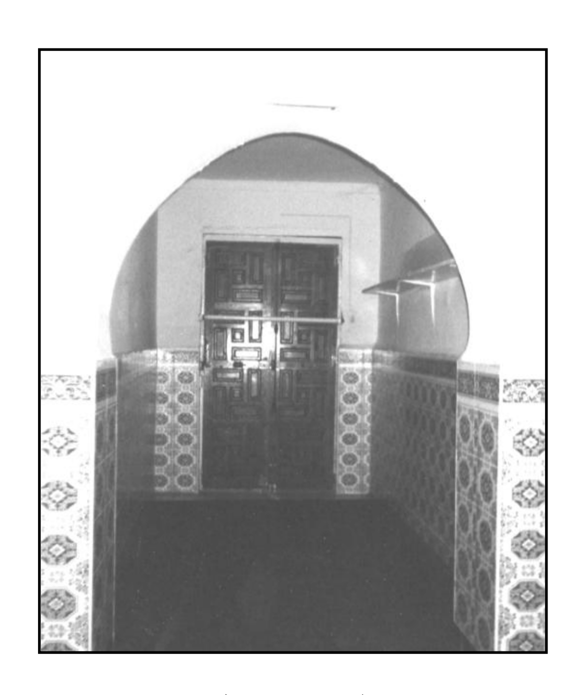
المداخل عقودا . الذي في جهة الجنوب عقده متجاوز بينما الشمالي و الغربي فعقدهما من النوع نصف الدائري .



(صورة : 06) الرواق الشمالي



(صورة : 07) الرواق الغربي



(صورة : 08) الرواق الجنوبي

و يتوافق طول كل من هذه الأروقة مع عرض المحلات[81] التجارية و أهم ما منحته الأروقة للمسجد أن إعتبرت الحيز الذي أمكن من خلاله يتم الدخول إلى المسجد و تراوح قياسها من الداخل حسب ما هو موضح في الجدول التالي :

الرواق	الطول بالمتر	العرض بالمتر(العمق)
الجنوبي	1.63	6.43
الغربي	3.45 (العمق)	1.92
الشمالي (رواق المدخل الرئيسي)	2.02	4.45

و تنفتح هذه الأروقة الثلاثة على بيت الصلاة (صورة : 09) التي يتصدرها جدار القبلة الذي



(صورة : 09) بيت الصلاة .

يتوسطه محراب نصف دائري (صورة: 10)
قياس عرضه 1.10 م بينما عمقه فقياسه 65 سم و ارتفاعه 2.35 م . تعلوه حنية و في كل جانب من جانبيه عمودان برتفاع 1.35 م وهي من النوع المركب جزؤه السفلي مضلع و العلوي حلزوني .

يرتفع عليها تاج يبلغ طوله 20 سم . بها لفائف ركنية كما تعلوها حدارات ، تحمل عقدا نصف دائريا ارتفاعه عن منبته 60 سم. و صممت على جانبيه عقودا متجاوزة منكسرة ، مدمجة في جدار القبلة بعدد عقدين في كل جانب من جوانب المحراب كما فتحت أعلى المحراب ثلاث فتحات عبارة عن شمسيات أو قمريات .

يعلو موضع المحراب تسقيفا عوض القبة الأصلية و فتحت في جانبيه نافذتين مستطيلتين و متقابلتين (صورة :11) .



(صورة :10) المحراب .



(صورة : 11) التسقيف الذي يعلو المحراب .

تتوزع في بيت الصلاة أربعة صفوف من الأعمدة (صورة : 12) نصف الدائرية بعدد خمس في كل صف ، المتطرفان مدمجان في الجدارين الجانبيين الشمالي و الجنوبي و ترتكز هذه الأعمدة مباشرة على أرضية قاعة الصلاة و هي تحمل تيجانا بلفائف ركنية على جوانبها الأربع و تعلوها حدارات مصممة خمس تدرجات (صورة : 13)، تحمل عقودا متجاوزة منكسرة .



(صورة :12) بائكة ــ بلاطة المحراب ــ

تشكل جملة هذه العناصر المعمارية أربعة بوائك موازية لجدار القبلة ، و منه فإن نظام بيت الصلاة يقوم على نظام البلاطات التي يتراوح عرضها كالتالي :



(صورة : 13) عمود بقاعة صلاة

البلاطات	العرض بالمتر
بلاطة المحراب	2.45
البلاطة الثانية	2.50
البلاطة الثالثة	2.59
البلاطة الرابعة	2.55
البلاطة الخامسة	2.95

توجد المقصورة (صورة : 14) في الجهة الشمالية لبيت الصلاة ، وقد وجدناها مغلقة يوم التصوير.



(صورة : 14) مدخل المقصورة .

حدثت توسعة للمسجد حيث استغلت المساحة التي كانت تحتوي على الميضئة و النافورة عند المدخل الشمالي بعد هدمهما و تسقيف المكان ، لبناء بيت صلاة اضافية في الطرف الشمالي للبيت الأصلي و تلي رواق المدخل الرئيسي و هي على نفس نظام البيت الأصلي حيث تحتوي على أربع بلاطات و ثلاثة أساكيب وزعت بها أعمدة مركبة قصيرة جزؤها السفلي مضلع بينما العلوي حلزوني و إن مستوى أرضيتها أعلى من مستوى أرضية بيت الصلاة الأصلية بدرجة واحدة و رغم هذه

التوسعة ، احتاج المسجد إلى مساحة أخرى لتوسيع نطاق الصلاة ، بأن ألحقت به السدة (صورة : 15) و (صورة : 16) كحل أنسب لذلك حيث زادت من سعة بيت الصلاة . يصعد إليها بسلم (صورة : 17) في الرواق الغربي وتبدأ أرضيتها عند مستوى فتحات عقود البوائك و هي منخفضة و تشغل ثلاث أرباع مساحة قاعة الصلاة أي عبارة عن قسم خلفي يشرف عليها من فوق الأسكوبين المتطرفين إبتداءا من البلاطة الثلاثة (صورة : 18).و هي بارتفاع 2.25 م .



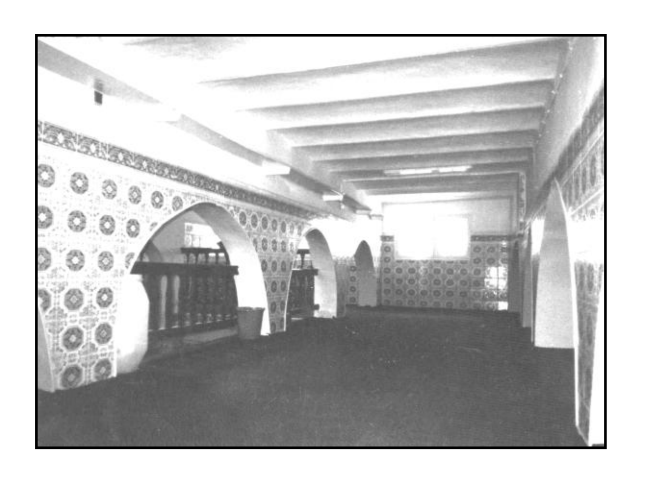
(صورة : 15) السدة .



(صورة : 16) جانب من السدة .



(صورة :17) السلم المؤدي إلى السدة



(صورة: 18) السدة في المسجد

كما توجد بالمسجد قاعة علوية(صورة: 19) يصعد إليها بسلم (صورة: 20) في الرواق الشمالي عند المدخل الرئيسي و هي القاعة التي أمكن منها الصعود إلى السطح لتصوير سطح المسجد . و يوجد أسفل السلم باب صغير يؤدي إلى مخزن مخصص لوضع أغراض المسجد .



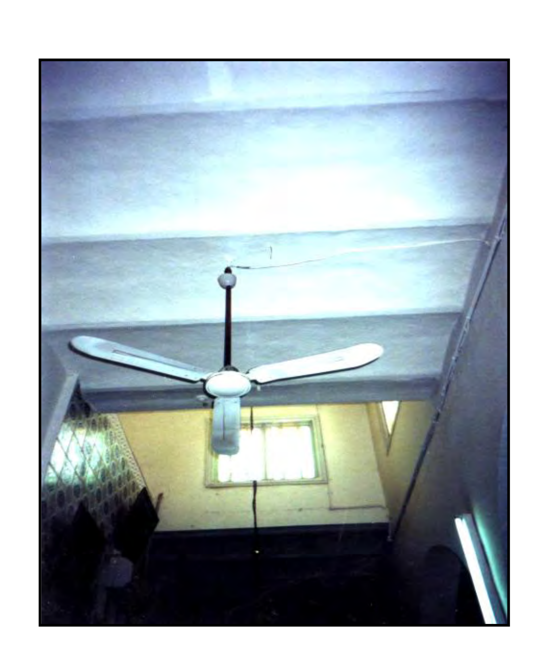
(صورة : 19) القاعة العلوية .



(صورة : 20) السلم المؤدي إلى القاعة العلوية .

تحتوي بيت الصلاة على نوافذ (صورة : 21) مرتفعة ، منها على يمين المحراب و أعلى السدة و كذا في الجدران الجانبية لقاعة الصلاة . كما توجد في الجدار الجنوبي نافذتان في كل بلاطة عدا البلاطة الثانية لانفتاح البلاطة على الرواق الجنوبي . كما تنفتح في الجدار الشمالي نافذتان في البلاطة الثالثة .

يتنوع تسقيف المسجد (صورة : 22) بين قبوات أنصاف برميلية ، يتخللها تسقيف أعلى المحراب و هو نفس التسقيف الذي نجده في البلاطة الخامسة و فتحت به أيضا نافذ جانبية .



(صورة : 21.) نافذة



(صورة : 22) تسقيف بيت الصلاة

ب ــ المسجد التركي الحنفي :

تسير المسجد التركي الحنفي هو الآخر مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف و قد تم إقتراح تصنيفه من طرف اللجنة الولائية لتصنيف المعالم و المواقع التاريخية بالبليدة. *

الموقع و التأسيس :

يقع المسجد التركي الحنفي وسط مدينة البليدة ، تطل واجهته الرئيسية في الناحية الغربية على شارع زروق الزغيمي المعروف سابقا بالمقهى الكبير أما الواجهة الشمالية فتطل على شارع 17 جوان الكراغلة سابقا مرورا بنهج بوديسة سليمان ، الواجهة الجنوبية تطل على شارع العيشي عبد الله .أما الواجهة الشرقية فهي متصلة ببنايات تعود إلى الفترة الإستعمارية .

أنشئ المسجد التركي الحنفي سنة 1164هـ . 1750 م . وهو وقف عام ــ حبوس ــ من خلال اسمه ندرك أنه كان مخصص لفئة من المصلين عثمانيي المذهب في سنة 1241 هـ . 1825 م تعرضت مدينة البليدة للزلزال الذي هدم كثيرا من منشآت المدينة و قد كان من حظ المسجد أن لم يمسسه الهدم عدا ضررا في سقفه تطلب الأمر تجديده و لم تمس أسس بناءه و قد بنيت به سدة لتوسيع حيز الصلاة في العهد الإستعماري .

---

* عن للوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم و النصب التاريخية .

الوصف الخارجي :

تنفرد الواجهة الرئيسية ــ دون الواجهات الأخرى ــ بتمركز العناصر المهمة في المساجد وهي مميزة بالسياج المعدني القائم في مقدمة المسجد (صورة: 22) أما الواجهتين الشمالية و الجنوبية (صورة : 23) و (صورة : 24) فتنفتحان على ممرات ضيقة تفصله عن السكنات المجاورة و هاتان الواجهتان بسيطتان فتح بها عدد قليل من النوافذ المسيجة بقضبان حديدية .



(صورة : 22) الواجهة الرئيسية .



(صورة : 23) الواجهة الشمالية .



(صورة : 24) الواجهة الجنوبية .

إن من أهم ما يؤكد اسم المسجد و إسم مؤسسه و السنة التي أسس فيها هي اللوحة التأسيسية التي نجدها عادة أعلى المدخل الرئيسي و في المسجد التركي الحنفي توجد اللوحة التأسيسية (صورة: 25) في الطرف الأيسر للمداخل و تحمل العبارات التالية :



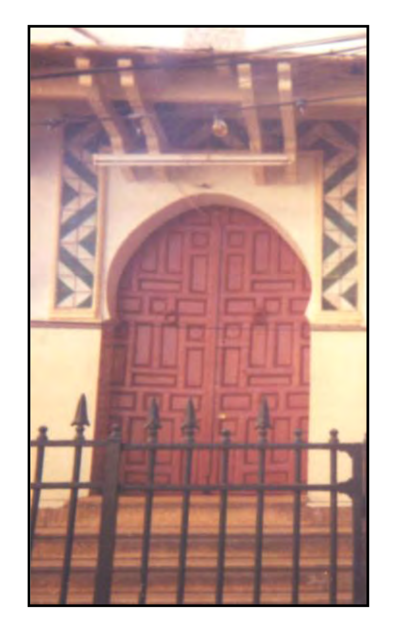
بسم الله الرحمان الرحيم
مسجد الإمام
مصطفى اسطنبولي الحنفي
رحمه الله
ولد سنة 1914
توفي 1999

(صورة : 25) اللوحة التأسيسية .

إن المسجد الحنفي التركي مسجد صغير بني على ارتفاع ملحوظ فوق قبو مما جعل أرضيته مرتفعة . حاليا مدخل هذا القبو مشمع مما تعذر الدخول إليه . و يبرز من هذا القبو جزءه العلوي من جداره . و يقتصر بناؤه على كتلة قاعة الصلاة لإنعدام الصحن فيه ، و ان أهم ما يلفت الإنتباه إليه هو إنشاءه على مستوى مرتفع ، بحيث تتقدمه درجات ــ سلم ــ مواز للمداخل الثلاث للمسجد و هي مداخل متجاورة و متقاربة و يقتصر وجودها على الواجهة الرئيسية فقط و هي من دفتين خشبيتين . المدخل الأوسط و هو الأصلي ، أوسع قليلا مقارنة بالمدخلين الجانبيين اللذين استحدثا لتوسيع نطاق الدخول إلى المسجد و الخروج منه تجنبا لإزدحام المصلين و اللذان كانا نافذتان و حولتا إلى مدخل .

يكتنف المدخل الأوسط (صورة : 26) عقدا متجاوزا بينما المدخلين على جانبيه يكتنفهما عقد متجاوز منكسر . كما ينفرد المدخل الأوسط بوجود إطار زخرفي من البلاطات الخزفية و يشغل أعلى هذه المداخل ظلة تقي من حر الشمس والمطر .

من خلال ملاحظة أهم العناصر الملحقة بالمسجد تتركز في الواجهة الرئيسية بحيث تشغل الميضئة (صورة:27) الركن الأيمن للواجهةالرئيسية والتي صممت منخفضة ، ينحدر إليها بسلم و يرتفع على مدخلها عقدا متجاوزا . اضافة إلى أن المقصورة الأصلية المستطيلة الشكل تقع في مقابل الواجهة الرئيسية و التي يفصلها عن المسجد ممر ، حاليا حوّلت إلى مخزن لحفظ أدوات الدفن لأهل المدينة .



(صورة 26) المدخل الرئيسي

أما الركن الشمالي الغربي فتشغله المئذنة (صورة : 28) الثمانية الأضلاع حيث يبلغ قياس كل ضلع من أضلاعها 1.10 م ، بها إفريز من القرميد يطوقها في الأعلى أعطاها لمسة جمالية رفيعة . كما

فتحت بها فتحات معقودة للإنارة الداخلية و التهوية . و يرتفع أعلى هذه المئذنة الشرفة المضلعة و التي يوجد بها جوسقا مربع المسقط ، يسقفه سقف هرمي .



(صورة :27) الميضئة .



(صورة 28) المئذنة

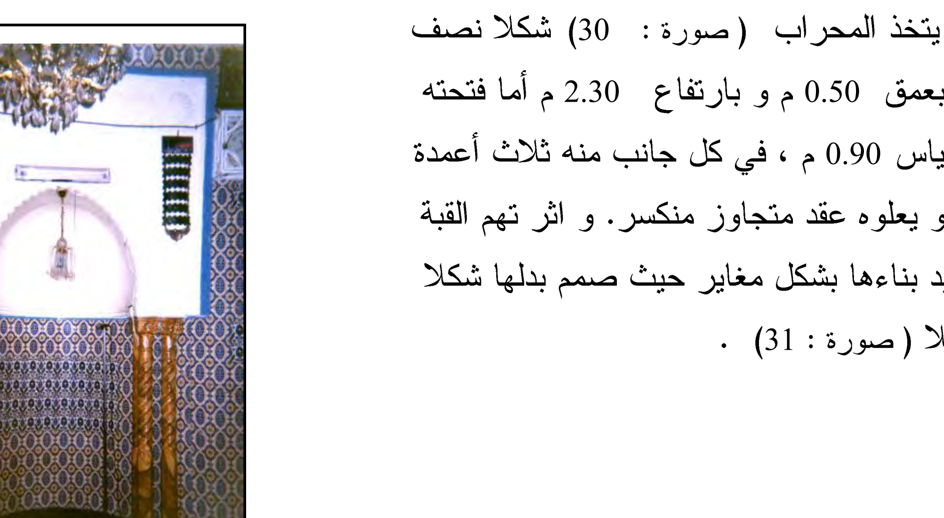
لا تبدو على سطح المسجد القباب التي عهدناها في مساجد الفترة العثمانية بالجزائر و قد عوضت هنا بتسقيف يحاكي تشكيل القباب على مسقط مستطيل و قد تعذر تصويره من الخارج .

الوصف الداخلي :

تنفتح المداخل على بيت الصلاة (صورة :29) ، وهي مستطيلة الشكل و يتصدرها جدار القبلة الذي يتوسطه المحراب المقابل للمدخل الا وسط في الجدار الشمإلى .



(صورة : 29) بيت الصلاة.



يتخذ المحراب (صورة : 30) شكلا نصف دائريا بعمق 0.50 م و بارتفاع 2.30 م أما فتحته فهي بقياس 0.90 م ، في كل جانب منه ثلاث أعمدة حديثة و يعلوه عقد متجاوز منكسر. و اثر تهم القبة فقد أعيد بناءها بشكل مغاير حيث صمم بدلها شكلا مستطيلا (صورة : 31) .

(صورة :30) المحراب .



(صورة : 31) التسقيف أعلى المحراب .

إن المنبر (صورة :32) في الجامع التركي الحنفي متحرك أي يمكن نقله من مكان إلى آخر ، بحيث يوضع أمـــام المحراب في صلوات الجمعـــة و الأعياد و صنـــع من الخشب بتســـع درجات و الزخارف المعمولة عليه من الأطباق النجمية ، أنجزت بطريقة التجميع ، دوّنت عليه الآية الكريمة : " هذا بصائر للناس و هدى و رحمة لقوم يوقنون" ــ في سطرين ــ .



(صورة : 32) المنبر بالمسجد

إن قاعة الصلاة القائمة على على نظام الأعمدة ، بتماثل البوائك (صورة: 33) فيها الموازية لجدار القبلة.، و اصطفاف الأعمدة الحجرية (صورة : 34)، بشكل منتظم يعطي بيت الصلاة توازنا و انتظاما و الأعمدة من النوع نصف الدائري و ترتكز مباشرة على الأرضية دون قاعدة و تحمل



(صورة : 33) بائكة المسجد التركي الحنفي .

تيجانا على نوعين ، نوع بسيط مربع مليس لا يحمل أية زخرفة و يحتمل أن نموذجه الأصلي كسي بطبقة من الجبس ، لذا لم يظهر شكله الأصلي ، أما النوع الثاني فيحمل نتوءات جانبية ركنية ، تضم بينها نتوءات و تحمل الأعمدة و التيجان عقودا نصف دائرية .



ـ أ ـ

(صورة : 34.) أ و ب أعمدة بيت الصلاة



ـ ب ـ

و نظرا لصغر مساحة المسجد ، أظيف حيز جديد لإقامة الصلاة و هو ما يعرف بالسدة (صورة : 35) ، بشكل الحرف اللاتيني " H " ، بمثابة طابق أعلى داخلي و هي تشرف على بيت الصلاة و يتم الصعود إليها بسلمين (صورة : 36) أحدهما يمين مدخل بيت الصلاة و الثاني على يسارها .



(صورة :35) السدة في المسجد التركي الحنفي .

تشغل هذه السدة الأسكوب الثاني لقاعة الصلاة و تمتد إلى الأسكوبين المتطرفين و لا تمتد إلى أسكوب المحراب .



(صورة : 36) السلم يسار المدخل
المسجد التركي الحنفي

أما تسقيف بلاطة المحراب بأنصاف برميلية (صورة : 37) أما سقف بقية بيت الصلاة فهو مسطح .



(صورة : 37) تسقيف بلاطة المحراب .

2 ــ نظام بناء المسجدين :

سنتطرق في هذا الجزء إلى نمط المسجدين ، مركزيـــن في ذلك على المخطط العام للمبنى و بيت الصلاة ، و نظام الأعمدة فيهما ، اضافة إلى العناصر المعمارية كالقبة مثلا من حيث أسلوب الا نشاء و موقعها من المسجد . كما يشمل التحليل أهم العناصر المسجدية التي لابد من توفرها كالمحراب و المنبر و المئذنة و الصحـــن . و هي جوانب هامـــة في بناء المساجد . مع مراعاة مـــا " للتقاليد المحلية و مواد البناء المنتشرة و الإبتكارات الفردية ، فكل طراز من الطرز ، نشأ في بقعة معينة من عالم الإسلام ...". كما سنبين أهم ميزاتهما و نخلص منهما و من خلالهما إلى ملامح الفن المعماري العثماني في مدينة البليدة تحديدا . و هي من مساجد الأحياء التي يصفها أحد الباحثين أنها متواضعة و تبدو دائما و كأنها مختصرات أمينة للمساجد الجامعة الضخمة .

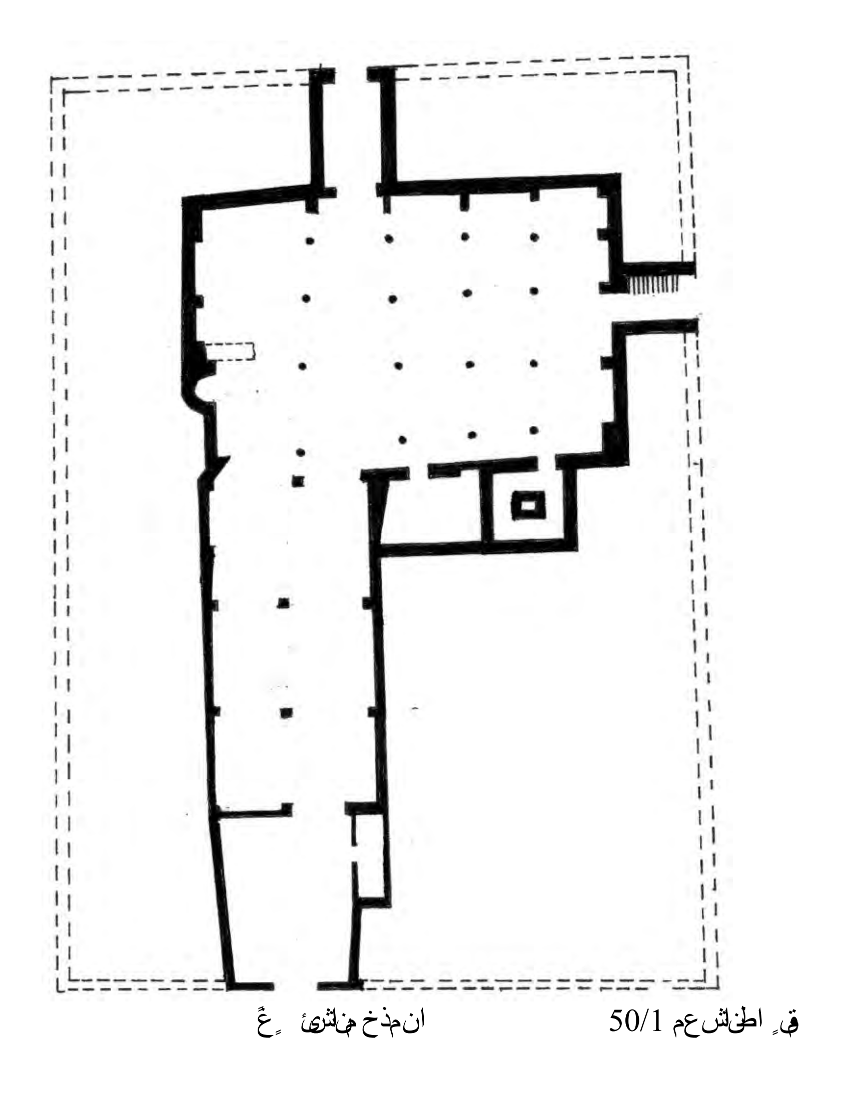
كان للجزائر نصيبها في تبني نماذج من مساجد شاركت في اثراء الفن المعماري فيها ، حيث لم يقتصر نمط المساجد على مخططات تقليدية من تأثير الفن المعماري المسجدي المشرقي أو القيرواني و انما تبين النماذج العثمانية ما توصل إليه هؤلاء في إعطاء صور جديدة لمساجد الجزائر في عهدهم الذين عبروا بها عن تصورهم المعماري المتجدد ، سواء في تركيا أو في الأقاليم التي حلوا بها ، ومع توسعهم أخذوا مسار التجديد سبيلا من أساليبهم الإنشائية و تخلصوا جزئيا و مع الوقت من الأساليب التقليدية إلى أن أصبح لفنهم المعماري لغته الخاصة و ذوقه المميز .

يقوم كل من مسجد ابن سعدون و التركي على مخطط أصلي و عناصر معمارية جلها أصلية من مميزاتها صغر حجمهما حيث تقدر مقاسات أبعاد مسجد ابن سعدون : 14.90 x 14.70 م المسجد التركي بـــ : 19.50م x 14.00 م . و يمكن أن نرد صغر حجم المسجدين إلى عدة أسباب ، منها تقاربهما في الحي الواحد و اختصاص كل واحد منهما بمذهب واحد مختلف عن الآخر مما يجعل عدد المصلين محدودا في المسجد . و ان صغر حجم المساجد سمة تميزت بها مساجد أخرى كثيرة بالجزائر في هذه الفترة و يعود ذلك لكثرتها ، إلى جانب مساجد أخرى تميزت بكبر مساحتها كالتي بمدينة الجزائر و وهران ، مما يدل على كثافة سكان تلك المدن مقارنة بسكان مدينة البليدة ، و هي جوامع بحجم الجامع الجديد بمدينة الجزائر و جامع الباشا بوهران على سبيل الذكر لا الحصر .

بدأت مساحات المساجد تصغر في العصر الفاطمي بسبب كثرتها من جهة و تعد المساجد الجامعة كالأزهر و الصالح طلائع و السيدة رقية ، كما بدأت حدود المساجد تخضع لمقتضيات العمران و تتقيد بالمكان المخصص لإنشائها و نلاحظ تدخّل عدة عوامل في صياغة حجم المساجد ، إلا أنها لا تقلل من وظيفيته ، حيث أن قيمة المسجد لا يحددها حجمه أو زخرفته ، بقدر ما تكمن قيمته في ذاك البعد المقدس له " لأن المسجد قبل كل شيء فكرة و روح " .

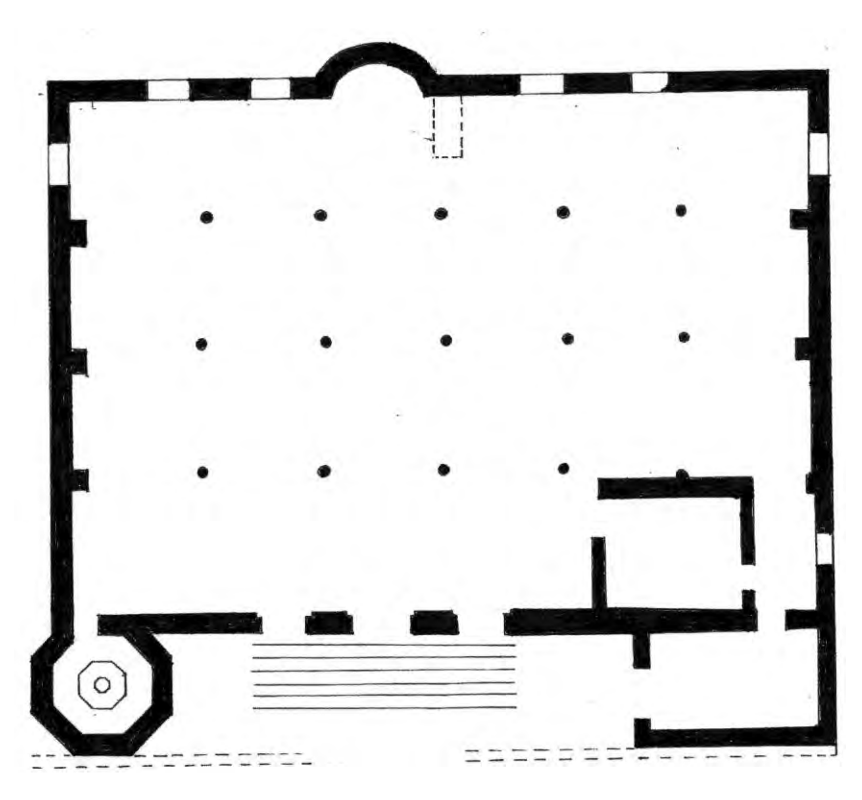
بدراسة مخطط مسجد ابن سعدون (شكل:10) و مخطط المسجد التركي (شكل: 11) نجد أنهما من نمط المساجد المستطيلة الشكل و هو شكل مألوف أتت عليه غالبية المساجد سواء في المشرق أو المغرب الإسلاميين و الجزائر جزءا من هذا الإقليم الأخير حيث يغلب وجود المساجد المستطيلة ، كالمسجد الكبير المرابطي بتلمسان 490 هـ ـ1097م . و ان الشكل المستطيل للمساجد أتت غالبية مساجد المشرق و المغرب ، و هو حسب سعاد ماهر يرجع إلى أسباب منها أن " غرب العالم الإسلامي ، حيث كانت تسود المسيحية كانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل " . و يستغرب أن يتأثر مسلموا المغرب الإسلامي بنمط الكنائس المسيحية ، ليدمجوه في تخطيط مساجدهم و نحن نعلم ما لتأثير مسجد القيروان على نمط بناء المساجد في هذا الإقليم دون إهمال العوامل المحددة لشكل المسجد ، كالمساحة المخصصة لبناءه مثلا . و يشاطرها الوجهة إيلي لمبير ، ذاكرا ما لتأثير الكنائس في تخطيط المساجد في شمال افريقيا ، في قوله " في شمال افريقيا ، اتبع المهندسون نمط الجامع بحسب تصميم المعبد الكنسي أو الروماني ، بأروقة تتوازى مع مركز البناء و كما حصل في قرطبة في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد " .

غير أن حسين مؤنس يرى عكس ذلك ، بخصوص أصالة تخطيط المساجد الإسلامية بصفة عامة و ذلك في قوله " المساجد رغم تاريخها الطويل و تعدد طرزها و أشكالها ، لم تخرج من تكوينها العام عن هيكل مسجد الرسول في المدينة ..." . و من بين النماذج الخاضعة لهذا التكوين بالمغرب الإسلامي جامع القرويين بالمغرب الأقصى ، الذي يشبه في تصميمه الجامع الأموي ، بل يعتبر نموذجا مصغرا عنه .



قٍ اطئلش عم 50/1 ان مذخ هئلشئ ٍ غً

ثُرك م: 10) مخطط مغددنك ه عدونانثٍٍ ذج -



قٍ اطلشعم 100/1 انمذخ هلشئ ٍغً

(شكم : 11.) مخططانمغ للذرشك ًرا لحىفـأنـثـٍهذج -

إن وجود الدرج الذي يتقدم المسجد التركي أعطاه صورة مصغرة للمساجد المعلقة التي كان أول ظهور لها عند الفاطميين ثم اشتهرت عند العثمانيين من بعدهم ، حيث اتصفت بعضا من مساجد هم في تركيا بإرتفاع أرضيتها كما كانت بالغة الضخامة و قد بنيت مرتفعة عن سطح الأرض أو فوق سوق أو دكاكين و يصعد إليها بأدراج عديدة ، منها أمثلتها جامع رستم باشا ــ 969 هــ1561 م ــ في استانبول و مسجد نور عثمانية ــ 1748 .1755 م ــ الذي يصعد إليه بأدراج من عدة أماكن .

إن أهم ما يميز المسجدين ابن سعدون و التركي الحنفي هو طغيان بيت الصلاة كعنصر رئيسي في مخططي المبنيين . و كان يتقدم المدخل الشمالي لمسجد إبن سعدون رواق خارجي مكشوف تتراوح مقاساته ما بين 3 م عرضا و 13 م طولا ، و كانت في جهته الشرقية مرافق منها غرفة ، ميضأة وحمام ، غير أن هذه المرافق هدمت و استغلت مساحاتها و مساحة الرواق لإقامة بيت صلاة إضافية لسبب ضيق الأولى . أما المسجد التركي فينعدم فيه الصحن و عوض برحبة تتقدم المسجد و قد أنشأ العثمانيون مساجدا عديدة من النوع الذي ينعدم فيه الصحن فالمساجد التي عثر على أثارها في تركيا توضح أن السلاجقة لم يقتبسوا الطراز المعروف في إيران و المتمثل بالإيوان و الصحن المكشوف اذ أن أغلب المساجــد كانت بدون صحن كجامع مهرمة سلطان (961 هــ .1535 م) باستانبــول و جامع رستم باشا (969 هــ. 1561م) ببروصة و أولوجامع (396 هــ .1400م) في بروصة و هي كلها جوامع مثلت الطراز الذي ينعدم فيه الصحن و ان انعدامه فيها يمكن تعويضه ، حدث أن استعاض المعماري عن الصحن برواق في مقدمة المسجد ، وهذا الرواق إما أن يكون أحاديا أو مزدوجا ، مثل ما وجد في بليديرم جامع و جامع رستم باشا في استانبول حتى أصبح هذا الرواق ضروريا في المساجد الخالية من الصحن. و قد أدى الرواق الذي كان في مسجد بن سعدون جانبا من دور الصحن ، أما في المسجد التركي فإن الرحبة تؤدي هي الأخرى جانبا و لو بسيطا من دور الصحن ، أيضا فإن وجودها وسطا بين الميضئة و المئذنة ، اللتان تشغلان عرضا متساويا في مقدمة المسجد و في طرفية حتم أعطى التصميم توازنا و تناسقا ظاهرين ، و لم يتقيد العثمانيون في الجزائر بمخطط قاعة الصلاة و الصحن المكشوف الذي عهدناه في المساجد السابقة ببلاد المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني حيث إنتشر المسجد ذي التخطيــط القائم على بيت الصلاة والصحن

و بلغ أرقى تطوره خلال العهــد الموحدي و ما بعده في المساجد الزيانية و المرينية . كما أعطوا لهذا النوع من المساجد بالجزائر أرقى ما وصل إليه فنهم المعماري المسجدي توازيا مع النمط التقليدي المتداول .

و نشير إلى أن إستطالة بيت الصلاة في المسجدين بن سعدون و التركي مختلفة بينهما ، ففي الأول الإستطالة نحو العمق ، ، بينما في الثاني الطول أكبر من العمق .

و بمقارنة حجم بيتي صلاة المسجدين ابن سعدون و التركي الحنفي مع بيوت صلاة أشهر المساجد العثمانية في الجزائر ، نجدها وسطا بين حجم مسجد سيدي امحمد ببلكور و التي تقدر مقاساتها بــ : 14.8 × 8.33 م و مسجد علي خوجة الذي تقدر فيه مقاساتها 18.57 × 14 × 18.14 . و وجدت مساجد عثمانية أخرى ، قاعات الصلاة فيها مستطيلة الشكل ، حيث نسجل المساجد التي استطالة قاعة الصلاة نحو العمق ، و ذلك في مسجد علي بتشين ، مسجد كتشاوة المسجد داخل القصبة ، مسجد سيدي امحمد ببلكور و مسجد الباي محمد الكبير بوهران و قد عرف المرابطون هذا النوع من المساجد التي أنشأت في القرن 12 م وجدت قاعات الصلاة إستطالتها أيضا نحو العمق مثل المساجد المنشأة في الرباط نحو592 هــ 1195 م . أما المساجد التي بيت صلاتها على شاكلة إستطالة المسجد التركي حيث الطول أكثر من العمق ، المسجد خارج القصبة ، جامع صفر بمدينة الجزائر، مسجد سيدي الكتاني بقسنطينة المسجد الكبير بتقرت ، مسجد صالح باي بعنابة و المسجد الكبير بمعسكر . و هي السمة التي إتصفت بها المساجد في العصور الأولى و إن الشكل المستطيل لقاعة الصلاة ، معهود في مساجد عثمانية أخرى في تركيا ، دون الأخذ بعين الإعتبار حجم المساجد ، نجـــده في قاعتي صلاة مسجدي أولوجامع و الفاتح باستنبول . و قد عرف هذا الشكل في أولى مساجد العهود الإسلامية المبكرة ، و حافظ عليه المعماريون في إنشاء المساجد لتناسبه مع إصطفاف المصلين.

إن أساس التخطيط في مسجد ابن سعدون و المسجد التركي ، قائم على نظام البلاطات وهذا النوع من النظام عرفته مساجد الجزائر ، ما يميزها عن باقي دول العالم الإسلامي هو تنوع مخططاتها بين البلاطات الموازية لجدار القبلة إلى العمودية عليه إلى التي تجمع بين الموازية و العمودية على جدار القبلة إلى التي نظام تخطيطها قائم على القبة المركزية . و إن عدد البلاطات في مسجد إبن سعدون خمس أوسعها بلاطة المحراب ، كما أن عدد الأساكيب خمس هو الآخر يختلف عرض الأساكيب ، فالأسكوبين المتطرفين مقاس عرضهما أقل بكثير عن الأساكيب الثلاث التي تتوسطهما .

و إن المساحة المحصورة بين بلاطة المحراب و أسكوبه لا تتوفر فيها الأبعاد المناسبة التي تهئ المساحة المربعة لإقامة القبة التي تعلو المحراب فعرض بلاطة المحراب أكبر من عرض أسكوبه .
و يختلف عدد بلاطات جامع ابن سعدون عن نظيره التركي ، هذا الأخير الذي يحتوي على أربع بلاطات و ستة أساكيب . و تقوم فيه قبة المحراب على فراغ مربع ناتج عن تقاطع بلاطة المحراب مع أسكوبه .

إن إختلاف عرض البلاطات بين المسجدين له ما يماثله في مساجد عديدة بالجزائر ، و لكل منها قياس خاص لبلاطاته ، تتغير بين 2 و7 بلاطات . بينما في باقي دول العالم الإسلامي فعددها يتراوح بين 2 و 9 بلاطات و ذلك من مسجد إلى آخر . و قد ظهر نظام البلاطات أول مرة في مسجد دمشق الذي يعتبر أقدم مثل معروف إتسعت فيه بلاطه المحراب ، ثم تأست به بقية المساجد . أما في المغرب الإسلامي فكان أول ظهور لنظام البلاطات متمثلا في بلاطة المحراب الحالية لمسجد القيروان .

رغم تنوع نظام المسجدين فإن ما نلاحظه أنهما لم يخرجا عن مواصفات أسس البناء القائمة في العهد العثماني و لا عن مواصفات المساجد عامة ، نظرا لإنسجام التخطيط مع دوره الوظيفي في كلا الحالتين .

3 ـ العناصر التخطيطة للمسجد :

إن للمسجديــن إبن سعدون و التركي عناصــر معمارية تخطيطية كالمحراب و المئذنــة و المقصورة ، نفصل أصلها ، شكلها ، أهميتها و علاقتها بالمسجد بمقارنتها بمثيلاتها في مساجد أخرى في العناصر التالية .

المحراب :

تعني كلمة محراب الحنية أو التجويف في جدار القبلة [1] و لا يقتصر المحراب على حنية المسجد فقط و انما يمكن أن تطلق على الحنيات في القصور لوضع كرسي العرش مثل ما هو في قصير عمرة [2] . و يصمم المحراب عادة في وسط جدار القبلة بحيث يتخذ كعنصر في تحديد إتجاه القبلة هذا من جهة و من جهة أخرى هندسيا هو المحور الذي من خلاله " يتحكم بأبعاد البناء الكلي للمسجد "[3]. و عرف منه نوعان ، المحاريب المسطحة و المحاريب المجوفة و يتنوع التجويف ما بين التجويف نصف الدائري ، التجويف قائم الزوايا و التجويف كثير الأضلاع [4] . و ما يهمنا هنا هو المحراب المجوف لإعتبار المحراب في كل من المسجدين ابن سعدون و الحنفي التركي من النوع المجوف .

إن المحراب من العناصر المعمارية التي إستحدثت في المساجد ، فلم يضع النبي صلى الله عليه و سلم بمسجده محرابا ، "إلا أنه عيّن مكانه و هو ما فعله في مسجد قباء خارج المدينة " و قد كان مسجده بسيطا من غير تجويف و لم تعرف المساجد على عهد صحابته أبي بكر و عمر و الخلفاء محاريبا[5]. و قد اختلف المؤرخون في تحديد أول من وضع المحراب بالمسجد من بعد الخلفاء الراشدين الأربع . فهل هو الخليفة الأموي مروان بن عبد الحكم أم عمر بن عبد العزيز في عهد الوليد إبن عبــد الملك[6] . و قيــل أن أول محراب في الإسلام هــو محراب الصحابــة في المسجد الأموي

---

(1) ــ يحي وزيري ، موسوعة عناصر العناصر الإسلامية ، الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي ،1999 ، ص ،11.

(2) ــ طه الولي ، المرجع السابق ، ، ص . 115.

(3) ــ ايلي لومبير ، المرجع السابق ، .ص. 66 .

(4) ــ يحي الوزيري ، المرجع السابق ، ص . 11.

(5) – طه الولي ، المرجع السابق ، ، ص . 115.

(6) ــ صالح لمعي مصطفى ، التراث المعماري الاسلامي في مصر ، الطبعة الا ولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 ص. 43.

بدمشق و يكاد يجمع المؤرخون على أن أول من أدخل المحراب هو عمر بن عبد العزيز ، أثناء ولايته على المدينة المنورة في خلافة الوليد بن عبد الملك [1] عند تجديد عمارة المسجد النبوي التي تمت سنة 91 هـ . 709 م .

يرجح طه الولي كلاما للسمهودي ، واضح لا لبس فيه و لا غموض يذكر أن "عمر ابن عبد العزيز لم يضع في المسجد محرابا ، و انما أعاد بناء هذا المحراب "و يرجح أن أول من أدخل المحراب إلى المسجد هو عثمان بن عفان و ذلك من أجل تعيين اتجاه القبلة و تحديد مكان وقوف الإمام في صلاة الجماعة[2] يشير ايلي لمبير أن قرنا من الزمن يمر على هجرة النبي و" يضاف إلى الجامع جزء جديد من التجهيزات هو المحراب ـ كوة أو حنية ـ تظهر في الجدار القبلي و أمامها مباشر يقف الإمام للصلاة "[3] و كانت مساجد البصرة و الكوفة و مصر" خالية من المحاريب المجوفة على غرار مسجد الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ [4] و احتوى عليها كل من قبة الصخرة و الجامع الأموي بدمشق و مسجد كل من قصري المشتى و الطوبة و الأخيضر ثم تطور في محراب كل من الجامع الكبير و جامع أبي دلف بسامراء و أصبح يحفه من جهتيه عمودان [5]. و إن أول محراب مجوف في مصر الذي أقيم في جامع عمر ابن العاص في زيادة قرة بن شريك والي مصر ـ 94.92 هـ 710ـ 712 م.ـ في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك [6] كما أن أول هذا النوع في المغرب الإسلامي هو محراب عقبة و الذي أقيم في جامع القيروان في تونس " وجدت المحاريب المجوفة أيضا في محراب مسجد رباط سوسة و محراب جامع الزيتونة " [7]. و يبق المحراب إبتكارا إسلاميا ظهر عند المسلمين منذ السنة الثانية للهجرة " [8].

دخل المحراب عمارة المساجد و ارتبط بها إرتباطا وثيقا إلى درجة أننا لا نعثر على مسجد بدون محراب ، خاصة و هو العنصر الدال على اتجاه القبلة ، اضافة إلى أن تجويفه يساهم في التقليل من المساحة التي يأخذها الإمام أثناء الصلاة كما أنـــه مضخم لصوت الإمام ، أثناء قراءته في الصلاة

---

(1)ـ طه الولي ، المرجع السابق ، ص . 225. بتصرف.

(2) ـ نفسه ، ص . 224. بتصرف

(3) ـ ايلي لومبيز ، المرجع السابق ، ص . 65.

(4) ـ سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص .16 .

(5) ـ محمد حسين جودي ، العمارة العربية الا سلامية ، خصوصيتها، ابتكاراتها ، جمالياتها ، الطبعة الاولى ، عمان 1998 ، ص . 75.

(6) ـ صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق .ص. 43.

(7) ـ محمد حسين جودي ،المرجع السابق ، ص . 75.

(8) ـ نفسه ، ص. 75 .

كما أخذ هذا العنصر المعماري سمة الشرف ، السمو و الرفعة و بدأت المحاريب بحنية بسيطة تنوعت مادة بناءها حيث بنيت من الحجر تارة و من الجص ، الخزف ، الفسيفساء ، الخشب و الصدف تارات أخرى. أما زخارفها فهي إما من القرنصات أو العقود المتدخلة و المزررات و الإطارات و الحليات و الرسوم النباتية و الهندسية و الكتابية و انعدمت بها الرسوم الحيوانية .

تطور تجويف المحاريب فقد ازداد عمقه و تنوع بين الدائري بالشام و و مضلع بالعراق [1].
و لم تقتصر المساجد على محراب واحد و انما وجدت مساجد تتعدد فيها المحاريب فقد إحتوى المسجد النبوي ، على ثلاث محاريب ، أقدمها المحراب النبوي ، الذي عينه النبي صلى الله عليه و سلم ، عند تحويله القبلة في شعبان من السنة الثانية للهجرة و في فترة لاحقة أضاف عثمان بن عفان محرابا ثان ، أما المحراب الثالث فأنجز يمين الأول و يعرف بالمحراب السليماني [2] و احتوى المسجد الأموي بدمشق على أربعة محاريب موزعة علي جدار القبلة كل واحد منها خص لمذهب معين ، منها المذهبين الحنفي و الحنبلي . [3]

كما ظهر في العصر العثماني أسلوب عمل المحاريب المجوفة من صفوف من المقرنصات و أصبح هذا الأسلوب هو السائد في عمائر هذا العصر [4] .

---

(1) ــ حسين جودي ، المرجع السابق ، ص . 75.

(2) ــ حسني محمد نويصر ، الآثار الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1998 ، ص.48.

(3) ــ صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 44.

(4) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 265.

لمىأذت :

تتنوع المآذن في أشكالها و أحجامها و كذا مواضعها من المسجد و هي تفتح بذلك بابا واسعا و غنيا للبحث و الدراسة و هي بناء رأسي و عنصـــر معماري غير أساسي في تخطيــط المساجد اتخذت للإعلان بدخول وقت الصلاة سواء الخمس أو صلاة الجمعة و لم يقتصر دورها على هذا الجانب و إنما تعدى أحيانا في عصور مضت إلى الوظيفية العسكرية في الفترات التي عرف فيها المغرب الإسلامي التوترات الداخلية [1] .

تختلف الأسماء التي تطلق على المئذنة فهي تعرف بالصومة في الشمال الإفريقي والمنارة في الإسكندرية ــ نسبة إلى منار الإسكندرية ــ حيث كان المؤذن يصعد و في يده مصباح للإنارة في حال الظلمة ليلا و ينادي للصلاة منه أطلق عليها اسم المنارة ، كما أطلق عليها العساس [2] و الذي يعني الحارس أو الحراسة . أما لفظ المئذنة فقد نسب إليها جراء دورها المتمثل في رفع الآذان ــ إن صح التعبير ــ و هو ــ حسب رأيي ــ أقرب لفظ إلى الفهم لإرتباطه بوظيفتها ، حيث كان المؤذن يصعد إلى أعلاها ليعلن وقت دخول الصلاة [3] .

إقترن بناء المآذن بالمساجد لدرجة أننا لا نعثر على مسجد من دونها ، لأهميتها و العلاقة الطردية بين الإرتفاع و وصول الآذان إلى أبعد مكان ممكن من المدينة .و لم تكن للمساجد في عهد النبي صلى الله عليه و سلم مآذنا و إن الحاجة إلى رفع الآذان إلى أسماع سكان المدينة هي التي دفعت إلى هذا العنصر المعماري الكفيل بالقيام بهذا الدور و قد ورد عن البخاري أن " المسلمين حين وصلوا المدينة كانوا يجتمعون ، فيتحينون الصلاة ، ليس ينادى لها " [4] و ظل الأمر على هذا الحال إلى السنة السابعة للهجرة[5] . و لما كانت طريقة النداء هذه يعوزها الإعلان الواسع للصلاة ، أراد ــ النبي صلى الله عليه و سلم ــ أن يتخذ طريقة أخرى ، أشار عليه بعض صحابته باتخاذ البوق الذي عرفه اليهــود إلا أنـــه استبعده و أشيــر عليه بالناقوس الــذي عــرف عند النصارى إستبعده هو

---

[1] ــ عبد الكريم عزوق ، القباب و المآذن في العمارة الاسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، 1996، ص . 56.

[2] ــ عاصم رزق ، المرجع السابق ، ص. 307.

[3] ــ محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص. 72.

[4] ــ عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها و تطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني ، مؤسسة شهاب الجامعة ، الإسكندرية ، ص. 10 .عن : صحيح البخاري ، ج1، ص. 249.

[5] ــ طه الولي ، المرجع السابق ، ص 244.

الآخر، حرصا منه على أن يتميز المسلمون ، بطريقة للنداء لصلواتهم و كأنه أراده بصوت بشري [1] يؤدي دور النداء بالذكر وليس بآلة صماء و كان مما أخذ به ما رآه عبد الله بن يزيد الخزرجي في منامه و دعمه عمر بن الخطاب الذي رأى مثل ما رأى صاحبه ، بعد ما لقن بلال بن رباح صيغة للآذان جديدة [2] الذي لقب " أبو المؤذنين " [3] و بقيت تلك الصيغة متداولة إلى يومنا هذا *و اهتدى المسلمون إلى اتخاذ منارة بدار حفصة ** مئذنة[4] . أما في مكة فقد كان الآذان من على سقف الكعبة [5]. و كانت مساجد الكوفة و البصرة و الفسطاط خالية من المآذن عند إنشائها الأول ، كما لم يتطرق المؤرخون إلى ذكرها أو وصفها [6] إلى العهد الأموي و منذ أمر معاوية بن أبي سفيان بإتخاذ مئذنة للمسجد الأموي بدمشق و "كان أول من أشار ببناء المآذن في الإسلام و من هذا العهد ارتبطت المآذن بتخطيط المساجد و أصبحت عنصرا أساسيا من عناصره [7] و كانت للمآذن المربعة السورية أثرا كبيرا في صياغة مآذن المغرب الإسلامي و التي منها مئذنة القيروان و لم يقتصر هذا النمط على مئذنة هذا المسجد و إنمـــا غلب على جل مآذن المغرب و الأندلس و اتخذ مثالا لها[8] و اختلفت عنها مئذنة جامع برقة و مئذنة جامع طرابلس (300هـ .912م) ، المثمنة البدن على قاعدة إسطوانية .

حتى نعطي لنمط مئذنتي المسجدين ؛ إبن سعدون و الحنفي التركي صبغة تربطهما إنتماءا بالعهد العثماني و نلمس مدى تأثرهما بالأنماط السابقة لهذا العهد .

---

(1) _ EDMOND Douté ,les Menarets , revue afrecaine, 1899 , p. 339.

(2) ـــ طه الولي ، المرجع السابق ، ص. 244.

(3) – EDMOND Douté , op .cit .p. 339 -

* بتكبيرتين ، شهادة أن لا اله الا الله ـــ مرتين أو أربع ـــ شهادة أن محمد رسول الله ـــ مرتين ـــ ، حي الصلاة ـــ مرتين ـــ حي على الفلاح ـــ مرتين ـــ و تكبيرتين و شهادة أن لا إله إلا الله ـــ مرة واحدة ـــ .

** ابنة عمر رضي الله عنه ، ثالث الخلفاء الراشدين .

(4) ـــ نويصر ، المرجع السابق ، ص. 49 .

(5) _ EDMOND Douté , op .cit .p. 339 -

(6) ـــ عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها و تطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .ص. 10 .

(7) ـــ طه الولي ، المرجع السابق ص .ص . 253.255.

(8) ـــ عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص .8.

نذكر أن طراز مئذنة الملوية و ابن طولون تميز كثيرا و لم يتكرر بالقيمة المعمارية و الفنية التي شهدتهما المئذنتان . و منه نجد أن حظ الطرز الأخرى كان أوفرا في التوسع و الإنتشار في مساجد العالم الإسلامي و التي منهـا المآذن المربعـة الشكل و المثمنـة و خضع بناء المآذن لتطـور في شكلهـا و مظهرها و هي بقاعدة و بدن و جوسق تعلوه قبة يعلوها سفود و قد كانت مآذن القاهرة بقاعدة مربعة و بطوابق تارة مضلعة أو إسطوانية ، منفردين أو متعاقبين [1]. و في عصر المماليك البحرية لحق بالمئذنة تطور هام تضاءل فيه ارتفاع البدن المربع و أصبح الطابق المثمن هو الجزء الظاهر من المئذنة . و ظل هذا الطراز مستمرا حتى بداية العصر العثماني حيث تنوعت أشكاله و تعددت زخارفه [2] . بنهاية العصر أصبح الجزء المربع قليل الإرتفاع[3] كما أصبح للمئذنة المملوكية البرجية قاعدة مربعة قصيرة يعلوها بدن مثمن في أغلب الأحيان ، ينتهي بصفوف من المقرنصات الصغيرة التي تحمل شرفة الآذان[4] .

أما غرب العالم الإسلامي حيث تعتبر مئذنة القيروان (سنة 105هـ .724 م) المعلم الذي تأثرت بتصميمه و شكله معظم مآذن المغرب الإسلامي . و هي بقاعدة مربعة و طابق مربع بجوسق و التي " احتفظت في بنائها بفكرة الإنسياب و تدرج الطوابق العليا " [5] يقول عنها رؤوف الأنصاري " كنت قد رجحت منذ سنوات أن هذه المئذنة إقتبست من الأبراج السورية و أكدت أن تلك الأبراج تتضاءل أمام شهرة مئذنة القيروان و شخصيتها . تظهر تلك الأبراج في هيئة الجمود و تخلو نسبها من التوازن "[6].

و يعرف المغرب الإسلامي نماذج هامة من المآذن الأثرية ، منها ما تتشابه و منها ما تختلف إختلافا يمس النسب المعمارية للقواعد و الأبدان ، من حيث طول ضلعها أو قطرها أو إرتفاعها من

---

(1) ـــ أحمد فكري ، مساجد القاهرة و مدارسها ، العصر الفاطمي ، الجزء الأول ، دار المعارف ، مصر ، 1965 ، ص 169.

(2) ـــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق . ص. 311.

(3) ـــ نفسه ، ص. 310.

(4) ـــ رؤوف الأنصاري ، المرجع السابق ، ص. 106 .

(5) ـــ أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص .169.

(6) ـــ رؤوف الأنصاري ، المرجع السابق ، ص. 168.

(7) ـــ حسين جودي ، المرجع السابق ، ص. 72 .

أشهرها ، مئذنة الجامع الكبير بإشبيلية و المئذنة التي بجامع مراكش بالمغرب الأقصى و التي تعتبر من أجمل و أروع مآذن المساجد الباقية بقاعدة ضخمة و ست طوابق "أما بالمغرب الأوسط فان أشهر و أقدم مآذنه مئذنة مسجد قلعة بني حماد [1] التي أثرت في جل المآذن بالمغرب الإسلامي كمئذنة حسان بالرباط و مئذنة اشبيلية و المنصورة و التي تبرز أرقي ما وصل إليه فن إنشاء مآذن المغرب الأوسط إضافة إلى مئذنة أغادير التي تماثل سابقتها نمطا [2] . و إختلف شكل المآذن بإختلاف المناطق في العالم الإسلامي ، حيث صممت بشكل مربع في المغرب الإسلامي و تميز شكلها بالإسطواني في تركيا أما في مصر فقد تنوع شكلها مع تعدد المراحل التاريخية بها. [3] كما أن لشكل المئذنة علاقة بالمذاهب الإسلامية ، و هي فكرة اقتصرت في بلاد المغرب الإسلامي دون غيرها من البلدان الإسلامية ، فقد عرفت كل من تونس و الجزائر و المغرب نوعان من أشكال المآذن ؛ المربعة التي اختص بها المذهب المالكي و الإسطوانية لدى الأحناف كما و جد الشكلان معا في المذهب الواحد في أحايين قليلة . و قد حرص الولاة و السلاطين على إنشاء مآذنا بشكل مضلع في بلاد المغرب على خلاف الطراز المنتشر عند الأسلاف من مسلمي المغرب و هو الطراز المربع الشكل حتى " أصبح الناس يفرقون بين مساجد الأحناف و بين مساجد المالكيين عن طريق مآذن هذه المساجد " [4] . و كان للشكل المربع سبق الوجود مقارنة بالشكل المضلع و الذي عهدناه ــ المربع ــ في المساجد الأموية في العالم الإسلامي .

تكاد مئذنة مسجد التركي الحنفي تتطابق مع مئذنة مسجد صفر و كذا التي بكل من مسجدي داخل و خارج القصبة و التي تحتفظ هي الأخرى بنمطها من العهد التركي . أما مئذنة مسجد إبن سعدون فهي تماثل في مسقطها المربع كل من مئذنة جامع علي بتشين و التي بمسجد سيدي عبد الرحمان و مسجد المصيدة [5] و هي تحفظ ذلك وفق إستمرارية للنمط المغربي إن لم نقل القيرواني الذي أتت عليه كل من مئذنتي سيدي أبي مدين و أبي الحسن[6] .

---

(1) ــ رؤوف الانصاري ، المرجع السابق ، ص . 104.

2 RACHID Bourouiba , l'art... , op.cit. p. 17

(3) G . Marcais. l'Algerie medival...p. 79.

(4) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 312.

–(5) RACHID dokali , op.cit.p.40.

ـ (6) RACHID Bourouiba, apport... op.cit .

تأخذ المآذن عموما أركان المساجد ، و منها ما تشمل على مئذنة واحدة و أخرى على أكثر و" لا توجد قاعد تحدد موضع المئذنة "من المسجد[1].

المقصورة :

تقام المقصورة عموما بجوار المحراب [2] إلا أنه يلاحظ لها استثناءات في ذلك ، فهي توجد في مسجد ابن سعدون في الجدار الشمالي أما في المسجد الحنفي التركي فهي منفصلة تماما عن كتلة المسجد ــ كما ذكر سابقا ــ ، و نقصد هنا المقصورة الأصلية .

لم تعرف المساجد المبكرة المقصورة و إنما إستحدثت بعد ظهور المحراب و المنبر و هي تخصص للخلفاء و الحكام و خاصة في جوامع العواصم حيث كان ينتظر فيها هؤلاء و دخول وقت الصلاة ليدخلوا مباشرة إلى بيت الصلاة تجنبا للإحتكاك بالعامة و الدخول معهم من باب واحد.
و تعتبر أقدم مقصورة قائمة في المغرب الإسلامي التي في جامع القيروان بتونس ــ و هي مقصورة خشبية أقامها المعز بن باديس حوالي سنة 441هـ .1049 م [3] .

ميضأة :

نظرا لأن الوضوء شرط رئيس في صحة الصلاة عند المسلمين ، كان من الضروري إلحاق ميضآت بالمسجد تسهيلا لوضوء عامة المسلمين من أهل المدينة و عابري السبيل . و يستحسن أن يكون إنشاؤها في الواجهات الثلاث دون واجهة القبلة ، هذه الأخيرة التي تنعدم بها المداخل المؤدية إلى قاعة الصلاة تفاديــا لإنشغال المصلين بالحركة جــراء الدخول و الخروج من المسجد .

---

[1] – عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص. 54.
[2] ــ أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص . 132.
[3] ــ نفسه ، ص . 132.

لم يحتوى جامع عمر بن العاص ميضأة عند تأسيسه سنة 21 هـ ـ 641 م أما بقية المساجد المبكرة فقد إحتوت على" أحواض عادية مجصصة و التي تطورت مع مرور الزمن و صارت عبارة عن قباب في وسط الصحون... و زودت بالأنابيب و الأقبية و المجاري و دورات المياه ، حتى صارت الميضأة في القرنين السابع و الثامن الهجريين ـ 7 / 8 هـ . 13 /14 م ـ وحدة معمارية قائمة بذاتها ..."[1].

---

(1) ـ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص. 324 .

ثانيا : الأضرحة .

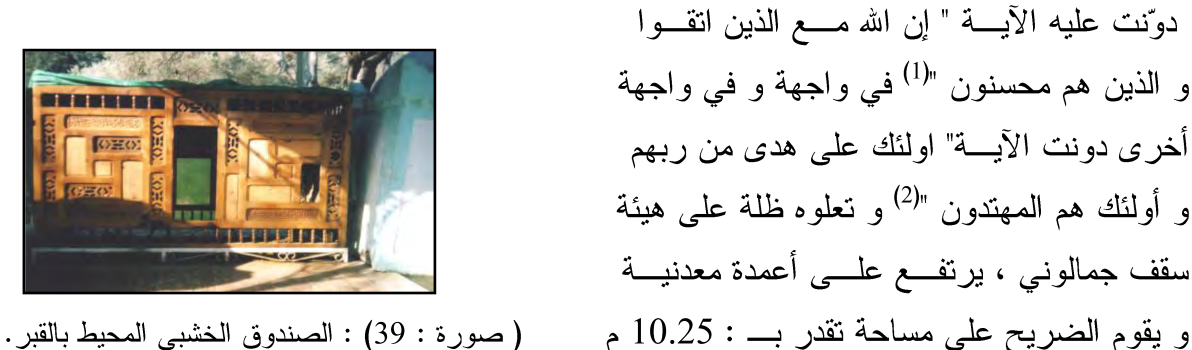
1 ضريح سيدي أحمد الكبير :

يوجد ضريح سيدي أحمد الكبير في الناحية المعروفة بسيدي الكبير ، ببلدية بوعرفة و هو بصورة مغايرة تماما لما كانت عليه ، فلا أثر للضريح الأصلي و قبته التي يروى أنها تهدمت بعد إقامتها سنة 1540 م و أعيد بناؤها مرتين ، لتلقى نفس النتيجة و ما كان من السكان إلا أن تراجعوا عن فكرة إقامتها و أقاموا بدلها فوق قبره ظلة فقط و للإشارة فان ضريح سيدي الكبير حاليا غير مصنف و تعد المقبرة التي يوجد بها أول مقبرة في مدينة البليدة و خصصت لدفن الأفراد المنحدرين من عائلة العروسي هذا الأخير الذي يعتقد سكان البليدة أنه أحد أبناء سيدي احمد الكبير ، منهم عائلة العروسي التي تتكفل بالعناية بهذه المقبرة من حيث تنظيفها و استقبال زائريها .



(صورة : 38) ضريح سيدي أحمد الكبير .

إن ضريح سيدي احمد الكبير مميز كثيرا (صورة : 38) لإحاطته بما يعرف لدى زواره بـــ : "التابوت:(صورة: 39) وهو عبارة عن صندوق خشبي مستطيل الشكل ، تتراوح مقاساتــه بيــن 2.60 م طــولا و 1.60م عرضــا و 1.60 م ارتفاعـــا إلا أنه تجهل السنة التي أنجز فيها و قد صمم بطريقة رائعــة بزخرفــة هندسية مخرمــة و شريط من زخرفة كتابية دوّنت عليه الآيـــة " إن الله مـــع الذين اتقـــوا و الذين هم محسنون "[1] في واجهة و في واجهة أخرى دونت الآيـــة" اولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المهتدون "[2] و تعلوه ظلة على هيئة سقف جمالوني ، يرتفــع علـــى أعمدة معدنيـــة و يقوم الضريح على مساحة تقدر بـــ : 10.25 م



(صورة : 39) : الصندوق الخشبي المحيط بالقبر.



(1) ـــ سورة النحل ، الآية 128.

(2) ـــ سورة البقرة ، الآية 5.

صرح لنا السيد " لعروسي " القائم الحالي بالخدمة في المقبرة من حيث الحراسة و التنظيف و استقبال زوار قبر سيدي الكبير(صورة : 40) أنه سعى في عدة محاولات لضم المقبرة رسميا إلى المعالم التاريخية الأثرية إلا أنه لم يستجب له لتبقى المقبرة كغيرها من المعالم الأثرية بمدينة البليدة من غير إهتمام رسمي .



(صورة : 40) قبر سيدي احمد الكبير

يحتفظ السيد العروسي بشاهد قبر (صورة :41) سيدي احمد الكبير في منزله ، ظنا منه أنها الوسيلة الأنسب لحفظه و ضمانا منه لهذا الإرث الأثري و قد جلبه إلينا حين زيارتنا له و هو كله فرحا بقيمة ما يحمل بين يديه و كله إعتزازا لإعتباره من أحفاد سيدي الكبير و له أحقية إمتلاك ما يؤكد إنتماءه له ، كما يعتقد أن أولاده ـ من المفروض ـ خدمه .
كتب على شاهد القبر بحفر بارز و في ثلاثة أسطر مايلي :

هذا ضريح الولي الصالح القطب
الناصح سيدي احمد الكبير
توفي في سنة 980هـ 1568 م



(صورة : 41) شاهد قبر سيدي احمد الكبير .

يوجد في هذه المقبرة قبر آخر مميز جدا قيل أنه يعود إلى ما قبل سنة 1112 هـ . 1700 م و هو يعرف عند سكان المنطقة بـــ " السنجاق " و حسب السيد لعروسي أنه المعلم الوحيد الذي تم انجازه في الفترة العثمانية . و هو عبارة معلم جنائزي (صورة : 42) بمسقط مربع بقياس المتر طولا و عرضا و بإرتفاع قامة رجل تحلي قمته تقليد للعمامة رمزا للسلطان و يعتقد أنها للجد الرابع المسمى العروسي كما أن عددا مـــن القبور و التي تقترب مـــن الثلاثين قبرا ، ما يشد الإنتباه إليها أنها طويلة نوعـــا ما و مميزة بشواهد قبور متماثلة الشكل . و يعتقد أنه قبل سنة 1215هـ . 1800 م كانت هذه هي طريقة الدفن في هذه المقبرة ، أي إستعمال هذا النوع من الشواهد كما يوجد في هذه المقبرة قبر للسيد " عبد الرحمان القريعي" (1285هـ 1868 م) و الذي كان من أثرياء المنطقة . إضافة إلى وجود قبور أخرى تتخلل قبور أسرة العروسي تم دفنها بعد إستئذان أسرة العروسي و هو التقليد المتبع منذ زمن بعيد .



(صورة :42) معلم جنائزي في مقبرة سيدي احمد الكبير

يوجد بمحاذاة المقبرة زاوية و حسب ما إستقيناه من معلومات فإن هذه الزاوية التي تنسب خطأ إلى سيدي احمد الكبير ، لم تكن في يوم من الأيام مكانا للتدريس أو للتعليم و ليس هناك ما يدل أن سيدي احمد الكبير درس فيها ، كما أنه لم تبن في عهده زاوية . و قد سمي المكان الحالي " دوار* سيدي الكبير" نسبة إلى وجود قبره في المقبرة المجاورة تماما لهذه الزاوي التي بنيت في الفترة الإستعمارية . و قد لجأت إلى هذه الزاوية عدة قبائل في العهد الإستعماري ، منها قبيلة بني صالح التي طردت من أراضيها .

---

* يطلق هذا اللفظ على الأحياء الصغيرة.

2 ـــ ضريح سيدي يعقوب الشريف :

يوجد ضريح سيدي يعقوب الشريف في الناحية الغربية لمدينة البليدة ، بالقرب من باب السبت داخل الحديقة التي كانت تسمى "الخشب المقدس" و هي التسمية التي لازمتها منذ 1215 هـ 1800 م ، ثم تغيّر إسمها إلى محمد الخامس و غرست بها الأشجار و نبتات الورود .

يروى أن في القرن السادس عشر للميلاد أتى سيدي يعقوب الشريف من مراكش بالمغرب الأقصى و تحديدا من قبيلة كانت تدعى " الشرفاء " إثر توجهه إلى الحج و في طريقه عرج على مدينة البليدة ، أين إستراح هو و رفاقه و خيلهم ، عند الضفة الغربية لوادي سيدي احمد الكبير ، إعجابا منه بالمكان و سعته و ارتحل إلى أداء فريضة الحج و بعد عودته حط ثانية بنفس المكان حيث أقام خياما و التقى بسيدي احمد الكبير ، وتوفي سيدي يعقوب بهذا المكان و دفن فيه و أقيم على قبره ضريحا إلا أنه تجهل سنة بناءه ، و الضريح محفوظ حاليا و مسيج إلا أنه غير مصنف* .
و حسب بعض الروايات **، أن المكان الذي يوجد به الضريح حاليا كانت بالقرب منه مقبرة بدليل العثور على جماجم لأشخاص منها ما حولت رفاتهم إلى قبور في مقابر أخرى و منها ما ردم بالرمل .

و بقي سيدي يعقوب من الرجال الذين خلد التاريخ إسمهم و ذكراهم بالبليدة و تكرمت المدينة به و احتفظ الناس بذكراه و كيف لا و ضريحه يذكرهم بهذا الشيخ الجليل الذي بقي معلمه شاهدا على أثر قدمه إلى اليوم .

---

* قائمة جرد المعالم و المواقع الأثرية لولاية البليدة .

** رواها متقاعد ، من مواليد 1930 م عمل مدة 42 سنة الحارس السابق على الحديقة التي يوجد بها الضريح .
و حكى عن يهود المدينة و حيلهم حين كانوا يلبسون لباس الشخص العربي حتى لا يتمكن العامة من التعرف عليهم .

يبدو ضريح سيدي يعقوب الشريف (صورة : 43) من الخارج كتلة بنائية مربعة و تبلغ مقاسات أضلاعه 4.58 م x 4.54 م x 4.54 م x 4.55 م ، تعلوه قبة ثمانية الأضلاع . يتصدر واجهته الرئيسية الشرقيـــة المدخل الرئيسي (صورة : 44) المتكون من دفة معدنيـــة واحدة ، قياس إرتفاعه 1.93 م و عرضه 1.10 م ، و يعلوه عقدا نصف دائريا و تزيـــن إطاره بلاطات خزفية جانبية في شريط واحد أما في الأعلى فمن صفين و صممت على جانبيه دكة حجرية في كل جانب بإرتفاع 0.50 م .



(صورة : 43) ضريح سيدي يعقوب الشريف

يزيّن أعلى الجدران إفريز من قطع الآجر ، يظهر منها جزء مثلث في شكل متتالي على طول الجدران الأربعة . كما يزيّن أعلى الأركان الأربعة شرافات ، إضافة إلى القبة التي ترتفع على سطح الضريح و كأنها تزيد من سموه ، و هي ثمانيـــة الأضـــلاع تتناوب الفتحات بين أضلعها ، بحيث تشغل فقط الأضلع الموازية لجدار الضريح. كما يعلوها قضيب معدني .



(صورة 44:) مدخل ضريح سيد يعقوب الشريف

و لم أتمكن من رؤية ما بداخل الضريح بسبب إغلاقه و ذلك منذ سنة 1405 هـ . 1984 م نتيجة تعرض ما بداخله إلى الحرق ليلا إثر نسيان شمعة بداخله . و فتح مرة واحدة بعد الحادث لتنظيفه ، حسب شهادة الحارس السابق للضريح الذي ذكر أيضا أن قبر سيدي يعقوب الشريف يوجد إلى يمين المدخل .

3 ـ نظام بناء الأضرحة :

إن الأضرحة من جملة المباني التي تدخل ضمن النسيج العمراني للمدن الإسلامية . و للضريح أسماءا تختلف من إقليم إلى آخر فهو ضريح ، مدفن ، تربة و قبة [1] . و خصه العثمانيون باسم مشهد و يعني لديهم " كل بناء تذكاري أعد لدفن الشهداء أو أهل البيت "[2] كما أطلق عليه إسم مقام *.
و الأضرحة " بناء على قبر المسلم "[3] و هي تبنى عادة لبعض العظماء، الأمراء ، العلماء و الفضلاء بعد وفاتهم[4] . تخليدا لذكراهم ، علما أن منهم من كان يقام له ضريحه بعد وفاته و منهم من كان يعد لنفسه ضريحه. و كغيرها من المباني تحضى الأضرحة بالعناية و الإهتمام كونها تلقى الإقبال و زيارة العامة خصوصا .

تتميز الأضرحة بتصميم و شكل بسيطان ، فهي لا تحاكي العمارة المسجدية و العمارة المدنية في ثراءها المعماري و الزخرفي إلا في ارتفاع القباب عليها [5]. و التي تختلف عن قباب العمائر الأخرى ، مميزة عنها في شكلها و من أجمل ما أعطي من ربط العلاقة بين الضريح و القبة نتيجة إكثار المسلمين من رفع القباب على الأضرحة ، في القول " أطلق الجزء على الكل وصارت كلمة قبة تطلق على الضريح "[6]. و يعلل أحد الباحثين على التزام المعماري بإقامة القباب على الأضرحة هو شكلها المعبر عن الإتجاه نحو السماء في قوله "و لعل إرتباط القبة بالشكل السماوي يكون الجواب عن التساءل في تغطية المدافن بالقباب " لأن القبة " تمثل السماء لدى المسيحيين ، خاصة في القرن الرابع

---

[1] ــ صالح لمعي ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984
ص . 22.

[2] ــ لمعي مصطفى ، نفس المرجع ، ص .22.

* و يخص هنا دفن الأولياء و الشيوخ و الأنبياء . كمقام إبراهيم عليه السلام.

[3] ــ عبد الرحيم سالم ، دراسات في الشكل و التطور المعماري ، جامعة العلوم و التكنولوجيا الا ردنية ، الطبعة الأولى ، 1993 . ص. 82 .

[4] ــ عبد القادر الريحاوي ، مدينة... ، المرجع السابق ، ص 185.

[5]. ــ عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، عربي ، فرنسي ، انجليزي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1988 ص .66 .

[6] ــ جمعة أحمد قاجة ، موسوعة فن العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، 2000 م ، لبنان. ص . 343.

للميلاد في سوريا و فلسطين" . أما فريد شافعي فيصنف الأضرحة بالإعتماد على الشكل الخارجي للقباب[1] . و ذلك عبر مراحل تاريخية فقد كانت القباب في الفترة ما بين القرن 9هـ .15م إلى غاية العهد العثماني مخروطية الشكل ، مثل ضريحي قايتباي و برسباي في القاهرة (9هـ . 15م) و قبة ضريح تيمورلنك في سمرقند (9هـ. 15 م).

من التصاميم التي خضع إليها إنشاء أضرحة مدينة البليدة في العهد العثماني يصميمين يتمثلان في ضريحي سيدي احمد الكبير (شكل :12) ، ـ بشكليه الأصلي و الحالي ـ و ضريح سيدي يعقوب (شكل : 13) ، و هما على نوعين ؛ مغلقة و مفتوحة . النمط الأول تحيطه جدران في شكل قاعة أما النمط المفتوح محمول على دعائم تحمل في أعلاها عقودا [2] و النموذج الشائع هو الضريح المغلق[3] . و الذي يغلب عليه التصميم المربع ذي الغرفة الواحدة بمدخل واحدو يضرب لذلك مثلا ضريح من العمارة المغربية و المتمثل في ضريح سيدي بومدين بتلمسان (8هـ 14 م) . و إن إقبال المعماريين على نوع محدد من تصميم الأضرحة ، خضع في تأثره بالتقاليد المحلية "[4] .

بإعتبار الدفن سنة بشرية و من الإستحالة ترك الميت دون إكرامه ** من أول ما عرف ذلك بإهتداء ابن آدم إلى دفن أخيه . و قد أقام الإنسان البدائي على مدافنه أحجار الميقاليت [5]. و التي تعني لديه رمزا روحيا خاصا .و منذ أن جعل إنسان العصر الحجري لموتاه أماكنا معينة " مستقلة خارج مسكنه " شكل بذلك اللبنة الأولى لظهور المقبرة [6]. و هو تعبير عن سلوك فكري[7] .

---

(1) ـ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، 1970 .ص. 316.

(2)ـ لمعي مصطفى ، المرجع السابق .ص. 30.

(3)ـ نفسه ، ص. 30.

* المفتوحة ما جاء عليه الشكل الحالي لضريح سيد احمد الكبير و قد كان الأصلي من النوع المغلق .و الذي جاء على منواله ضريح سيدي يعقوب . في هذا المرجع تفصيل لأشكال القباب المقامة على هذه المدافن .

(4) ـ عبد العزيز سالم ، دراسات ، مرجع سابق ، ص. 82.

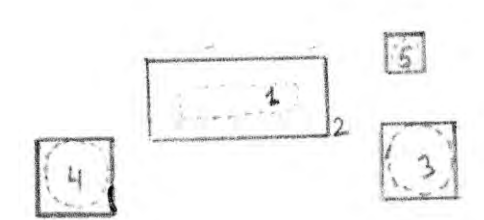
** يعتبر دفن الميت إكراما له .

(5)ـ عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص .26 .

(6) – لحسن رابح ، أضرحة الملوك النومديين و المور ، دار هومة ، 2004. ص .19.

(7).محمد الصغير غانم ، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري ، فترة فجر التاريخ ، دار هومة ، الجزائر ،2006 ، ص . 25 .





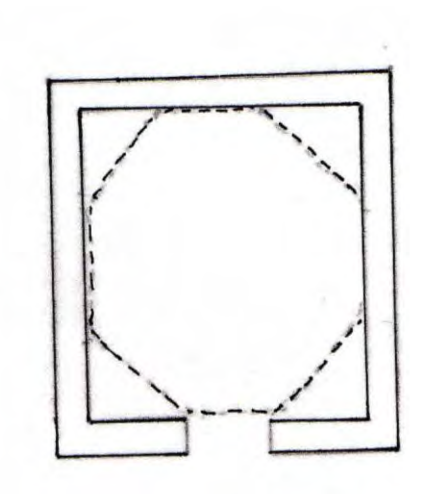
1 ــ قبر سيدي احمد الكبير

2 ــ الصندوق الخشبي .

3 ــ4 ــ 5ــ 6 . معالم القبور .

7 ــ قبر .

شكل : 12 . مخطط ضريح سيدي احمد الكبير مع عدد من القبور.



شكل : 13 . مخطط ضريح سيدي يعقوب .

أما قدامى مصر* فكانوا يقومون بدفن موتاهم في سراديب بعدة غرف ثم حدث تطور هام في بناء مدافنهم بظهور الأهرامات**. و المصممة بشكل مصاطب في الأسرة الرابعة .. ثم تتطور أيضا لتشمل معبدا يضم المومياء [1]. إلا أن أهمية الأهرامات تقل فيما بعد*** لتصبح المصاطب صغيرة ، أما في الإمبراطورية الحديثة ، تضم المدافن معبدا منفصلا تماما عن القبر ، الذي يوجد تحت الأرض و يضم ممر و درج و غرفة .وهذا التطور في تصميم المدافن لديهم إنما يبرز عناية الأسر الفرعونية ، بموتاهم و تهيئة موضع الدفن لراحتهم و ذلك لإعتبارات عقائدية . أما في العهد اليوناني و الإيجية في الالف الثاني قبل الميلاد . ظهرت المساقط الدائرية ، كما في قبر الترويس [2]. و من الأضرحة ما تشابهت في تصميمها ، اذ تتوحد بتكرار أعمدة الواجهة الرئيسية فيها و تنوب عنها تمثيلا تلك المقامة بمقبرة تبسة في الجزائر [3]. كما كان للبربر في الفترة القديمة قبورا حفرت في الصخور المنحدرات و الهضاب الصخرية، سميت " الحوانت " ثم عرفوا أنواعا أخرى منها المخروطية و المربعة و البرجية و التي جمعت في خصائصها بين الأساليب المحلية و التأثيرات الأجنبية [4] .

إنتشر بناء الأضرحة في شتى أقطار العالم الإسلامي و لا يستبعد أن أقيمت منذ العصور الإسلامية الأولى [5]. و لئن لم يترك لنا عصر النبوة أضرحة شاهدة ، إلا أن فكرة الدفن داخل حيز أو غرفة عرف بدليل أن النبي الكريم دفن في غرفة زوجته عائشة [6]. و ما هو مؤكد أن لم يقام له ضريح و لا أضرحة للخلفاء من بعده ، و هو ما ينطبق على العصر الأموي و هذا الأمر يحمل تحليلين ، أولهما إتباع الأمويين للمنهج النبوي في نهيه عن بناء القبر فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بتسوية القبر [7]. تفاديا لأن تصبح مكانا يرتاد إليه الناس و حتى لا تصبح فيما

---

* الأسرة الأولى و الثانية.

** قبور الفراعنة الملوك و من أشهرها هرم خوفو ، خفرع و منقرع و التي تنتمي للامبراطورية المصرية القديمة

(1)– عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص.26.

*** في الامبراطوية الوسطى .

(2)– عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص. 7 .

(3)– Paul Albert FEVRIER . Art de l'Algerie, P . 38.

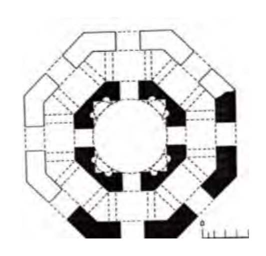
(4)– لحسن رابح ، المرجع السابق ، ص .20.

(5)– أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص. 144.

(6)ـــ حسن باشا ، المرجع السابق ، ص . 23.

(7)ـــ صحيح مسلم بشرح النووي ، الجزء السابع ، ص 37 .

بعد زيارة الأضرحة من المعتقدات الراسخـــة. كما أن عـــدم العثور على أضرحة أموية كان بسبب هدم العباسيين لها و الذين "لم يبقوا منها أثر " [1].كما أنه لم يعثر لها نماذجا في العصر العباسي الأول* إلى أن أنشئ أول ضريح في العالم الإسلامي و الذي يعرف بالقبة الصليبية ، الخاص بالخليفة العباسي المنتصر و كان أمر إنشاءه تلميحا من والدته ** التي أشارت عليه أن ينشئ لنفسه ضريحا [2]. و هو بشكل مثمن خارجي و داخلي ، يفصل بينهما رواق مسقوف بقبو نصف إسطواني و بمسقط مربع من الداخل ، أما تسقيفه فكان بقبة مركزية شغلت أركانها بحنايا ركنية . و كان لتصميم هذا الضريح تأثيرا كبيرا على تصميم و إنشاء الأضرحة في المشرق الأوسط و في الهند [3] ***. و نموذج آخر لأضرحة العصر العباسي هو ضريح إسماعيل السامرائي في بخارى (3 هـ . 4 هـ) ، حيث يأخذ الشكل المكعب تقريبا تعلوه قبة نصف كروية على حنايا ركنية و حول القبة أربع قباب صغيرة ، و بهذا إعتبر هذا الضريح من روائع العمارة الإسلامية في إيران و وسط آسيا و بلاد الهند ، التي إمتزجت فيها تقاليد البناء القديمة و الحديثة [4].



مخطط قبة الصليبية في سامراء بالعراق
عن : كريزول .

عرفت مصر هي الأخرى بناء الأضرحة و اشتهرت في العصر الفاطمي و ظهرت نماذجا أخرى على نمط مغاير إندمجت فيها المساجد بالأضرحة ****. و كانت أول الأضرحة التي إستعملت عليها القباب ضريح ـ ملحق بمسجد ـ بدر الجمالي (478 هـ . 1085 م) و الذي يعـود للعهد

[1] ـ عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص. 256 .

* للإشارة كان العباسيون يخفون قبور موتاهم . لمعي مصطفى ، ص. 23.

** و هي من أصل اليوناني .

[2] ـ حسن الباشا موسوعة ص 234. عن سامح و هو ما يذهب إليه لمعي ص. 23 .

[3] ـ حسن باشا ، المرجع السابق ، ص. 234.

*** يشبه هذا التصميم إلى حد كبير تصميم قبة الصخرة.

[4] ـ حسن باشا ، المرجع السابق ، ص . 234. عن : gruh emst و hoag john .

****مثل مسجد الجيوشي و مسجد السيدة رقية ، أنظر : أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص. 144.

الفاطمي[1] . و أقدم المدافن بها ترجع إلى عصر الأتابكة ـ 541 ـ 584 هـ . 1146 ـ 1193 م ـ

و العصر الأيوبي ـ 589 ـ 658 هـ . 1193 ـ 1260 م ـ [2] .

أما في المغرب الإسلامي فلم يقتصر بناء الأضرحة على نوع محدد الشكل ، بحيث يوجد منها نوعان ؛ النوع الأول يكون بناءه مستقلا عن العمائر ، منفرد البناء . أما النوع الثاني و هو الضريح الملحق ، بحيث يكون ملاصقا لتلك العمائر* أو ملحقا بالمسجد على الأغلب [3]. و منه تنوعت أشكالها و حسب كمال الدين سامح فإنه " يصعب تحديد تاريخ إنشاءها "[4] في هذا الإقليم .

إنتشر في العهد العثماني إنشاء الأضرحة المنفصلة و تنوعت مساقطها بيـن الدائري و المتعدد الأضلاع هذا الأخير وجد في تركيا ، مثل مدفن يشيل في بروصة ـ8211 هـ . 1421 م ـ و الأضرحة في مصر العثمانية " لم يعتن بها " مثل ماهو الحال في تربة درويش باشا والي دمشق ـ 982 هـ . 1574 م ـ و هي عبارة عن مجموعة مبان متكونة من جامع ، مدفن ، كتاب و سبيل [5].

---

[1] ـ صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ص . 27.

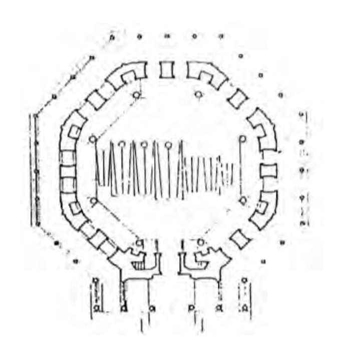
[2] ـ نفسه ، ص. 28 .

* و يقصد هنا المسجد و المدرسة أو قريبا من المدرسة. أنظر: عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص . 256.

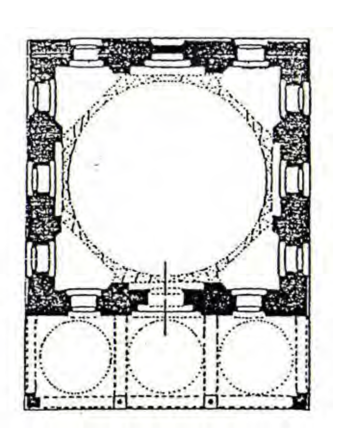
[3] ـ عفيف بهنسي ، العمارة عبر العصور.. ، المرجع السابق ، ص . 170.

[4] ـ كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص . 172.

[5] ـ صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 29.



مخطط تربة السليمانية باستانبول . عن : اصلان ابا .



مخطط تربة بايزيد يلدريم في بروسة .عن : ويلد.

و من الأضرحة العثمانية في الجزائر ، نذكر أشهرها و أهمها التي في مدينة الجزائر و قد إستقل الأتراك بمقابرهم و كانت إحداها بباب عزون [1] * .

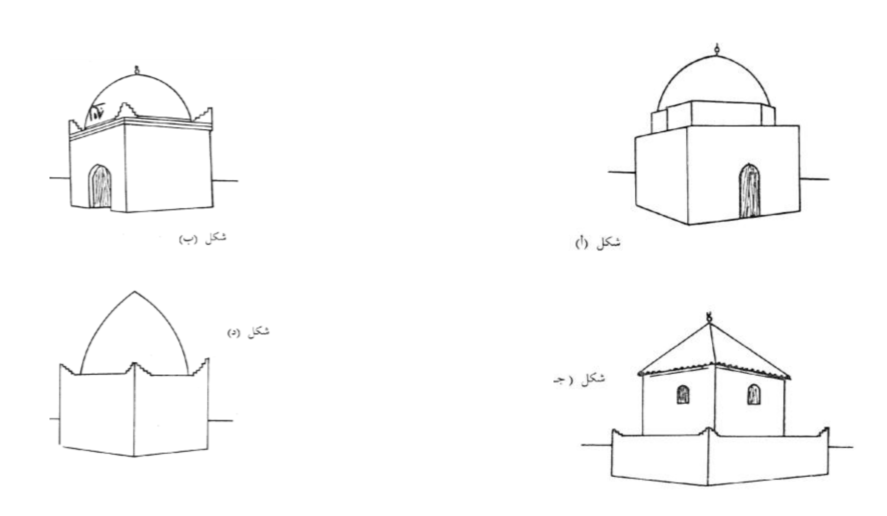
---

(1) Henri STERLIN l 'Archit d l'islame OP .CIT p 231

* كما كان للميزابيون مقبرتهم بتيليملي و لليهود مقبرة أيضا بطريق باب الواد وللمسلمين مقبرة سيدي بن علي .

و ما ميّز قبور الدايات أنها كانت تنتهي بقباب عديدة الزوايا في نهايتها قبة دائرية صغيرة ، استمدت أسلوب بناءها من أشكال مقابر السلاطين العثمانيين في بورصة [1]. كما أتقنت قبورهم إلا أنه لم يصل الباحثين إلى التعرف على أسماء أصحابها ، لإندثار القبور و القباب و الشواهد و لم يبق منها إلا القليل[2] .

و أشهر الأضرحة بالغرب الجزائري ، تلك الملحقة بالمساجد ، كضريح سيدي الهواري بمسجد سيدي الهواري في الزاوية الشرقية الجنوبية للمسجد ، و ضريح مدرسة خنق النطاح و الجامع الكبير بمعسكر . و ضريح الباي محمد الكبير و أخوه ــ أبو كابوس ــ و قبة سيدي عبد القادر الجيلالي إلا أن قبورهم لا أثر لها حاليا نتيجة الإضافات التي تمت على المساجد .



الأشكال: أ.ب.ج.د : نماذج لقباب المغرب الإسلامي .ــ عن : صالح لمعي مصطفى ــ

---

(1) ــ عبد القادر زبادية ، الجزائر في عهد رياس البحر ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيــع ، الجزائر ،1980 ، ص. 51.

(2) ــ نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص. 231.

الفصل الثالث

الدور و مساكن الأحياء

أولا : الدور .

ثانيا : مساكن الأحياء .

أولا :الدور .

تتعدد الأسماء التي تطلق على مكان إقامة الإنسان و استقراره الأسري ؛ منها الدور ، المساكن و البيوت* و سكنى المكان تعني الإقامة فيه [1] و يذكر إبن خلدون أن مناحي التحضر تظهر في توسعة البيوت و اختطاط المدن في قوله : " ان إختطاط المنازل إنما من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف و الدعة "[2] و حسبه أيضا أنه كلما زادت أحوال الترف تزداد معها"معالات البيوت و الصروح و احكام وضعها في تجنيدها ... فيتخذون القصور و المنازل و يجرون فيها المياه ..." "[3] ينفرد مصطلح الدور ليحمل في معناه الأثري البيت الذي يكون لعائلة واحدة أو المبنى الذي تخصصه الدولة لمنافعها العامة. و ما يهمنا في دراستنا هذه هي الدور المخصصة لتنظيم الأغراض الأسرية و حصر نشاطاتها المتعلقة بها داخلها ، فالدار أو المسكن هو المأوى الساتر و الآمن الذي يفي حاجتي الطمأنينة و الإستقرار و يقي حر الصيف و برودة الشتاء . كما يعتبر عاملا مهما في جمع شمل الأسرة و يتكون المسكن عموما من عدة غرف متصلة ببعضها البعض ، تؤلف وحدة سكنية ضمن بناء كبير[4]. و ذكرت المساكن في القرآن الكريم لتأكد طبيعتها و الغرض منها في قوله تعالى " والله جعل لكم من بيوتكم سكنا و جعل لكم من جلود الأنعام بيوتا، تستخفونها يوم ظغنكم و يوم إقامتكم ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثا و متاعا إلى حين "[5]و تختلف المساكن طبقا لأشكالها و مواد بنائها ، لذلك ، أطلقت عليها عدة أسماء تختلف لفظا و تتفق معنى ، فالخباء من صوف و البجاد من وبر والفسطاط من شعر والسرادق من قطن و القشع من جلود يابسة و الطراف من أدم و الحظيرة من الأغصان الصغيرة و الخيمة من شجر و الأقنة من حجر و القبة من لبن و السترة من طين و من أشكالها المسطح وهو أطم ، الأجم أو عاليا فهو صرح أو مرتفعا فهو كعبة أو مطولا مرتفعا فهو مشيد أو مطولا معقودا فهو الأزج ...[6] و المخطط الأبلق و المساكن أنواع ، حضرية و بدوية ، فالحضرية مبنية من حجر أو آجر أو خشب و البدوية كل خيمة من جلد أو صوف أو وبر[7] ، فهي إذا تارة من جحر على ضخامة مهمة تقاوم الزمن و تارة من وبر قابلة للتفكيك سهلة الزوال ، ففرق شاسع إذا أن نبني صرحا أو أن نقيم خيمة .

---

* حسب ابن منظور : السّكن و المسكن : المنزل و البيت و الأخيرة نادرة .

(1) ــ ابن منظور ، المرجع السابق ، ص . 220.

(2) – ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص .426 .

(3) – نفسه ، ص . 150.

(4)ــ عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي، فرنسي، انجليزي،الطبعة الأولى، بيروت،1988. ص93.

(5) ــ سورة النحل ، الآية 80.

(6) ــ عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص . 93 .

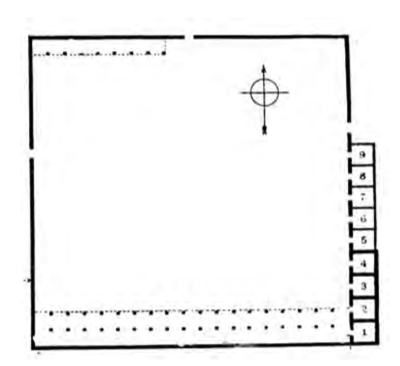
(7) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص.ص .39 .38

نظام بناء المساكن و تطوره :

إن دراسة المساكن الجزائرية في العهد العثماني بصورة مستقلة عن سابقاتها لن تعطي المساكن حقها في إنتمائها الحضاري و لا تلحق كل نمط منها بالفترة التي تميزت به ، لذا كان من الضروري تتبع تواصلها التاريخي في مراحل كبرى وملاحقة إستمرارية الأسلوب المعماري و أصالته في ظل الدولة الإسلامية و ملاحظة أوجه الإقتباس و التغييرات و التطورات الحاصلة عليها ، لمعرفة إذا اتبعت المجتمعات المتتالية في ظل الدولة الإسلامية النظام الأول للمسكن الإسلامي و احتفظت بأسلوبه أم صاغت المسكن وفق ما إقتبست من عمارة القدامى .

إن الوصول إلى الإلمام بصورة المسكن بدءا من صورته الأولى في العصور الإسلامية المبكرة إلى صورته في الفترة العثمانية و التي تمثل آخر مرحلة من مراحل تطوره في الحضارة الإسلامية، يسمح بالتعرف على خصائص بناء المساكن و ميزتها عند المسلمين و يمكن من خلاله أيضا ملاحظة أوجه ارتكاز المسلمين على أسس التصميم و الإنشاء التي عرفت عند العرب و غير العرب قبل الإسلام و كذا معرفة مدى توظيفهم لتلك الأسس في عمارة مساكنهم مما يفتح مجالا لدراسة أصل المسكن عند المسلمين و البحث في درجة أصالته و درجة اقتباس العناصر المعمارية فيه .

كان للمسلمين مساكنهم الخاصة بهم و قد ساهمت البيئة الطبيعية من حيث الطقس و المناخ بنسبة كبيرة في صياغة بيوتهم ، تصميما و شكلا و البيئة الصحراوية في شبه الجزيرة العربية التي إحتظنتهم دفعتهم لإقامة مساكن بمواد توفرت في تلك البيئة و اتخذوها موادا أولية في الإنجاز كمادتي الطين و جذوع النخيل ، إلا أن البحوث الأثرية لم تهتدي إلى ما يشير إلى هيئة مساكن العهد النبوي و أن إعادة تصورها ساعد على إقامة مخططات لها . فبيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي إعتبر نموذجا للبساطة و التواضع و التقشف و مثالا للبناء الوظيفي البحت بمعزل عن الدور الجمالي ، طبيعي جدا ان يفتقر إلى ما يشير إلى الترف أو الفخر و هو على عهده صلى الله عليه و سلم ميسور الحال و الفترة فترة حرب وفتح . و في تخطيط لبيته ، صلى الله عليه وسلم ، تتضح غرفا تسع (شكل :14) هي لزوجاته ، رضي الله عنهن ، توصف أنها كانت " مصطفة على طرف مسجده ، مربعة الشكل كل واحدة مفصولة عن الأخرى و بمدخل مستقل ميزتها



(شكل :14) الغرف التسع لزوجات الرسول

البساطة في التخطيط و بحوائط بعضها من اللبن مسقفة بسعف النخيل و عليها طبقة من الطين "[1] كما يشير ابن جبير في رحلته إلى نمط دار خديجة الكبرى ، رضوان الله عنها ، و يصفها قائلا :
" و دخلت أيضا... دار خديجة الكبرى ، رضوان الله عنها ، و فيها قبة الوحي و فيها أيضا مولد فاطمة رضي الله عليها و هو بيت صغير مائل للطول" [2] كما يذكر فريد شافعي أن " التقشف و البساطة اللذين كانا متبعان في التصميم و البناء بعد الفتح مباشرة ، أعقبها بعد ربع قرن ميل إلى الضخامة و الفخامة .. " [3] و بدأت تظهر القصور مع توسع رقعة الإسلام و استقرار المسلمين في الشام و إن هذا التحول في العمارة عند المسلمين ملحوظ في هذا العصر من خلال ماهو قائم وما كشفت عنه التنقيبات يظهر تصنيف جديد لتخطيط و أسلوب إنشاء المساكن في العصر الأموي وهو إن كان تحولا فهو في جوهره تطورا للمسكن عند المسلمين و شكلا جديدا لعمارتهم و الذي أول ما بدأ في منطقة الشام إثر الفتوحات الإسلامية، حيث رأى المسلمون ما لغيرهم من مبان إضافة إلى عثورهم على مواد للبناء مكنتهم من إنجاز عمارة تعادل قصور المسيحيين هناك و أصبحوا على عهد جديد في البناء يختلف عما كانوا عليـــه في شبه الجزيـــرة العربية حيث تختلف المنطقتان فـــي طبيعتهما الجغرافية
و المناخية .

أنشأ الخلفاء الأمويون قصورا في الصحراء و التي كانوا يلجؤون إليها لأسباب عديدة ، منها إنتشار الأمراض في المدن أو في فترات صيدهم [4] . و تميزت بتخطيط و أسلوب هندستها المعمارية منها قصير عمرة و قصر المشتى ، جنوب شرق عمان و يذكر أنه قصر: " غير تام البناء ، به بيوت مكونة من زوجين من الغرف و توجد أربع مجموعات من هذه البيوت حول قاعة العرش و إن ما صاغه في قصر المشتى من نظام للبيت استند على نظام الغرف و وضعها بالنسبة للفناء وفق النظام البابيلي الذي كان متبعا في سوريا قبل الإسلام "[5] .

---

[1]ــ كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1991 ، ص . ص10.11.

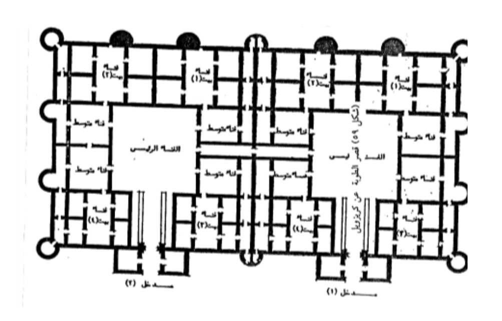
[2] ــ رحلة ابن جبير ، المرجع السابق ، ص. 135.

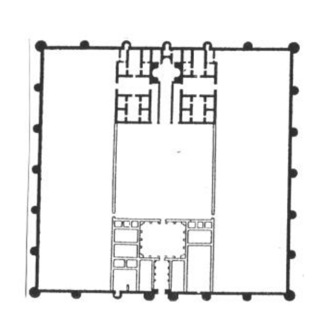
[3] ــ فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، 1970 ، ص. 355 .

[4] ــ كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص .32.

[5]ــ نفسه ، ص47 . بتصرف .

كما اتبع نظام البيت في قصر الطوبة (شكل : 15) نفس نظام البيت في قصر المشتى (شكل : 16) و قد أنشئ بعيدا عن المدن إتباعا للتقليد العربي الذي عهده الخلفاء بحيث كانوا يتوجهون إلى الصحراء في فصل الشتاء نحو الدفء و الصيد وجمال البيئة البدوية [1] ، ميولا منهم نحو البذخ و الرفاهية ، كما كانوا يقصدونها خشية على أنفسهم [2].

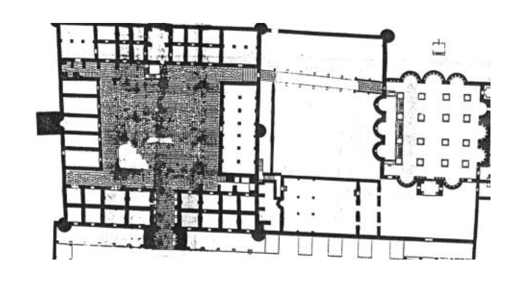




(شكل :15) مخطط قصر الطوبة ــ عن : فريد شافعي (شكل :16) مخطط قصر المشتى ــ عن :كريزويل

رغم التحول في أسلوب البناء و حجمه في العصور المبكرة لم تفقد القصور جوهر بنائها ، فبالدرجة الأولى هي لأفراد مسلمين و رغم ما قيل عن هذه القصور من أنها وفق تصاميم سابقة للعهد الإسلامي لم يمنع هذا من أنها تميّزت بإلحاق مسجد بها مما يؤكد إنتماءهم العقائدي مثل ما في قصر المفجر(شكل :17) و هو الأمر الذي خلص إليه فريد شافعي في قوله " ان جميع القصور بها مسجدا "[3] و كانت تلك القصـــور بطابقين ، شملت في الطابــق الأرضي على بوابة و قاعة طويلـــة و فناء أوسط حوله بوائك و غرف للحاشية و حظائر للحيوانات ، بينما شمل الدور الأول قاعة إستقبال الأمراء و قاعات المعيشة و الحمام و هي الصورة التي تكاد تتفق عليها جملة القصور الأموية .

(شكل :17) قصر المفجر ــ كريزويل ــ



[1]ــ سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، المعارف ، الإسكندرية ، 1986 ، ص.309.

[2]ــ كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص . 47 .

[3]ــ سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 310.

إلى العهد العباسي حيث القصور في البادية ذات حظ واسع هي الأخرى أن قاومت ، لتمثل حاليا ببعض مما يسمح بدراستها و تتبع أساليب إنشائها و يعتبر قصر الأخيضر (شكل :18) في بادية الشام ، من أهم وأجمل القصور التي شيدها العباسيون في العراق و الذي يتميز بوجود نوعين من البيوت ؛ أولهما خصت فيها المجموعة المقابلة للجهة البحرية للسكن صيفا و المقابلة للجهة القبيلة للسكن شتاءا . أما النوع الثاني من البيوت ، فيختلف تصميمه عن النوع الأول و ذلك في عدم وجود السقيفات التي تتقدم قاعة الإستقبال [1]. و يأخذ بعض الباحثين الا تجاه الذي يرى ان " أسلوب العمارة الذي غلب على بنايات القرن الثاني للهجرة فيما بين الشام و العراق هو الطراز الساساني الذي ظهر في قصور العباسيين الأولى سواء في بغداد أو في سامرا " [2]. و أكثر من هذا إلى إعتبار كل من قصري الأخيضر ، و بلكوارا " إحياءا للتقاليد الساسانية القديمة أو الحيرية " [3] . و قد تميزت قصور العصر العباسي عن الأموي بضخامتها و المساحات الكبيرة التي تحتلها و برحابة باحاتها و بتعدد أجنحتها واتساع حدائقها ووجود السراديب و برك الماء و خصت القاعات الهامة بالقباب الضخمة[4].



(شكل :18) مخطط قصر الأخيضر ــ عن كريزول ــ

يذكر فريد شافعي أن " المساكن المبكرة في العالم الإسلامي ، كانت تبنى على نموذجين ؛ شامي و عراقي غير أننا نميل إلى الظن أن النموذج الشامي كان هو السائد المتبع في عصر الولاة الأمويين ، بينما إنتشر النموذج العراقي منذ قيام الدولة العباسية في بغداد و قدوم ولاة العباسيين إلى مصر مما جعل النموذج الثاني يأخذ الصدارة مقارنة بالنموذج الشامي ، الذي توارى شيئا فشيئا حتى

---

(1) – كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص . 75 .

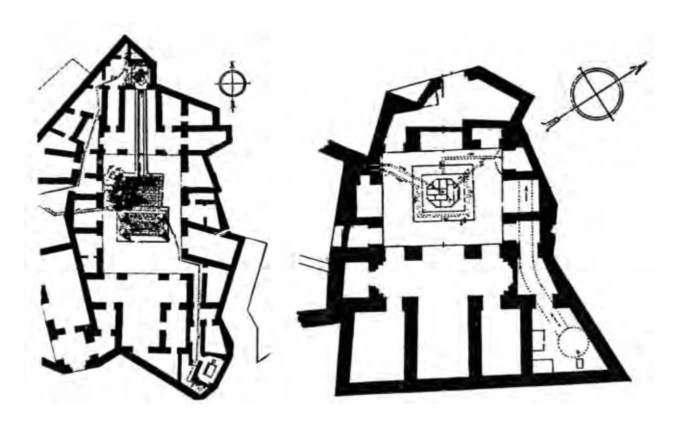
(2) – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 336 .340.

(3) – نفسه ، ص . 339. عن : أرنست كونل .

* ينسب قصر بلكوارا إلى المتوكل الذي بناه لإبنه ، به عدة أفنية كبيرة متتابعة و عدد من قاعات العرش و عشرات المساكن التي لكل منها فناء خاص .

(4) – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 94.

إختفى مع مرور الزمن" [1] . و يذكر أيضا أن " أقدم النماذج الباقية في مصر من مساكن المسلمين و العرب و غير العرب الذين جاؤوا مع عمرو بن العاص و من بعده و قاموا في خطط الفسطاط التي اقطعت لهم كان تخطيطها يحتوي على و حدات تشبه في ناحية أو أخرى ما كان في الشام و العراق"[2]. و قد كانت منازل الفسطاط (شكل :19) المنهل الذي نهلت منه تخطيطات العمارة السكنية الإسلامية في مصر في عصورها التالية ، وقد إنحصرت هذه العمارة في أجزاء رئيسية هي الصحن ، السلملك و الحرملك[3] * إضافة إلى غرف أخرى و مرافق صحية و خدمية و مياه جاريـــة و حمامات و لم تدخلها عناصر و وحدات و تفاصيل من الفنون السابقة و لم تتعرض لما تعرضت إليه المساكن الأموية أو العباسية من محاولة نسبتها إلى العصور السابقة للإسلام اذ لم يلاحظ عليها تأثيرات الفنون الأخرى و كان نمطها النموذج الغالب على عمارة المساكن الإسلامية و الذي اتبعه المسلمون في دورهم في الشام و العراق [4] .



(شكل :19) نماذج من منازل الفسطاط

---

(1) ــ فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص. 354.

(2) ــ نفسه ، ص. 349 .

(3) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص. 39 .

* الحرملك هو جانب من المسكن خاص بالأسرة بينما السلملك هو الخاص بالضيوف .

(4) ــ فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص .349 .

نقل أحمد بن طولون إلى مصر " أسس التصميمات المعمارية للبيوت و التي من أصول الفن العراقي "[1] و كشفت حفريات الفسطاط التي قام بها كل من المرحوم على بك بهجت و البير جبريل و كذا

حفائر دار الآثار العربية عام 1932م ، عن أطلال عدة بيوت طولونية ، نظام تصميمات لا يخرج عن النوعين اللذين شوهدا في قصر الأخيضر الذي كان له التأثير الكبير في عمارة مصر الطولونية [2] . و ان ما شهده عصر المماليك هو التنافس بين السلاطين و الأمراء و الأغنياء في البناء و الإعمار [3] فجاءت مبانيهم ضخمة ، فخمة ، على شكل مجمعات كالتي شيدها الظاهر بيبرس و قلاوون و أولاده[4] و قام تخطيطها على بوابة يليها دهليز و صحن حوله الأواوين و أقسام البناء الأخرى . [5] و مما يؤسف له أنه لم يصلنا من قصور المماليك إلا أثرين فقط هما دار بشتاك 740 هـ 1339 م و قصر قايتباي أواخر القرن 9 هـ .15 م[6]. رغم النماذج القليلة التي وصلتنا من هذه العمارة فإنها تكونت من خلال المزج مابين الفن المعماري المحلي لمصر * و الفن المعماري العراقي و الشامي و المغربي و هو : " الأمر الذي يذكر بأولى مراحل تكون الفن الإسلامي الأول ". [7] . و أثرى الفاطميون أيضا مصر بقصورهم و بغيرها من المباني المدنية الأخرى و هو الأمر الذي لا نجده لدى الأيوبيين من بعدهم و الذين كانت فترتهم فترة حرب و حسب فريد شافعي فقد : " أثّر على نوع العمائر القليلة التي شيدوها، فتميزت بالقوة و إتقان التخطيط و البناء و دقة النسب" إلا أنها : " لا تعطينا صورة واضحة عن العمارة الإسلامية في العهد الأيوبي"[8] .

و إذا انتقالنا إلى المغرب الإسلامي و تحديدا إلى المغرب الأوسط ، في تفحص لما يزخر به شرقه و غربه ، شماله و جنوبه من عمارة المساكن ، في محاولة للكشف عن الآثار الباقية إن لم نقل المترامية ، نجد أن ما تركته الحضارات المتعاقبة على هذا الإقليم لم يعط صورة واضحة عن العمارة

---

(1) – كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص. 75 . بتصرف .

(2) – نفسه ، ص .75 .

(3) – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص 298 298

(4) – نفسه ، ص .301.

(5) – نفسه ، ص . ص. 298.301.

* طولوني ، فاطمي ، ايوبي

(6) – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 486 عن كونل .

(7) – نفسه ، ص. 464 .

(8) – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص. 256 .

المدنية ، إلا القليل النادر الذي لا يمكن الإعتماد عليه في تحديد نمط عمارة المساكن بالمغرب الأوسط نتيجة تعرض العمارة المدنية لكثير من الإهمال و التخريب من جانب العامة من جراء الحروب أو الهدم ، فغالبا ما تلجأ الدولة المتعاقبة إلى طمس معالم الدولة السابقة مما لا يسمح بإحداث و لو مقارنة بسيطة يمكن من خلالهـــا تتبع بناء المساكن و بالتالي تطورها لملاحظة درجة التأثير بينها ، و قصر واحد لا يسمح بالإلمام و التعميم و آثار غلب عليها التخريب لا تسمح هي الأخرى بالإستدلال على التطور .

ترك لنا الحماديون آثارا من عمائرهم المدنية ، كقصر المنار الذي يشمل على عدة أبنية بعضها بجانب بعض ، الأوسط منها به مدخل يؤدي إلى صحن مربع على واجهاته الأربع رواق و قاعات مختلفة الشكل ، يتفق البناء الغربي ــ عموماــ مع البناء الأوسط في جود الصحن المربع المحاط برواق وقاعات مختلفة الشكل من جهاته الغربية ، الشمالية و الجنوبية [1] و " قصر البحر الذي لم يكتشف منه القسم الشرقي و الحوض الكبير "[2] و هو يحتوي على باب بارز و صفين من القاعات المستطيلة المتجهة من الجنوب إلى الشمال و رواق يحيط بالحوض الكبير الذي كانت تلعب فيه الزوارق"[3].

أما عن العمارة المدنية المرابطية و الموحدية فالمعلومات عنها لاتتعدى الروايات ، ذلك أنه غلب على عمارتهم العمارة الدينية أكثر من المدنية [4] . و تحل بعدها دويلات هي المرينية ، الحفصية و الزيانيية ودولة بني نصر* آخر مرحلة من مراحل مثول الآثار المادية لما قبل العهد العثماني في الجزائر .

---

[1]ــ رشيد بورويبة و آخرون ، الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي ، الجزء الثالث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص . 274 .

[2] – نفسه ، ص . 274

[3] – نفسه ، ص 274 . عن كتاب الإستبصار .

[4] ــ سعد زغلول ، المرجع السابق ، ص 523.

* او بني الأحمر في الأندلس و يطلق المتشرقون على الفن الذي إزدهر في هذه الفترة عبارة "اسبانو – موريسك "– و هي كلمة مشتقة من الإسم الذي يطلقه الغربيون على المغاربة خاصة و على المسلمين عامة و التسمية الأقرب للحقيقة و الواقع كما يراها الريحاوي هي : الفن الأندلسي .

رغم أنه لم تصلنا آثار قصور المرينيين التي بنيت في القرنيين 7هـ.13م و 8هـ .14م فقد إندثرت و كانت لهم بفاس الجديد قصورا و تلمسان والقصبة المراكشية التي تحيط بها الأبراج و التي تشمل على الأبنية و القاعات و هو الأمر الذي ينطبق على قصور الحفصيين فهي الأخرى لم يصلنا منها أثر مادي سواء تلك التي كانت في تونس و تلك في غرناطة التي كانت بفناء مربع محاط بالأبهاء من جهات ثلاث[1].

تذهب هذه الدويلات و تترك نزر من عمارة لتحل بعدها عمارة من أصول مشرقية هي عمارة العثمانيين ، الذين نقلوا فنهم إلى الحوض الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط و أنشأؤوا و عمّروا المنطقة و كان لهم من بين العمائر المدنية ما يعرف بـ " المسكن العثماني " الذي تعودنا حين السماع به ، على تصور مسبق ، رسمته في الذهن وسائل الإعلام المرئية و السمعية و حتى المكتوبة ، من كثرة ما تعرضه عن هذا النوع من المباني على انه ذاك القصر الذي يملكه باشا أو آغا رفيع الشأن ، مرموق السمعة ، قصرا من طابقين ، بصحن أوسط تتوسطه نافورة حوله أروقة بها عقود و غرف هو تصور يحمل نسبة كبيرة من الحقيقة إلا أنه تعوزه فكرة تنوع هذا المسكن بين قصور و مساكن بسيطة للعامة ، تملأ أحياء المدن ، ليأخذ التصور درجة كمال صحته .

كما أن الإقتصار في دراسة المساكن على القصور دون مساكن العامة لن يعطي المسكن العثماني حقه و لن يوضح وحدة نمطه لأن المسكن العثماني متعدد الأشكال و الأحجام و هو تعدد لم يخل بالتوافق ما بين تصميمه و أسلوب عيش الأفراد إلى درجة تعودهم عليه ، حيث أبدى المعماري تمسكه بالنمط الذي جلبه من تركيا مقلدا ما صمم في استانبول ، مازجا معه الأسلوب المعماري و الفني المحلي و هو ما ميّز عمارة العثمانيين في الأقاليم التي حلوا بها[2] فشكلت القصور بذلك ، محور جذب و استقطاب الباحثين و المهتمين بالتراث أكثر مما شكلته مساكن العامة و قليلون جدا من لهم دراية بحقيقة أسلوب بناء هذه الأخيرة و تركيبها و حتى العوامل التي دفعت إلى بناءها.

---

[1] – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص .523 .

[2]ـــ عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص. 489 .

حسب الريحاوي إن " القصور الأولى التي كانت في كل من بورصة و أديرنة زالت و لم يبق منها سوى أطلال "[1] و اذا اقترب هذا الأمر من الصحة بحيث لا نجد ما يمكن الإعتماد عليه في تتبع تطور المسكن في تركيا ، هذا لا ينفي وجود عينات هامة بقيت قائمة في استانبول و التي تجسد فن العمارة التركية كالتي في الموقع المشهور بطوب كابي سراي* الذي يعتبر من أشهر ما شيد العثمانيون ـــ بناه محمد الفاتح (1443 هــ.1471 م) و قد تحول إلى متحف يحوي ذخائر العثمانيين[2].

إن المتتبع للعمارة العثمانية " التي مازالت موجودة في استانبول ... يدرك أن إختلافا حاصل بينها و بين التي في بلاد المشرق كالشام ومصر . فالتي في استانبول خالية من الفناء و لاشك أنها تأثرت بالتصميم الذي أوجده السلاجقة كحل ملائم لأقاليم المناطق الباردة ". و نلاحظ على عمارة المسكن العثماني و إلى غاية القرن التاسع عشر إنتشار استعمال القاعات الصليبية و المحاور المستعرضة في [3] أما آخر تطوراتها فتتمثل في القصر الذي بناه السلطان أحمد الثالث (1115 . 1143 هـــ 1703 . 1730 م) على غرار قصر فرساي[4] .

أما في سوريا فما تزال المدن تحتفظ بالقصور العثمانية ، التي تتألف من عدة أجنحة ، جناح للأسرة و آخر للضيوف و آخر للخدمة يطل على أجنحتها أواوين واسعة محمولة على قناطر ترتفع من سطح الأرض ،يصعد إليها بدرجات [5] منها التي في العاصمة دمشق حيث أنشئ بيت العظم (الشكل:19 مكرر) الذي بني في منتصف القرن 12هــ . 18 م و " يمثل أرقى ما وصل إليه البيت

---

(1) – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص469

(2) – .سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 558

* مدينة ملكية تنوعت فيها المباني على العهد العثماني فشملت ، المباني السكنية و الدواوين ، تتخللها المساجد و المدارس و المكتبات و الحمامات و بعض القصور و المنازل المقامة كمنتجعات و بعض منازل الحكام و الأغنياء مما يعرف بالكوشك (عبد القادر الريحاوي ، العمارة...ص . 469.)

(3) John , D , HOAG , Architecture islamique , gallimard , electa , 1991 , p . 16 . -

(4) – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 558.

(5) – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 220.

العربي الإسلامي من التطور و الرقي من حيث التصميم الذي يوفر الوسائل التي تتطلبها البيئة الإجتماعية و المناخية و هو من ثلاثة أقسام ؛ الحرملك ، السلملك و غرف الخدم ، موزعة على طابقين و تطل على الفناءات بأبوابها و شبابيكها و نوافذها " [1] و في حلب ــ سوريا ــ أنشأت أحياء جديدة و بيوت فخمة واسعة تمثل نهاية تطور البيت العربي الإسلامي...في تاريخ العمارة الإسلامية[2] و اختلف مسكن حلب عن نظيره في دمشق في المساحة و التنظيم و طابقه الأرضي من فناء صغير ينفتح عليه ايوان بين غرفتين و فناء ثان ، الأمر الذي لا نجده في أي بيت آخر. أما الطابق الأعلى ففيه أهم قاعات القصر[3].



(الشكل : 19 مكرر) بيت العظم في دمشق

عرفت مصر هي الأخرى الوجود العثماني و شيدت على عهده منازل في القاهرة ، ضمت صورتها أكثر من وحدة استقبال منها ما هو مكشوف و منها ما هو مستقل مغلق ، و قد خص كل نوع منها بفئة من الضيوف حسب مكانتهم وأهميتهم[4] و تميزت بيوت القاهرة بشكل خاص بالمشربيات

---

* كان لوالي دمشق أسعد باشا العظم .

(1) ــ عبد القادرالريحاوي ، المرجع السابق ، ص. ص .510.509.508.

(2) ــ نفسه ، ص. ص.511. 517 .

(3) ــ نفسه ، ص .517.

(4) – عثمان عبد الستار ، المدينة الإسلامية، الطبعة الأولى ، دار الا فاق العربية ، 1999 ، ص ، 349 . بتصرف

و الرواشن الخشبية التي تتقدم فتحات الغرف و القاعات المطلة سواء على الشوارع أو على الفناء.[1]

عموما ، اشتهر المسكن العثماني بقسميه السلملك والحرملك و وفق المعماري في توزيع قاعات القسم الأخير حيث جعلها مستقلة تكفل الخصوصية لأفراد الأسرة ، فالمسكن ليس غرفا للاستقبال و النوم فقط و انما جملة من القاعات مضاف إليها المرافق الضرورية المعاشية و الصحية ، وفق المعماري في توزيعها و ضبط مكانها إلى أن جعل المسكن متكامل الوظائف .

---

(1) – عبد القادرالريحاوي ، المرجع السابق ، ص .496 .

المسكن الجزائري في العهد العثماني :

حاول بعض الباحثين الأوربيين رد أصل المسكن الجزائري إلى جذور إغريقية ، مستدلين بإحتوائه على بعض العناصر التي وجدت في المسكن الإغريقي كعنصر الصحن ، إلا أنه رغم إحتواء كل منهما على عنصر الصحن ، فإن كل منهما يختلف عن الآخر فالمسكن الإغريقي تتوزع فيه الغرف على أحد جانبي الصحن وخلفه فقط [1]. أما المسكن الجزائري فإن الغرف تتوزع على الجوانب الأربعة للصحن و هو اختلاف هام و بيّن . و إذا أردنا أن نتتبع أصل المسكن الجزائري أو بالأحرى البحث عن مصدره فإنه يستمد أصوله حتما من العمارة السكنية الإسلامية، حيث نجده يشبه في كثير من جوانبه المساكن المبكرة في العصرين الأموي و العباسي من حيث التصميم و العناصر المعمارية التي من أهمها الصحن المركزي و الأروقة و الغرف حوله و هو تصميم قام على أساس منح الإنشاء تلاؤما مع طبيعة الحياة الإسلامية. و بمقارنة تصميم مساكن الجزائر في العهد العثماني مع بعضها البعض ، نجد أنها : " بنيت وفق تخطيط موحد شبه ثابت ، تشمل عدة حجرات و الإختلاف بينها في الحجم و في قيمة مواد البناء المستعملة و في التجميل الداخلي و تخلو على العموم من النوافذ الخارجية "[2] .

إن المسكن الجزائري في العهد العثماني مميّز مقارنة ببقية المساكن في الأقاليم الأخرى ، فهو يجمع في تصميمه بين أسس البناء الوافدة من تركيا ــ استانبول ــ و بين العناصر المحلية ، أي أن نمطه عثماني تركي بعناصر و مواد جزائرية ، هذا من جهة و من جهة أخرى يرى قولفن(GOLVIN) أن مساكن مدينة الجزائر تعرض مظاهر الأصالة في بنائها ، مثلما نجده في دار عزيزة (الشكل: 20) ، دار مصطفى باشا (شكل:21) ، دار خديوج العمياء (شكل: 22) و دار الحمراء (شكل: 23)[3].
و هي مساكن تشكل نماذجا هامة للمساكن الجزائرية في العهد العثماني رغم ما دخل عليها من مؤثرات العمارة العثمانية ، فهي مزيج من التقاليد المحلية الموروثة من العهود السابقة و من فنون عثمانية مقتبسة من العاصمة استانبول ، فقد استوعب المعماري الجزائري ما استجد في العمارة التي

---

1 ــ محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة ،2000، ص .52 .
2 .عبد القادر زبادية ، المرجع السابق . ص .49 .
3 ــ انظر : GOLVIN . Palais et demeurs..

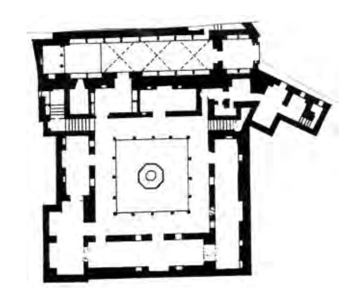
حلّت ببلاده بحلول العثمانيين و أدمج ما أمكن دمجه مع أسلوبه الأصيل دون المساس بأصالة مسكنه محافظا على ما أمكن الحفاظ عليه و أعطى بذلك صورة لمسكن يمكن تسميته " المسكن الجزائري الأصيل" .



ـ ب ـ **ـ أ ـ**

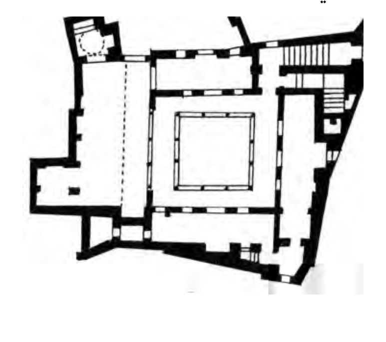
(شكل:20 أ. ب) دار عزيزة الطابق الأرضي و الطابق الأول

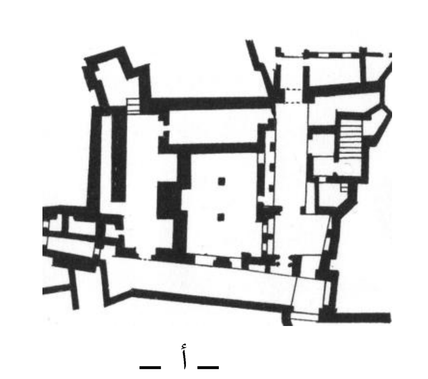




ـ ب ـ ـ أ ـ

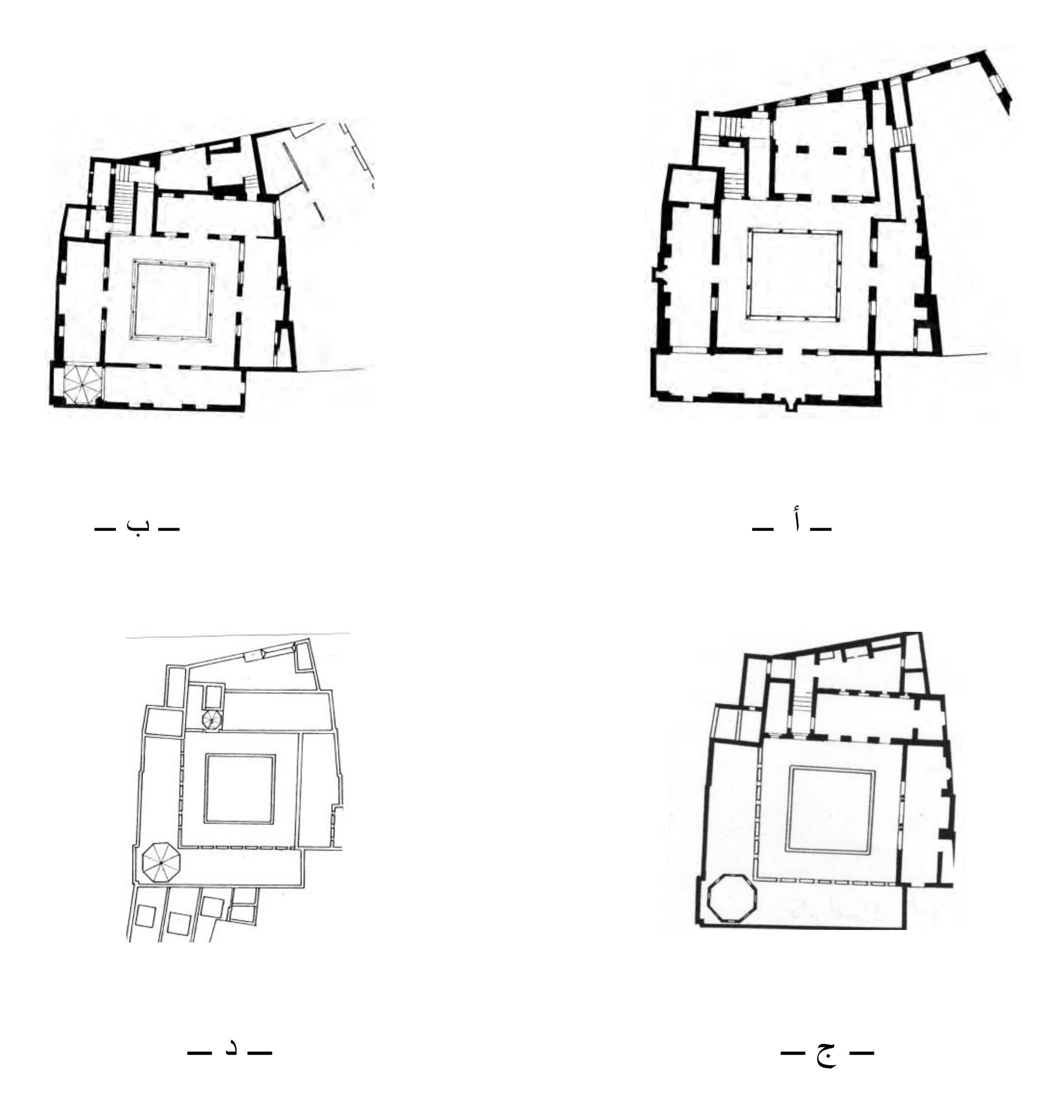
(شكل: 21 أ . ب) قصر مصطفى باشا الطابق الأرضي و الطابق الأعلى





ـ ب ـ ـ أ ـ

(شكل : 22 أ . ب) قصر خداوج العمياء الطابق الأرضي و الطابق الثالث



(شكل :23 أ . ب .ج .د) دار الحمراء الطابق الثاني و الطابق الثالث

مساكن مدينة البليدة في العهد العثماني:

إن نمط بناء مساكن مدينة البليدة في العهد العثماني يشبه كثيرا نمط و طراز مساكن مدينة الجزائر في نفس العهد و ما يزال العديد منها قائما إلى اليوم و منها المسكن الذي يعرف بـــ " دار عزيزة "* كما يوجد في داخل المدينة نماذجا أخرى من مساكن جزائرية في العهد العثماني و هي مجموعة من البيوت معظمها ملك للخواص و هي غير مصنفة و في حالة من التلف تتطلب الإصلاح للمحافظة على طابعها المعماري الأصلي **. كما شدّني الفضول إلى التطرق إلى دار أخرى ثانية أثرية تقع داخل المدينة و في حيّها العتيق و تعرف بـــ " دار عابد " . دون أن أنسى ذكر مسكن آخر يعرف بـــ " دار بن شرشال " المميز كثيرا بطابعه الأندلسي ، إلا أنني إستثنيته من الدراسة لحداثة تأسيسه ، فهو يرجع إلى سنة 1929 م و ركزت بالبحث على كل من دار عزيزة و دار عابد بالوصف و التحليل .

و سنلمس في دراستنا هذه إذا إهتم المعماريون فيها ببناء مساكنهم بتصور علمي دقيق ، منطقي و واقعي ، لتحقيق المسكن المتكامل الذي يلبي مطلب الحفاظ على القيم الإسلامية من حرمة السكان و أمنهم ، بإلحاقه بالقاعات الضرورية و المرافق المعيشية المكملة إلى درجة أن يجد السكان في مساكنهم ما يغنيهم عن بعض مما في خارجه .

---

*قائمة جرد المواقع التاريخية و الأثرية. مديرية الثقافة . البليدة .

** نفسه .

1 ــ الدراسة الوصفية :

أ ــ دار عزيزة :

الموقع و التأسيس

تقع دار عزيزة في بلدية بني تامو على بعد 6 كلم شمال مقر الولاية ولأننا لم نعثر على تاريخ محدد لتأسيسها ، كان لزاما محاولة استنطاق ما أمكن استنطاقه و جمع ما أمكن جمعه من معلومات بالرجوع إلى الروايات الشفوية والتي ليس من السهل الحصول عليها هي الأخرى مادام العثور على أشخاص يحفظون بعضا مما تواتر من روايات عن التاريخ البعيد للمدينة ليس من السهل هو الآخر الأخذ به ، فقلما يفصح الكبار عما في ذاكرتهم و أغلب ما أفادونا به معلومات ناقصة مبتورة و ما استقيناه من تلك معلومات كان شحيحا حاولنا أن نؤسس به تاريخا و لو تقريبيا لهذه الدار ، لنكشف ما تجاهلته المصادر والوثائق الرسمية حيث أن التفسير الوحيد الذي تلقيناه عن بناء هذه الدار هو أن الحاكم مصطفى باشا ، نتيجة حبه لإبنته عزيزة أقام لها هذه الدار و هو كمنتجع صيفي لراحتها و راحة عائلته قد سبق له أن بنى لها قصرا بإسمها في مدينة الجزائر يعرف باسمها ــ دار عزيزة ــ و اختار لها هذا المكان لتميّزه و غناه الطبيعي ؛ و بهاء منظر الأشجار به و وفرة مياهه و ذلك خلال القرن 12هــ .18 م و تبقى سنة تأسيسها تبقى غير دقيقة و غير مثبتة لحد الآن و ليبق الدليل الصارخ لانتساب الدار للفترة العثمانية هو نمط البناء ؛ المميز تصميما و إنشاءا بنمط يحمل لمسة معمارية وفنية بجمال مستقى من الفن العثماني الأصيل و هو ما سنراه لاحقا .

تعد دار عزيزة إذا ، بكيانها المعماري شاهدا على إقامة العثمانيين بمدينة البليدة و نموذجا من نماذج مساكن ذاك العهد في البليدة و دليلا على إهتمام المعماري بتنميق العمارة و اعطائها صبغة معمارية و زخرفية مكنتنا من إستحضار الصورة الحقيقية للحياة الأسرية داخل المسكن في العهد العثماني ، فتمثل بذلك أمامنا حيوية ساكنيها و نسترجع أيضا مع الفحص الداخلي لها أسلوب عيشهم واستغلالهم المنطقي لكل جزء من المبنى و لأن دار عزيزة متميزة بنمطها ، فإنها تعكس حقا ضربين من ملامح عمارة المساكن العثمانية و اللذان يتمثلان في القيمة المعمارية و القيمة الإجتماعية فقد صمم ليتجاوب مع قيم المجتمع تحولت الدار في العهد الإستعماري إلى سجن مركزي ، أما في الثورة التحريرية ، فتحولت إلى مقر إقامة أحد القادة العسكريين الفرنسيين أما حاليا فتسكنها عائلات أبناء المجاهدين .

إن دوام اهتمام مالكي الدار بإرثهم المعماري أبقى الدار في حالة جيدة مما أعطاها حظا من حفظ جزء كبير من تصميمها الأصلي و ما طالته يد التغيير على الدار مست حجم بعض الغرف حيث أقيمت جدران فاصلة بين الغرف مما أثر على طولها تحديد المرافق كالمطبخ و الحمام رغم وجود المدخنتان و التي يؤكد أهل الدار أنها تخص المدافئ و رغم هذه التغييرات لم تفقد الدار قيمتها سواء من الجانب المعماري أو الزخرفي و إن إدراك هؤلاء المالكين لما بين أيديهم من قيمة علمية و ثقافية أكثر منها مادية و هو وعي قلما نجده في الذهنية المعاصرة ، خاصة مع تفاقم مشكل السكن .

الوصف الخارجي :

تتكون دار عزيزة (صورة:45) من طابقين و تعتمد على واجهتين أساسيتين ، تمثلان المظهر الخارجي للدار و هما الواجهتان الجنوبية و الغربية . أما الواجهتان الشمالية و الشرقية فتختلفان كلية عن الواجهتين السابقتين بحيث تتكون كل منهما من الجزء العرضي للبناء ، و قسم من هذه الواجهة يتمثل في جدار الصحن و هذا التصميم يجعل القصر ينفتح بناحيتيه الشمالية و الشرقية نحو التيارات الهوائية الشمالية و الشرقية ، و مما يمكّنه من إستقبال الهواء الرطب ، خاصة في فصل الصيف و أساسا أنشأت الدار لهذا الغرض ، أي منتجعا صيفيا .



(صورة: 45) دار عزيزة .

و إننا لم نألف كثيرا مثل هذا التصميم و الذي جاء بخلاف القصور العثمانية في الجزائر و جاء بفكرة بناء جسدت فعلا الغرض من إنشاءه و برهنت على تنوّع التصاميم التي لا تبعد عن الوظيفية و الجمالية في آن واحد .

يعتبر المدخل الرئيسي نقطة الجذب في الواجهات الرئيسية للمساكن و هو في دار عزيزة لا يصادف الناظر مباشرة ، فالدخول إلى الدار يتم عبر ممر (صورة:46) مسقوف يساره يوجد المدخل الرئيسي



(صورة: 46) الممر الذي يتقدم دار عزيزة

الذي تقتصر عليه كعنصر وحيد بحيث يتوسط جدارها و المدخل هنا عبارة عن مدخل خشبي ، (صورة:47) تتقدمة عتبة رخامية ، مازالت تزينه الدبابيز و ما يلاحظ عليه هو إنعدام الشباك ــ الفتحات ــ التي تساهم في التطلع على ما بخارج الدار و يؤطره عمودان مستطيلان يحملان عقدا نصف دائريا و مستطيلات في وسط كل منها زهرة و في يتوسط أعلاه هلال و هو نفسه الذي يشغل الأركان العلوية للإطار .

تتنوع العناصر المعمارية الموجودة بالواجهة الجنوبية بحيث أعطتها تصميما رائعا و أهم مايميزها هو الإيوان الذي فتحت به نوافذ في جوانبه و تعلوها شمسيات ، بعدد نافذة في كل جانب منه . كما يزين أعلى الإيوان كورنيش من تناوب قطع القرميد و يشغل أعلى أركانه و في منتصف سقفه شرافات للغرض الزخرفي. كما يميز هذه الواجهة الروشن (صورة:48) و هو يرتكز على أوتدة خشبية لزيادة تدعيمه و فتحت به نافذة حديثة تعلوه شمسية إلى يمين الإيوان (صورة: 49) في الطابق الأعلى ، أما تسقيف هذا الإيوان فهو بقبة ثمانية الأضلاع (صورة:50) فتحت في أركانها بالتناوب نوافذا مسدودة.



(صورة :47) المدخل الرئيسي لدار عزيزة

أما فيما يخص نوافذ هذا الطابق فنرى ثلاث نوافذ متجاورة ، يتوسط كل اثنتان منها عمود إسطواني ، بحيث يرفع كل إثنين منها عقدا متجاوز منكسر .



(صورة :48) الروشن على الأوتاد الخشبية



(صورة: 49) الإيوان من الخارج .



(صورة: 50) القبة من أعلى .

كما أن الواجهة الغربية (صورة: 51) لا يتماثل تصميمها مـــع الواجهة الجنوبية فهي أبسط منهـــا وتقتصر على التصميم المتناظر تقريبا ، بحيث يبرز الجدار في جوانب هذه الواجهة و بشكل واضح بينهما قسما أوسطا متداخل .

كما يوجد في الطابق الأرضي لهذه الواجهة ثلاث نوافذ و في الطابق الأعلى نافذتان متجاورتان في طرفي الجدار ، يعلوهما عقدا إهليليجيا و تعلوها شمسية ، ويتوسط النافذتان و الشمسية بروز له دور في إبعاد مياه المطر أما الواجهة الشمالية بسيطة و لا تتميز بعناصر معمارية .

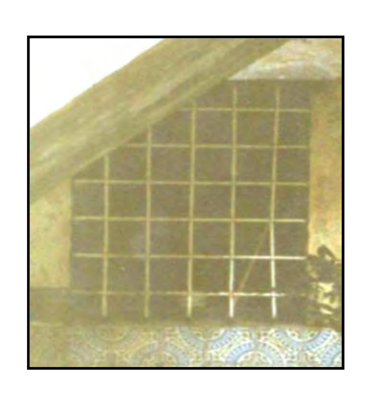


(صورة: 51) نوافذ الواجهة الجنوبية

إن ما يلاحظ على الجدران الخارجية لدار عزيزة هو بساطتها و انعدام الزخرفة عليها ، عدا كورنيش يفصل بين الطابقين الا رضي و الأول و هو يحيط بكل البناء كما يعلو الدار سطحا من غير جدران جانبية تحمي المترددين عليه إلا أنه يبقى وسط مناسبا للتطلع على كل ما يحيط بالبناء بل على كل ما في المنطقة من بساتين على مدّ البصر .

الوصف الداخلي :

ينفتح المدخل الرئيسي على السقيفة و هي بسيطة و خالية من المقاعد الجانبية و من المحتمل أن أزيلت ، لأنها مستغلة حاليا كغرفة و يوجد بها مدخل في جدارها الغربي و هو ينفتح نحو الصحن. كما يوجد في جدارها الخارجي ــ أي في الصحن ــ مقعد ، تعلوه نافذة خاصة بالسقيفة (صورة : 52) حيث يبدو الرواقين الجانبيين المحتفظان بتصميمهما و دورهما تتقدمهما البوائك (صورة : 53).



(صورة: 52) نافذة تطل على الصحن .



(صورة: 53) الصحن
ــ وسط الدار ــ .

التي بها أعمدة مركبة (صورة : 54) قائمة على أطراف الأروقة و هي من غير قواعد و هي على نوعين ، فالتي في الرواق الشمالي جزءها السفلي مضلع و الجزء العلوي حلزوني أما التي في الرواق الجنوبي فالجزء السفلي مضلع و الجزء العلوي مسنن ــ منشاري ــ و تعلو هذه الأعمدة تيجانا تحمل عقودا متجاوزة منكسرة تماثل أروقة الطابق الأعلى التي في الطابق الأرضي من حيث تكوين البوائك ، و هي مميزة بالدرابزين الخشبي الذي يحد طرفها ، كما بلطت أرضيتها بقطع الآجر المتعدد الأضلاع (صورة : 55) و سقفت بأقبية نصف إسطوانية .

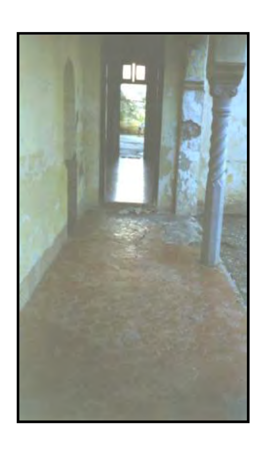


ـ أ ـ



ـ ب ـ

(صورة: 54 أ . ب) أعمدة أروقة الطابق الأرضي .



(صورة: 55 أ . ب) رواق في الطابق الأرضي .

يوجد في الركن الشمالي الغربي و تحديدا في رواق البائكة مدخل(صورة : 56) ينفتح على رواق ثان صغير و ضيق إلى يمينه السلم المؤدي إلى الطابق الأول (صورة : 57) و قد فتحت بجدرانه شمسيات لإنارته و ينتهي هذا السلم بمدخل ينفتح على رواق الطابق الأول ثم يستمر إلى أن ينفتح بمدخل آخر على السطح و المدخلان بنفس الشكل و الحجم .



(صورة:56) مدخل السلم



(صورة:57) السلم .

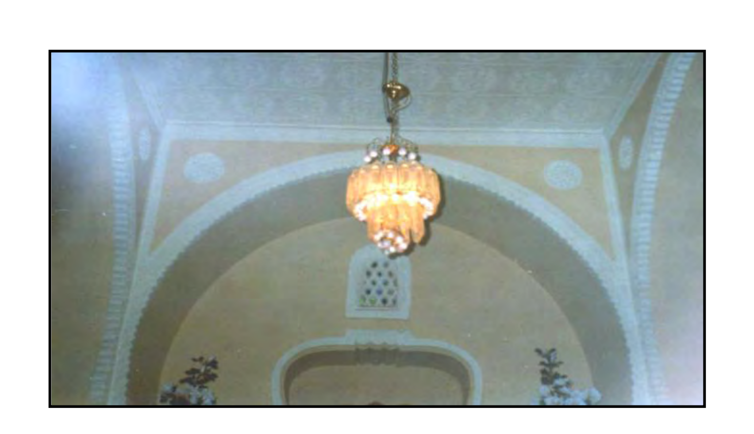
أما فيما يخص الغرف و مداخلها فقد صعب اخذ صور لها لوجود الأغراض المنزلية و إن ما يلاحظ عليها هو شكلها الطولي كثرة الأواوين بها (صورة :58) (صورة : 59) (صورة : 60) فمنها ما تحتوي على إيوان واحد و أخرى يصل عدد الأواوين بها إلى ثلاثة ، كالغرفة التي تقابل مدخل الصحن في الطابق الأرضي و قد أضفى تعدد الأواوين بها على تصميم الغرف جمالا أخاذا بتناسقها المحكم و اتقان تفاصيلها و العقود نصف الدائرية الذي تعلوها ، المزينة بالنقوش الجصية و تناسق تقابلها المحكم التفاصيل و الإتقان و المزين بالنقوش الجصية . كما إشتملت هذه الغرف على الخزائن الجدارية المتعددة حيث منها ما صمم على جانبي الأواوين و أخرى تنتصف الجدران و تعلوها شمسيات .



(صورة: 58) إيوان غرفة .



(صورة.: 59) ايوان بغرفة .



(صورة : 60) ايوان بغرفة .

أما عن تبليط القاعات فإنه يشبه تبليط أرضية الأروقة (صورة : 61) فمنها ما بلطت حديثا بأرضية خشبية . أما سقفها فهو من النوع المسطح .

و تنفرد غرفتان بميزة خاصة في التسقيف بحيث تحتفظان بنموذج أصلي إحداهما بمربعات ملونة بالأحمر و الرمادي الفاتح في وسطها وردة و يحد المربعات أطر خشبية بارزة (صورة : 62) ، أما النوذج الثاني ، فيتكون من تتابع مثلثات باللونين الأحمر و الأزرق الداكن (صورة :63)



(صورة : 61) : نموذج من التبليط في الدار .

يتميز سطح الدار بتصميم فريد (صورة :64) و كما ذكرت سابقا فإنه لايحيط به جدار و إنما حافة على شكل مصطبة يمكن إستغلالها للجلوس و بكل اطمئنان و يستغل هذا السطح إلى الوقت الحالي للقيام بالأشغال المنزيلية كالغسيل مثلا و تنتصب فيه مدخنتين ــ (صورة :65) حسب القاطنين بالدار فإنها للمدافئ و ليس للمطبخ و هي مصممة من قطع الآجر المنتظم .



(صورة.:62) تسقيف غرفة .



(صورة:63) تسقيف غرفة



(صورة: 64) السطح .



(صورة.: 65) نموذج لمدخنة بالسطح .

ب ــ دار عابد :

الموقع و التأسيس :

تقع دار عابد في وسط مدينة البليدة ، بنهج " زيغود معمر " قرب الساحة المعروفة بإسم مونيي في حي باب السبت و تنتسب تسميتها إلى عابد ، العائلة التي تملك الدار حاليا . و كانت فكرة دراسة دار عابد من خلال استطلاع للرأي العام بالحي ، ثم إنني تلقيت توجيها أوليا من الوكالة الأثرية ــ فرع البليدة ، سابقا ــ على أساس أن الدار تنتمي للفترة العثمانية و تحديدا إلى أواخرها ، إلا أن هذا غير مثبت ، فهناك من ينفي نسبها العثماني و يرجعه إلى أوائل الفترة الإستعمارية الفرنسية و أمام وجهات النظر المتضاربة هذه و في غياب تأكيد صريح من الجهات المختصة لنسبها العثماني ، قمت بدراسة الدار كمعلم أثري رأيت أهميته في تميّزه و هو ضمن النسيج العمراني لمدينة البليدة .

و رغم بقاء سنة تأسيسها غير دقيقة و غير مثبتة شدّني الإهتمام لدراسة هذه الدار باعتبارها معلما أثريا لا خلاف فيه ، إضافة إلى الصيغة المعمارية التي جاء عليها نمط البناء و الذي يعد نسخة طبق الا صل للتصميم العثماني. كما حيث أكد صاحب الدار أن جدتهم أعجبت بتصميم المسكن العثماني في سوريا و بالتالي أحضرت هذا التصميم ــ مع تصميم آخر لحمام تمتلكه نفس العائلة التي تمتلك الدار ــ بنت الدار وفق ذاك التصميم .

إمتلك دار عابد في أواخر الفترة الإستعمارية الفرنسية ، قائد عسكري وأقام فيها لإعجابه بتصميمها رغم أنه و احتفظ للدار تصميمها ولم يلحق بها زيادات أو تغييرات تمس جوهر البناء ، حسب الروايات الشفوية إلا أنه لم يعط المبنى نقاءه المعنوي الذي يستحقه .

تظهر دار عابد ماثلة للعيان شامخة و عريقة (صورة : 66) ، مميزة بين ما يجاورها من مساكن حديثة بميزة معمارية إختص بها الفن المعماري العثماني.

الوصف الخارجي :

تظهر دار عابد ماثلة للعيان شامخة و عريقة (صورة :66) ، مميزة بين مايجاورها من مساكن حديثة بميزة معمارية اختص بها الفن المعماري العثماني . و صممت بطابقين . طابق أرضي و طابق أول ، يعلوه سطح ، مما أعطى الدار جذبا والتصميم إنسجاما و هي على بساطة ملحوظة في مظهرها الخارجي . و تنفتح الواجهتان الشمالية الشرقية و الشمالية الغربية على ممرين لإستقلالهما عن المباني المجاورة أما الواجهتين الجنوبية الشرقية و الجنوبية الغربية فهي ملتصقة بمبان أخرى مما لا يسمح برؤيتهما كاملتين و يظهر منهما فقط الجزء العلوي من البناء .



(صورة:66.) دار عابد .

تتميز الواجهة الرئيسية (صورة:67) عن بقية الواجهات بوجود المدخل الرئيسي (صورة:68) و هو من مصراع واحد تتخلله الخويخة و تتقدمه عتبة رخامية و تعلوه ظلة بسيطة و تزينه دبابيز كما



(صورة: 67) الواجهة الرئيسية .



(صورة: 68) المدخل الرئسي

فتحت به فتحات لغرضي التهوية والتزيين كما يمكــن من خلالها التعرف على الوافدين علـــى الدار.

و بإعتبار المدخل الرئيسي عنصرا هاما في إعطاء صورة جذابة للواجهة ، أولاه المعماري تنميقا خاصا حقق من خلاله عنصـــرا معماريا و زخرفيا أكثـــر ما اعتمـــد في ذلك على العمودين الجانبيين

اللذين يرتكز كل منهما على قاعدة مربعة فزخرفهما بزخرفة نباتية و هندسية و العقد نصف الدائري .
توجد في الطابق الأرضي من هذه الواجهة نافذة واحدة و هي بشكل طولي خصت للسلم ، أما الطابق الأول من هذه الواجهة فيوجد به نافذة فوق المدخل الرئيسي و أخرتان على جانبيهما المخرم و تعلو كل واحدة منهما شمسيتان ــ قمريتان ــ .

إن الواجهة الشمالية الشرقية (صورة : 66) مميزة حيث ينفرد الطابق الأرضي بنافذة واحدة صغيرة تأخذ شكلا طوليا ، معقودة بعقد نصف دائري و هي لموضع السلم أيضا بإعتباره يشغل ركن المبنى أما الطابق الأعلى من هذه الواجهة فيبدو على تصميمه الإتزان لتناظر العناصر الموزعة فيه بين البروز الخارجي بحوالي نصف متر و الذي فتحت في جانبيه شمسية ــ قمرية ــ و تزين أعلاه شرافات و سنحدد ماهية هذا البروز لاحقا . توجد على جانبيه نافذتان متماثلتان ، مربعة الشكل و تليهما نافذتان طوليتان متجاورتان معقودتان ويحدهما إطار في أعلى ركنيه زخرفة متكونة من هلال و نجمة كما يوجد في كل هذه النوافذ إطار معدني . أما الواجهة الجنوبية الشرقية فيبدو منها الجزء العلوي فقط (صورة: 69) ، حيث يظهر منها البروز الخارجي الذي فتحت بجوانبه شمسيات ــ قمريات ــ و نافذتان جانبيتان و تعلوه شرفات و ترتفع في هذه الواجهة المدخنة و التي تنفتح عند بداية جدار السطح ، هذا الأخير تزيّــن وسطه شرفات في تصميم متدرج و متناسق (صورة:70).

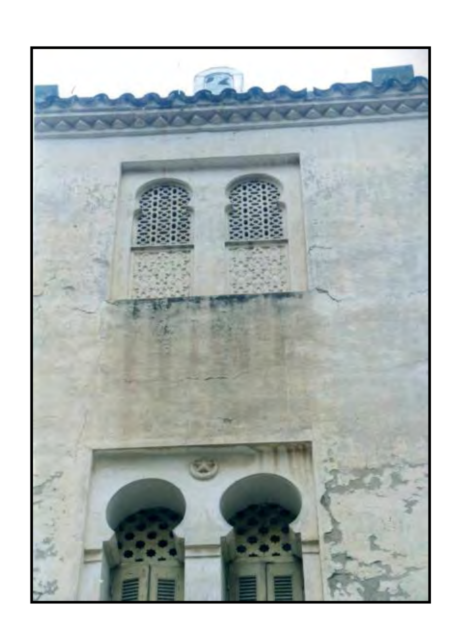


(صورة :69) الواجهة الجنوبية الشرقية .



(صورة :70) المدخنة .

أما الواجهة الجنوبية الغربية فتكاد تطمس معالمها لوجود المسكن المجاور الذي يحجبها ، مما تعذر معه ملاحظة العناصر التي تميزها . و يتميز الركن لشمالي الشرقي بوجود نافذتين على واجهتيه . و تختلفان عن بقية النوافذ لتميزهما بالحاجز الجصي المخرم (صورة : 71). و قد زيّن أعلى هذا الركن بإفريز من القرميد الأخضر و شغلت أركانه بشرفات أعطته لمسة جمالية .



(صورة : 71) نماذج من النوافذ .

تحلي الواجهات أفاريز على هيئة شريطين متوازيين و كأنهما يحددان المستوى الفاصل بين الطابقين الأرضي و الأول و كذا بين هذا الأخير و السطح . إن الإفريز الأسفل أملس و بسيط يتميز عنه الإفريز العلوي بوجود القرميد المتراكب و المتتالي، أسفله زخرفة على شكل مثلثات بارزة و متسلسلة.

كما يظهر أعلى المبنى سور السطح الذي يحيط بكامل السطح و هو خال من أي زخرفة أو تزيين و يبدو في أركانه الأربع الجزء العلوي لثلاث قباب ثمانية الأضلاع إثنان منها متشابهة

تماما و كأن كل واحدة منها نسخة عن الأخرى (صورة : 72). أما القبة الرابعة فتختلف عنها فقط في نسبة إرتفاعها و تتماثلها حجما و نوعا و هي خاصة بتسقيف نهاية السلم (صورة : 73) . كما يبرز أيضا في أعلى السطح سقفا هرميا زجاجيا (صورة : 74) الذي يسقف مركز الدار . و إن توزيع القباب و السقف الهرمي في السطح أعطوا المبنى تصميما رائعا مشدا لإنتباه فأخذ بذلك إتجاها سماويا من أركانه الأربعة .



(صورة: 72) قبة في السطح .



(صورة : 73) القبة التي تعلو نهاية السلم .



(صورة: 74) السقف الهرمي .

الوصف الداخلي :

ينفتح المدخل الرئيسي مباشرة على السقيفة (صورة : 75) التي تميزها المقاعد في جداريها الشرقي و الغربي ــ صورة ــ و لم تأت هذه المقاعد بصورة بسيطة و إنما حليت في أعلاها بعقدين من النوع المشرع بينهما عمود يشكل نقطة التقاء العقدين اللذين يرتكزان في جانبيهما على جدار السقيفة و يعلو المقاعد خزانات جدارية و قد بلط المستوى الأسفل من جدران السقيفة و مساحة الجدران التي خلف المقاعد ببلاطات خزفية أعطتها لمسة من الترحيب و جوا يوحي بالإرتياح و باعثا للإنتعاش ، أما السقف فهو أملس بسيط .



(صورة:75) جانب من السقيفة .

يوجد في الجدار المقابل للمدخل الرئيسي مدخل من درجتين ، يعلوه عقد متجاوز منكسر و هذا المدخل من دفة واحدة ينفتح على صحن أوسط مربع الشكل (صورة :76) (صورة :77) (صورة :78)

و أول ما يصادف الداخل إلى وسط الدار النافورة الرخامية التي تتوسط الصحن و تحتفظ بتركيبها الأصلي حسب ما تلقينا من معلومات .

تحيط بالصحن في جوانبه الأربعة أروقة متماثلة المقاسات طولا و عرضا و لا يتجاوز عرضها 2 م و طولها 10 م و هي تسمح بالإنتقال ما بين الغرف و المرافق بحيث تعتبر الواسطة بينها .و بلط الصحن ببلاطات مربعة ، و سقف بسقف زجاجي هرمي الشكل ، تتدلى منه ثريا قيل أنها أصلية في الدار و لم ينجز مباشرة عند نهاية الطابق الأعلى أي ليس على مستوى السطح و إنما رفع فوق حاجز به نوافذ يمكن فتحها للتهوية .



(صورة: 76) الصحن من الأعلى ــ وسط الدار ــ.



(صورة:77) جانب من الصحن .

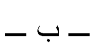
تتوزع في كل رواق أعمدة رخامية ملساء من النوع الإسطواني ، أملس (صورة :78) و تقدر المسافة ما بين كل عمود و آخر بــ 1.58م بعدد أربعة في كل رواق و ترتكز على قواعد بارزة

ثمانية الأضلاع بارزة كما ترتفع عليها تيجان من النوع . تحمل عقودا متجاوزة منكسرة . و تشكل هذه السلسلة أربعة بوائك ، تشترك كل بائكتان في عمود الركن .



ـ أ ـ





(صورة:78 أ . ب). أعمدة الطابق الا رضي .

بلطت الأروقة بلاطات حديثة أما السقف فلا يزال بصورته الأصلية أي ببساطته و ملاسته في رواقين فقط و بأقبية أنصاف برميلية (صورة :79) في رواقين إثنين آخرين .



(صورة: 79) سقف رواق من الأروقة.

تنفتح مداخل ، نوافذ الغرف و المرافق على الأروقة ونجد في كل جانب من جانبي المداخل نافذة بحيث يكون لكل غرفة مدخل و نافذتان تطل على الرواق ــ الصحن ــ و تنفتح نحوه .

تتماثل كل المداخل من حيث احتواءها على دفتيــن جزءها السفلي خشبي وجزءها العلوي يتداخل فيه الزجاج مع الخشب و يعلوه عقد منكسر. (صورة :80) (صورة : 81).أمـــا النوافذ (صورة: 82) فهي بشكل مربع و من دفتين زجاجيتين ، و تخلو من الدفتين الخشبيتين و تنفتحان نحو الداخل ، لوجود الحاجز المعدني الذي يحول دون فتحهما نحو الخارج ــ الصحن ــ و قد زين هذا الحاجز المعدني تارة بالهلال و النجمة و تارة أخرى بالهلال وحده . إن ميزة النوافذ الداخلية ، إحتواءها على الشباك المعدني الذي ينعدم وجوده في النوافذ المطلة على الخارج ، و التفسير الذي يقدم هنا هو أن النوافذ الداخلية منخفضة عكس النوافذ الخارجية فهي مرتفعة ، كما أن الداخلية تنفتح نحو داخل الغرفة مما يسهل دفعها و بالتالي فتحها ، عكس التي تفتح نحو الخارج فيصعب فتحها بالسحب أو الجذب . كما للشمسيات ــ القمريات (صورة: 83) (صورة: 84) دورها المتمم في إنارة الغرف سواءا ليلا أو نهارا .



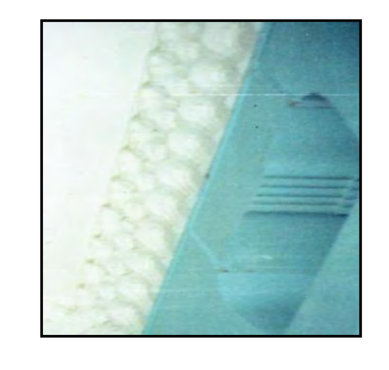
(صورة: 80) المدخل من خارج الغرفة.



(صورة 81) المدخل من داخل الغرفة.



(صورة: 82) نافذة .



(صورة:84) موضع الشمسية من داخل الغرفة



(صورة:83) الشمسية من خارج الغرفة

إن الغرف في دار عابـــد متقابلة ؛ التي في الطابـــق الأرضي كلها مستطيلـــة الشكل (صورة :85) و (صورة :86) (صورة :87) (صورة :88) و متماثلة تماما من حيث العناصر الموجودة فيها و أهم ما يميزها الإيوان الذي يتوسط ــ تقريبا ــ الجدار المقابل لمدخل الغرفة و هو لا يبرز إلى الخارج كونه في الطابق الأرضي مما قد يعيق الحركة خارجا . أما الغرفة يمين المدخل و الغرفة التي في الجهة اليسرى في الواجهة المقابلة للمدخل مستطيلتا الشكل و متماثلتا التصميم إلا أنه ينعدم فيهما الإيوان . و تتوزع الغرف الأربعة في الطابق الأرضي توزيعا متناغما و متجانسا و هي مندمجة الواحدة خلف الأخرى .



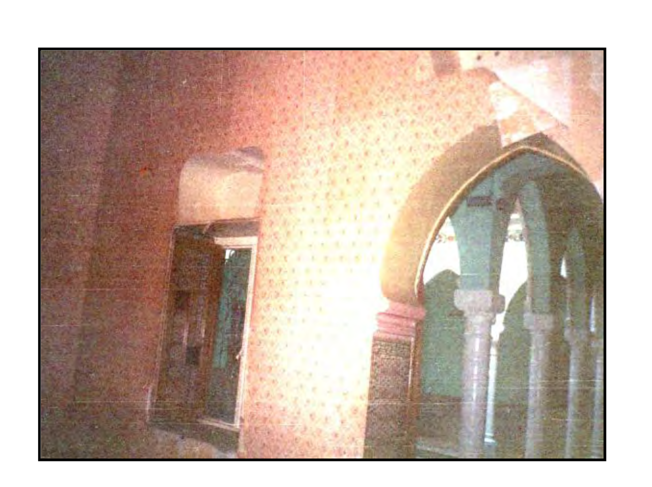
(صورة: 85) جانب من غرفة .



(صورة: 86) جانب من غرفة .



(صورة: 87) جانب من غرفة .



(صورة: 88) جانب من غرفة .

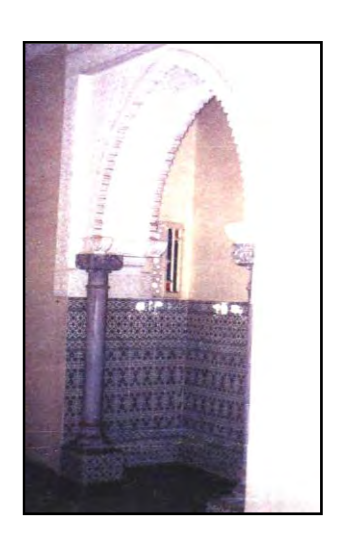
لا يختلف تصميم الطابق الأعلى كثيرا عن تصميم الطابق الأرضي فقد صمما و فق نسق متقارب كثيرا بحيث ، البوائك في الطابق الأعلى لا تختلف عن تلك التي أسفلها لا من حيث عدد الأعمدة و العقود ولا من حيث وظيفتها إلا إختلافا بسيطا بينهما يكمن في الجانب الزخرفي. فالأعمدة التي في الطابق الأعلى رخامية مزركشة و تضم بينها الدرابزين الخشبي (صورة: 89) و الذي صمم بطريقة معمارية ذكية نتيجة تموضعه بين الأعمدة بحيث سمح بتثبيته و بعدم انحرافه عن استواءه .



(صورة: 89) الطابق الأعلى

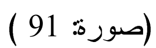
بالدرابزين الخشبي

كما تتماثل المداخل والنوافذ في هذا الطابق مع التي في الطابق الأرضي . و تتنوع الغرف الأربعة للطابق الأعلى بين المستطيلة و المربعة و هي متقابلة و متناظرة صممت بشكل مستطيل تحمل ثلاث منها فقط إيوانا قليل الغور (صورة: 90) (صورة: 91) (صورة: 92) يقابل مدخل الغرف . بينما الغرفة في الجهة الشمالية الغربية فلا تحتوي على إيوان . على جانبيه عمودان و هو الذي يفسر البروز الخارجي الذي يظهر في الواجهة الخارجية و هو يتوسط الجدار بحيث يقسم الغرفة إلى ثلاث أقسام . و يتماثل مع بقية الأواوين . و يكبر غور الذي في الغرفة الجنوبية الشرقية مقارنة بالإيوانيين السابقي الذكر . بحيث يبلـــغ عرضه 96 سم . و يعتقـــد أن هـــذه الغرفة كانت مخصصة لإستقبال الضيوف و جلوسهم. فالإيوان يمثل الموضع الراقي عند أهل الدار و فسحته تعطي الغرفة رونقا خاصا.



(صورة: 90)





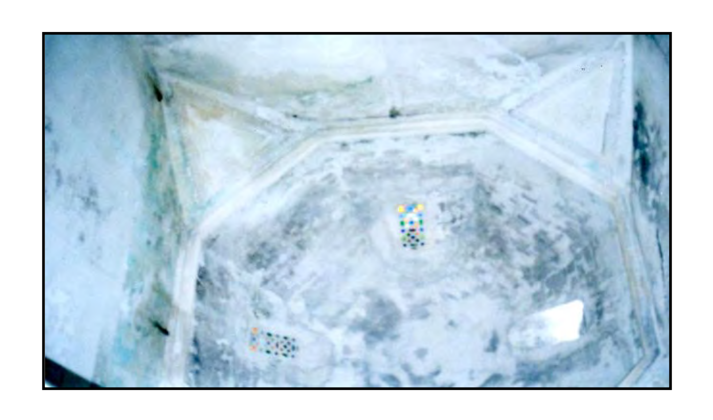
(صورة: 91)



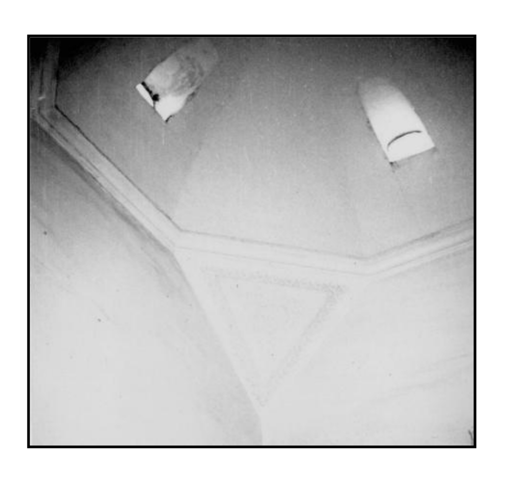
(صورة:92)

وجدنا في بعض الغرف تحفا فنية رائعة منها خزانة (صورة: 85) لوضع الملابس و مرآة حائطية (صورة: 92) يجهل تاريخ صنعها إلا أن صاحب المسكن أكد أنها تعود للفترة التي بنيت فيها الدار .يلي كل غرفة من الغرف الرئيسية الأربعة المذكورة غرفة مربعة تشغل أركان الدار و هي مربعة الشكل . ثلاث منها يعتقد أنها لوضع لوازم الغرف من أغطية و غيرها و هي التي في الركن

الشمالي و الشرقي الغربي ، أما التي في الركن الجنوبي فهي غرفة الحمام التي تعلو مباشرة المطبخ و حاليا لا نعثر على ما يدل على وسائل الإستحمام كالقدور النحاسية مثلا و يصنف هذا الحمام ضمن الحمامات الخاصة . و في كل من الغرفة الركنية و غرفة الحمام قبة و يعتقد أن كليهما حماما .
والقبتان متماثلتان ، ثمانية الأضلاع (صورة :93) (صورة: 94) قائمة على مسقط مربع تشغل أركانها مثلثات كروية كما تنفتح بها نوافذ زجاجية مصمتة لغرض الإضاءة دون التهوية .



(صورة:93) القبة التي تسقف غرفة الحمام .



(صورة:94) القبة التي تسقف الغرفة المربعة في الركن .

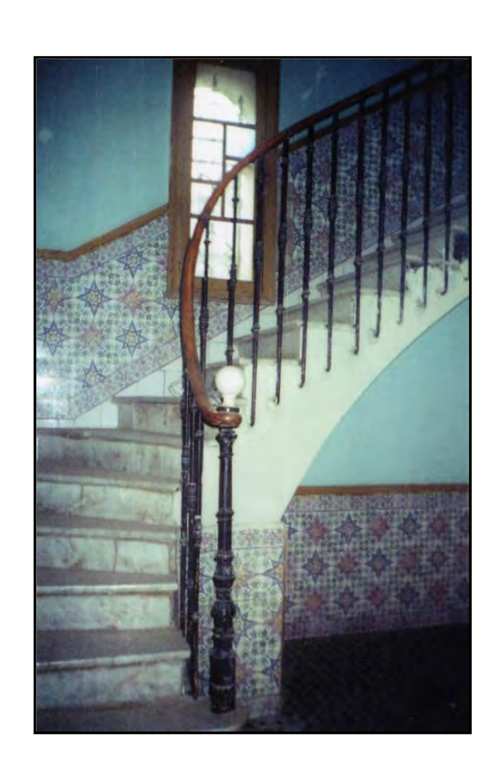
يوجد في الركن الجنوبي للصحن المدخل المؤدي إلى المطبخ و هو لا يختلف شكلا عن بقية المداخل و ينفتح على المطبخ   (صورة :95) الذي يتألف من قسمين بينهما رواق ، الأول قسم مخصص للطبخ مميز بوجود موضع المدخنة في أحد أركانه المخصصة لتصريف الدخان الناجم عن حرق حطب الطبخ و تعتبر المدخنة من العناصر الأساسية في التعرف على المطبخ و موضع الطبخ تحديدا و يوجد بهذا القسم نافذة يبدو أنها حديثة . أما القسم الثاني فيحتمل أنه كان موضع إجتماع

العائلة للأكل و هو يحوي نافذة استحدثت هي الأخرى و ينفتح الرواق بين قسمي المطبخ بمدخل على صحن مربع يجهل إذا صمم مع الدار أم إستحدث .

يشغل الركن الشمالي و على يسار المدخل موضع السلم (صورة : 96) الصاعد إلى الطابق الأعلى . الذي صممت درجاته مــن الرخام ، أما درابزينه فمــن قضبان معدنية و بممسك خشبي و فتحت في جدرانه نوافذة للتهوية و إنارته . كما يوجد في الطابق الأرضى و بمحاذاته المرحاض ـــ الكنيف ـــ ، المستطيل الشكل بعرض 1.20م و بطول 3 م .



(صورة:95) موضع الطبخ ـــ المطبخ ـــ



(صورة:96) السلم .

إن تبليط الصحن طرأ عليه تغيير كبير فيقد بلط ببلاطات حديثة و سقف بسقف زجاجي (صورة : 97) هرمي الشكل ، تتدلى منه ثريا قيل أنها أصلية في الدار و لم ينجز هذا التسقيف مباشرة عند نهاية الطابق الأعلى و إنما رفع فوق حاجز به نوافذ يمكن فتحها للتهوية .

ينفتح السلم على السطح ، المجال الذي يختلف تماما عن المجال الداخلي للدار ، و أول ما يصادفنا فيه القباب القائمة في الأركان ، تتميز بينها القبة التي تسقف موضع السلم و هي تقوم على جدران أربعة . كما يبدو أيضا على السطح السقف الهرمي الذي يسقف مركز الصحن .



(صورة: 97) : السقف الزجاجي من الداخل .

2 ــ تحليل نظام بناء الدارين :

من الضروري دراسة تصميمي كل من دار عزيزة و دارعابد ، وفق شطرين أساسيين هما التخطيط و التصميم و هما مرتبطان و مكملان لبعضهما البعض لإعتبار التخطيط علم يهتم بالتصميم الهندسي و فن تشكيل الأبنية و المنشآت [1] . كما من الضروري ربط تصميمي الدارين بمختلف تصاميم القصور التي عرفت في المراحل التاريخية للحضارة الإسلامية و بالتركيز على تلك التي تنتمي للفترة العثمانية و المشيدة بمدينة الجزائر ، بغض النظر عن حجمها و تجاوزا عن اختلاف هيئتها ، فذاك يخضع إلى معايير أخرى ، منها المساحة المتاحة للتشييد و مكانة صاحب المسكن و بالتالي قدرته المالية [2] و استوجب ذلك دراسة تطبيقية ميدانية ، كشفت عن تقسيم المكان و تهيئته للعمارة مما جسد فكرة الإنشاء بأسلوب هندسي علمي .

لم تكن المساكن في العهد العثماني على نوع واحد ، فقد تنوعت بين القصور و مساكن الأحياء البسيطة و كانت القصور من نصيب الطبقة الثرية ، و صممت بطوابق و اشتملت على أنواع الغرف و ألحقت بمرافق و كانت تبنى خاصة داخل المدن و لم تتجاوز أسوارها [3]. و انفردت قصور الفحوص بخصوصيات تميزها عن تلك التي بداخل المدن .

المخطط :

المخطط هو الشكل الذي يحققه المسقط الأرضي للبناء و في الدور العثمانية هناك نماذجا للمساقط ، تتنوع بين المربعة و المستطيلة و غيرهما و هي ما نراها في قصر خديوج العمياء الذي يقترب من شكل التربيع و يماثله تقريبا تصميم قصر عزيزة الذي يحمـــل هو الآخرنامغقطنامشت-غ

---

(1) ــ رفعت موسى محمد ، بتصرف ، الوكالا ت و البيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، ص . 203.

ــ و للاستزادة في هذا الجانب ألفت الإنتباه إلى أن في هذا المرجع عرض مجموعة مهمة من المساقط الأفقية للمنازل العثمانية في مصر ، يبين شكلها المتنوع بين المربع أو المستطيل أو المتعدد الأضلاع و مساحتها و موقعها و عناصر المنزل و توزيعها في المنشأة كما أنها مرتبة ترتيبا تاريخيا، منها منزل آمنة بنت سالم و غيرها .

(2) – جمعة أحمد قاجة . المرجع السابق ، ص . 103 .

(3) – L .GOLVIN .op.cit . p.76.

ذقشيٌا ، و غٍشهما م هانقطىسان ررًڤاسب فـثَسك هها مغ ﻫ ٌاقشطش ٌه [1]. و بمقارنة مخططات كل من دار عزيزة ــ البليدة ــ (شكل :24) (شكل :25) (شكل :26) و دار عابد (شكل :27) (شكل :28) (شكل :29) بقصور مدينة الجزائر، نجد أن دار عزيزة تقوم على مخطط بشكل حرف اللام الوسطى (لـــ) ــ أو الحرف اللاتيني (L) ــ و ليس على مسقط مربع و إنما بتخطيط مغاير و لا نجد له نظيرا فهي تتخذ نصف ــ جزء ــ مخطط بقية القصور ، أما دار عابد فتقوم على مخطط مربع تام و كامل .

التصميم :

إن أهم ما يميز قصور مدينة الجزائر العثمانية هو صفتي التربيع و التكعيب [2]. و هو ما ينطبق على دار عابد ، و تشكل دار عزيزة إستثناءا . أما ما تتفق عليه الدارين ــ موضوع الدراسة ــ هو إحتواءهما على طابقين ؛ أرضي و أول و سطح . و إن احتواء القصور على أكثر من طابق و الذي كاد أن يتخذه العثمانيون قاعدة أساسية في بناء قصورهم ، لم يكن من ابتكارهم حيث يضرب جذوره إلى أزمنه بعيدة فقد عرف في العمارة الشرقية التي بينتها إكتشافات تمت ما بين سنتي 1926 ــ 1927 م في بلاد الرافدين و التي عثر خلالهما على مبان بطابقين ، يعتقد أن لتخطيطهما تأثيرا على البيت العربي الإسلامي من حيث أخذ هذا الأخير لما يتلائم مع حياة المسلمين الدينية و الإجتماعية[3].

مما يؤكد أصالة هذا النمط في تاريخ المساكن الجزائرية [4] إلى أبعد من هذا ، يرى الرحالة الأوروبيين أن المسكن الجزائري هو صورة طبق الأصل للمسكن الروماني [5]. و إن إحتواء القصور على طابقين ، طابق أرضي و أول له جذوره في العصور الإسلامية بدءا من العصر الأموي . و رغم ما ألحق ببعضها من إنتقادات و شك في نسبتها إلى المسلمين و من أنها تكاد تشبه القصور القديمة في

---

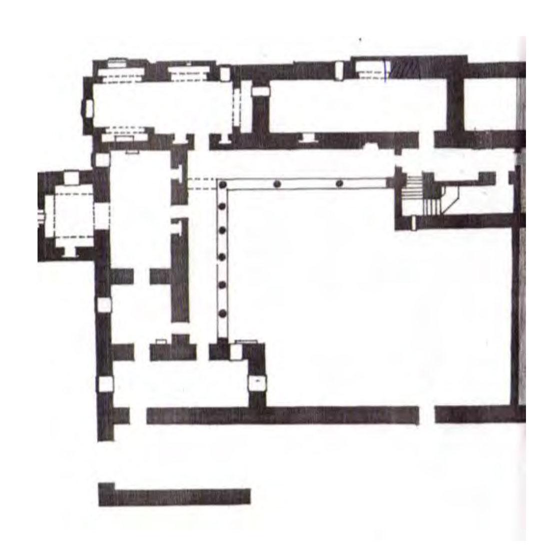
(1) – محمد الطيب عقاب، قظىس ... ، المرجع السابق ، ص .51 .

(2) – Henri KLEIN. OP .CIT . p. 133.

(3) – صالح لمعى مصطفى ، عمارات الحضارات القديمة المصرية ، مابين النهرين ، اليونانية ، الرومانية ، ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1979 ، ص 3 . بتصرف.

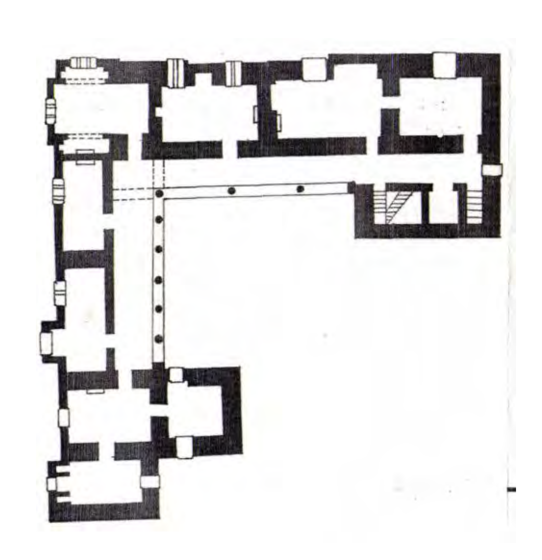
(4) – محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص.52 .

(5) – L .GOLVIN .op.cit p.76

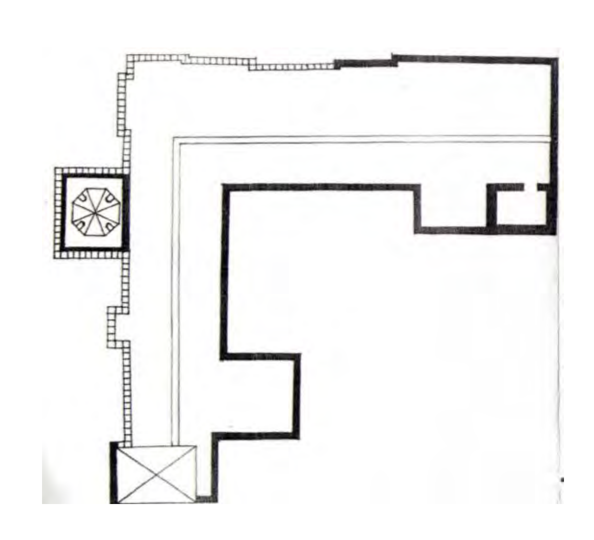


1ـ سقيفة .
2 ـ الصحن .
3 ـ غرف .
4 ـ إيوان .

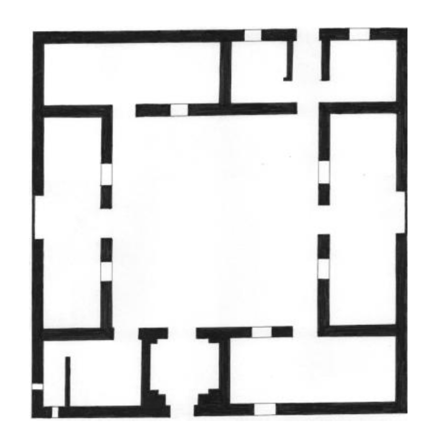
(شكل رقم: 24). مخطط الطابق الأرضي



(شكل رقم: 25). مخطط الطابق الأول .



(شكل رقم: 26). مخطط السطح .

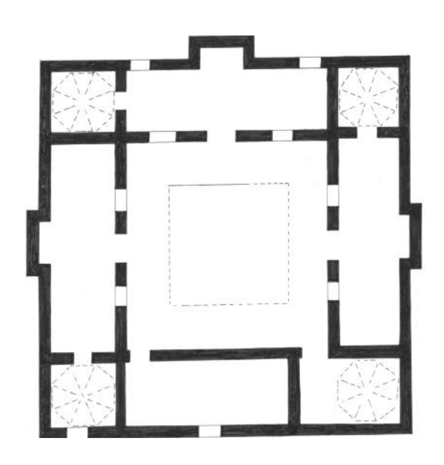


1ــ السقيفة .   4 ــ المطبخ .

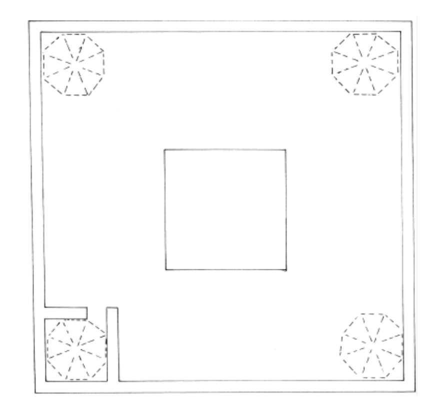
2 ــ الصحن .   5 ــ موضع السلم .

3 ــ الغرف .   6 ــ المرحاض .

(شكل رقم: 27.) مخطط الطابق الأرضي .



(شكل رقم: 28.) مخطط الطابق الأول.



(شكل رقم: 29.) مخطط السطح .

كل عناصر بناءها[1] ، يعجبني ماعلق به عبد القادر الريحاوي حيث قال : " فإننا حين نتأمل أيا من العمائر الأموية فإننا نحس أننا أمام فن عماري مختلف و أن ما نشاهده ليس من وضع الرومان أو الفرس أو البيزنطيين ، إذن نحن حتما أمام فن جديد يتجلى في أسلوب إستخدام العناصر المعمارية و الزخرفية المقتبسة و في طريقة التعبير عن المواضع . إنه الفن الجديد الذي أخذت تتكون شخصيته في هذا العهد الأموي ، لينتهي إلى الحضارة الإسلامية" [2] حيث أكد على خصوصية فن عمارة المساكن عند المسلمين و تميّزها و هو التصميم الذي تتابع إلى غاية العهد العثماني. و إن لم تسلم بعض قصور الأمويين من شك إنتسابها إلى المسلمين ، سلمت مساكن الفسطاط من هذا التوجه إلا أن الباحثين لم يتمكنوا من تحديد عدد طبقاتها [3] . و يشهد لها بإسلامية التكوين و الطابع و الجوهر و الروح و الذوق و البساطة و عدم الإسراف [4] و كانت " ... بفناء أوسط تنوع فيها بين المربع و المستطيل و بين المسقف و المكشوف السماوي ... خصصت الطوابق العليا لنوم الحريم بينما الأرضية و غيرها معدة للمعيشة و قد زودت هذه الدور بدورات للمياه واحتوى بعضها على نافورات "[5] و يمكن القول أن نمط البناء هذا استمر ليتجسد في عمارة داري عزيزة و عابد ، اللتان يجمع تخطيطهما بين الصحن المركزي و الغرف و المرافق التي يقوم عليهما المسكن الإسلامي ، كما أعطى بعض الباحثين صورة للمسكن الإسلامي شاملة هي الأخرى و التي احتوى نمطها حسب ما ورد " على مدخل تليه سقيفة محاطة بالمربعات الخزفية ... تلعب دور الإستقبال وغالبا قاعة للإنتظار إلى حين تستعد النساء و ترتب الغرف..." و يواصل وصفه لحيوية المسكن بأهله " ... تسمع ضحكات خفيفة و وقع الأقدام على المربعات و كذلك صوت غليظ يعطي الأوامر و بعده يغلق الباب المتين ..." [6]. و إن هذا التصميم الآخذ نمطه من التصميم الأصيل بالجزائر جسّد تمسك الفرد المسلم بهذا النمط الذي تجاوب مع حياته و طريقة عيشه و بالتالي أثبت إمكانية إستمراريته نتيجة تعبيره الصادق عن ذاك التجاوب . و من بين ما يمكن الإستدلال به أيضا عن وجود نظام الطوابق في المساكن الأصيلة بالجزائر و احتوائها على صحن أوسط ، ما كشفه قولفان على مقربة من آشير

---

(1) ــ سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 310 .

(2) – فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 24 .

(3) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 39 .

(4) ــ فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . ص . 354 .

(5) – حسني محمد نويصر ، المرجع السابق . ص . 104.

(6) – A .BERQUE . l’Algerie terre d’art et d’histoire.ALGER .1937. p 240

حيث عثر على قصر مشيد بالحجر ، يحيطه سور مستطيل الشكل و به باب بارز يؤدي إلى صحن كبير يحيط به رواق و أربعة صحون صغيرة موزعة حول الصحن الكبير ، وغرف مختلفة الأشكال ، كالتالي في قصور بجاية و القلعة و التي بقي منها ثلاثة هي قصر المنار ، قصر البحر و قصر السلام و احتوى قصر المنار على صحن مربع على واجهاته الأربع رواق و قاعات مختلفة الشكل [1] إن هذا التصميم القائم على الصحن الذي تحيطه الأروقة من التصاميم المألوفة التي إنتقلت ـــ إن صح التعبير ـــ إلى قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني ، فأغلبها إن لم نقل كلها ، لا تحيد عن هذا التصميم و هو ما يؤكده الباحثون أمثال اندريه ريمون الذي خلص إلى أن الأروقة في البيت الجزائري تشغل جميع جهات الصحن [2] و يشير قولفن أن نفس الشيء يميز بقية المساكن المتواضعة [3].

إن ما شدّ انتباهي في المراجع التي تفحصتها أنها ركزت بالبحث و التحليل على المساكن ذات الطوابق أي القصور و لم يكن للمساكن التي يقتصر تصميمها على طابق أرضي فقط ، نصيب مما نالته القصور من الدراسة و التحليل ، رغم أنها اكتسحت المجال الأوسع من الخطط ، لكن أعود و أقول أن صمود القصور أكثر من صمود المساكن المتواضعة ، هذا ما أهّل الأولى أن تبقى شواهدا يمكن دراستها .

إن خير ما نخلص إليه عن تصميم أهم دور مدينة البليدة هو قيامها على تتابع غرفها و مرافقها من مدخل تليه سقيفة إلى قاعات حول الصحن أظهر روعة تصميم المسكن العثماني ، الذي يحمل ثراءا فنيا معماريا لا يفتقر إلى الأسس العلمية و نجاعة التصميم ، محققا بذلك إقامة وظيفية و جمالية منسجمة و معماريا و فنيا .

---

(1) – رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص .ص . 274.

(2) ـــ اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص. 86.

(3) – L .GOLVIN .op.cit .p 13.

يتفق تصميم واجهتي دارعزيزة و دار عابد مع ما هو معهود في واجهات مساكن مدينة الجزائر في العهد العثماني ، فهي بسيطة إلى درجة التقشف في تزيينها ، فليس فيها ما يلفت الإنتباه خاصة في الطابق الأرضي ، عدا مدخلها الرئيسي و نوافذ بسيطة في الطابق الأعلى و قليلة العدد تفتح فوق مستوى الرؤية [1] و بحواجز معدنية . و قد إستغنى المصمم عن زخرفة الواجهات و اعتمد عنصر الظلات بشكل واسع ، و التي لها أهميتها في أنها تقي المدخل من العوامل الطبيعية ، بحيث تبعد الأمطار عنه و "على العموم فإن مساكن العهد العثماني تبدو صماء ، بيضاء في مجملها [2]. و لا يمكن تحديد مكانة صاحب المسكن بالإعتماد على المظهر الخارجي للبناء و ذلك لوحدته و التشابه بين أبنية الأثرياء و متوسطي الحال إلى درجة أن تبدو الدور بمظهر واحد . و تقتصر الدور على واجهة رئيسية واحدة ، تظهر منها واجهة أو واجهتين على العموم لإلتصاق المساكن ببعضها البعض .

أعطى الباحثون الأثريون إهتماما كبيرا لمعالجة أوجه التشابه و الإختلاف الحاصل بين الواجهة الرئيسية للمساكن في كل من الجزائر و تونس في الفترة العثمانية ، حيث نجد الإختلاف بينهما رغم خضوعهما لنفس الخصائص الفنية المعمارية العثمانية ، يتمثل الإختلاف في درجة تنميق و تزيين الواجهات ، ففي قصور مدينة الجزائر تحديدا البساطة واضحة في الواجهات و هي لا تضارع مثيلتها في تونس حيث الجاذبية أكثر نظرا لإستعمال أنواعا كثيرة من العناصر المعمارية المزركشة[3].

المدخل :

يعتبر المدخل من العناصر المعمارية التي تتصدر الواجهة الرئيسية للمباني و له مواضعا تختلف بين الركــن و منتصف الواجهة * و ينجز المدخل الرئيسي متين من الخشب ، يحده إطار من

---

[1] ــ عبد القادر الريحاوي ، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية ، المعماري و الفني .الجزء الثاني ، ص . 626.

[2] ــ محمد الطيب عقاب ، المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر ، المؤتمر 29 محرم− 3صفر 1403هــ ، 15− 18 نوفمبر – تشرين الثاني ، 1982 ، ص. 35 .

[3] − نفسه ، ص. 54 . بتصرف .

* عن أمثلتها انظر رفعت موسى ، الوكالا ت ، حيث قام بدراسة لموضع المداخل في عدد من المنازل .

الرخام عموما[1] و يصمم في أعلى دفته فتحات مشبكة تظهر أهميتها في رؤية من في الخارج قبل أن يفتح له [2] بحيث تساعد في التعرف على الوافدين على الدار ، كما زين المدخل بدبابيز توحي بنوع من الثقل الدال على متانته و هي الصورة التي نجدها في مداخل مساكن مدينة الجزائر في العهد العثماني .

إتبع المعماري في العهد العثماني الأسلوب الشائع في إنشاء المداخل التي لا تنفتح مباشرة على وسط المسكن ــ الصحن ــ وفق التقليد الذي ساد في المساكن الإسلامية خاصة تلك التي كانت بالفسطاط و التي كانت من النوع المنكسر*. و كان الغرض من إنشاء المداخل المنكسرة هو حجب أنظار المارين من أن تقع مباشرة على داخل المسكن .

السقيفة :

تؤدي السقيفة في دار عزيزة و دار عابد نفس الدور و الغرض منها و هي تمثل المرحلة ما بين خارج المسكن و داخله و تحقق تدرجا و تمهيدا في الدخول . كادت أن تكون العنصر الذي لا يمكن للمعماري أن يستغني عنه في بناء الدور و تتخذ مكانا بارزا في المسكن الجزائري بحيث تتقدم المبنى في الطابق الأرضي بعد المدخل الرئيسي مباشرة فتقوم مقام غرفة الإستقبال و الإنتظار ريثما يأتي أهل الدار بالترحيب و يلج معهم الضيوف إلى الداخل ، فيتم فيها إذا تعيين الأفراد المسموح لهم بالدخول إلى المسكن و كأنها المصفاة ، كما يسميها بعض الباحثين [3]. و إن احتوائها على مقاعد جانبية انتشر كثيرا في قصور مدينة الجزائر في العهد العثماني و نجدها في السقيفة الأولى خاصة التي خصصت للحراس إذا كان قصــرا تابعا لأحد الحكام من الدايات[4] .

---

(1) A, BERQUE , OP.CIT , p , 240 . -

* و هوالأسلوب الذي إستمر في مساكن القاهرة في العهد العثماني ، رفعت موسى ، الوكالات ص .ص. 104 216 218

(2)– A, BERQUE , OP.CIT , p .24

(3)– محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص . 7.

(4) ــ نفسه ، ص . 6.

كدار مصطفى باشا الذي تحتوي سقيفتاه الأولى و الثانية على مقاعد مزدوجة ، بينها أعمدة حلزونية تحمل عقودا من نوع مقبض القفة و على نفس نمطها سقائف كل من دار خديــوج العمياء [1] و دار حسان باشا[2] إضافة إلى الدار الحمراء [3] . و نشير إلى أن ظاهرة تعدد السقائف لا تخص دور مدينة البليدة بإعتبار أن التي أنشأت بها لم تضاه تلك التي في مدينة الجزائر مقر الحكام .

إضافة إلى ما للسقيفة من دور في حجب أنظار الفضوليين من المارة من التطلع على قلب الدار فهي تساعد النساء في تسترهن و الإنتظار فيها إعطاء فرصة لأهل الدار ليتجنبوا الإلتقاء المباشر بالغرباء . أما في دار عابد نشير إلى أن مدخل السقيفة ينفتح على الصحن في محور واحد مع المدخل الرئيسي أي أنه يقابله تماما مما تسقط معه معادلة إنعكاس النظر على جدار من جدران السقيفة .

إن إحتواء المساكن على سقيفة ظاهرة سبقت و أن ميزت القصور الإسلامية الأولى فقد إشتمل قصر الأخيضر على السقيفة ــ الردهة ــ التي تلي المدخل و كذلك الشأن بالنسبة لقصر المشتى [4] كما إحتوت عليها بعض الدور الزيانية و وضعت بطريقة يمكن رؤية الزائر دون أن يتمكن هو من التطلع إلى الداخل ألحقت بمرافق أولية كدورة المياه ، و هي تؤدي إلى الفناء الداخلي للدار عبر باب آخر داخلي "[5] و هي ليست خاصة بالعالم الإسلامي فقط [6].

---

(1) – L .GOLVIN .op.cit. P.p 47.48.

(2) – IBID .p 59

(3) – IBID.p 63.

(4) – كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص. 75.

(5) – عبد الرحيم سالم ، المرجع السابق ، ص .848 .

(6) – Sakina MISSOUME,. Alger a l'epoque ottomane , la medina et la maison traditionelle , i n a s , alger , 2003., p. 214.

الصحن:

يعرف صحن الدار على أنه وسطها و مركزها و يطلق عليه أحيانا باحة أو ساحة ، للدلالة على المساحة غير المسقوفة [1] و الصحن هو " ساحة الدار ووسطها و مستواها و سعتها " [2] و لم يقتصر تصميمه على الدور السكنية فقط و إنما اتخـــذ " كنواة للخان و الفندق و القيسارية و الوكالـــة و الربع و المارستان و القصر و الدار"[3] أما فيما يخص الدور فقد تنوع شكله بين المربع و المستطيل حيث نجد الأول في كل من قصر عزيزة و قصر الدار الحمراء [4] كما تنوعت مقاساته من مسكن إلى آخر تبعا لحجم تلك المساكن و هي لا تتعدى كثيرا الثمانية أمتار في قصور مدينة الجزائر[5].

يختلف تصميم الصحن بين دار عزيزة و دار عابد ، فالأول لا يسمح بتسقيفه و ترك مكشوفا ليسمح بنفاذ الهواء إلى وسط الدار ، كما يفسح حيزا واسعا للتطلع إلى ما يحيط بالدار و هو الغرض الذي أنشأت من أجله أما في دار عابد فالصحن مربع مسقوف . و إن هذا النوع من التسقيف مناسب لمدينة البليدة المعروفة بالحر صيفا و البرودة الشديدة شتاءا ، مما يحافظ على دفئها شتاءا ورطوبتها صيفا .

قام الصحن على إعتبارات متعددة فهو الوسط المناسب لمعظم الأعمال المنزلية اليومية الفردية منها والجماعية ، كما أن العائلة من خلاله تشعر أن حرمتها مصانة و راحتها و طمأنينتها مؤمنتان إضافة إلى شعورها باستقلاليتها ، فللصحن دور هام في شد أواصر الوحدة و الألفة بين أفراد الأسرة

---

(1) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 167.

(2) ــ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص . ص .29 . 74 .

(3) – جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص. 327 .

* حسب اندريه ريمون ، فإن الثاني انتشر بشكل خاص في قصور تونس .

(4) ــ عقاب محمد الطيب عقاب ، ، قصور ... ، مرجع سابق ، ص .61 .

(5) ــ نفسه ، ص .61 .

من خلال إجتماعهم و تلاقيهم فيه [1] ، فهو إذا المجال المركزي للأسرة المسلمة و ليس فضــاءا مكشوفا و كفى و إنما يجمع بين أهميته في الراحة و الإضاءة الداخلية ، و كذا " تصريف الرطوبة نتيجة الممر الهوائي السائد بينه و بين مدخل المسكن ...و بذلك يعتبر خزانا للهواء البارد الذي يتسرب إلى ساعات متأخرة من النهار ذلك أن الجو البارد أثقل من الجو الحار " [2] كما يسهل " القيام بأعمال الماء وجلبه كما يزود الماجل بمياه الأمطار بواسطة مصفاة مزدانة بثقوب "[3].

إحتوت المساكن على صحن منذ العصور القديمة و لم يقتصر وجوده على مدن المغرب العربي و إنما انتشر في كثير من مدن العالم الإسلامي" [4] و أصبح عنصرا تقليديا في المغرب الإسلامي ، موروثا عن المسكن الروماني [5] و عرف الصحن عند البابليين و الساسانيين ، وليس كما يرى البعض أنه فكرة إغريقية رومانية و جد فيه المسلمون ما يلائم الوضعية الإجتماعية لهم [6] فنجده في قصور الأمويين مثل قصر المشتى و كان مركزيا واسعا به مدخل كبير [7] و في قصر المفجر أيضا شغل مركزه و كان مكشوفا تحيط به بوائك [8] .كما أننا نجده في المساكن المغربية يشغل وسطها و هي تحتفظ بالصحن وفاءا للعمارة القديمة [9] . و الصحن من العناصر الضرورية في تصميم المساكن ، حتى كادت تتفق عليه جملة القصور عند المسلمين .

---

(1) ــ جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص328

(2) – محمد الطيب عقاب ، المدخل... ، المرجع السابق ، ص 8 ، بتصرف .

(3) – نفسه ، ص.8 .

(4) – اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص .89 .

(5) – G eorges MARÇAIS, Algerie ... PO .CIT .P. 121.

(6) – محمد الطيب عقاب ، المدخل... ، المرجع السابق ، ص. 8.

(7) – . 53henri l'architecture

(8) – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص. ص 10.18 .

-9 Jaques REVAULTS , palais et demeures , de tunis ,18 -19 , c n r a , paris , 1983 , p.45 .

و يتدخل العامل الديني في تمسك المعماري به ، إلا أنه ليس التوجه الوحيد و هو الذي يعبر عنه اندريه ريمون في قوله : " و ما من شك أنه جـــاء مناسبا لحاجة الأسرة المسلمة إلى الخلوة النسبيـــة و لكننا سنكون قد تمادينا كثيرا إذا اعتمدنا التفسير الديني دون غيره في تحديد شكل البيت العربي التقليدي" .[1] و هو ــ اندريه ريمون ــ لا يساند فكرة تأثير التوجه الديني في صياغة المسكن الإسلامي و يشدد في ذلك بذكر أن هذا النوع من الآراء من" المقولات الجامدة ، تبني الأفكار الشائعة نتيجة قصور معلوماتنا وعدم إلمامنا بالمصادر" [2] و إذا أعطينا تفسيرا آخر نجد أن عواملا أخرى ، تجتمع و تشترك في توجيه هذا التصميم وتشكيله. منها تعلق الفرد المسلم بالطبيعة و حبه للإنفتاح على الفضاء الخارجي و هو الفضاء الذي يصل أفراد الأسرة بالجو الطبيعي ، خاصة إذا كان الصحن مكشوفا و هو ما يراه أيضا حسن فتحي ، الذي يرى ان تمسك المسلم بالبيت ذي الصحن السماوي هو نتيجة حرصه على دوام الإتصال بالسماء أي " إدخال فكرة الرمز الكوني بالشكل المعماري "[3].

تتعدد التحاليل المتعلقة بعنصر الصحن حيث يظيف ايلي لولمبيز ، في إشارة مهمة إلى " ان المناخ اللطيف في حوض المتوسط و الحرارة المعتدلة يسمحان إقليميا بإعطاء حيز الفسحات المكشوفة أهمية قصوى في هندستها و عدم الإستغناء عنها " [4] ، كما يعتبره رفعت موسى " ضابط الإيقاع بالنسبة للمنزل و كذلك الرئة الخاصة بأهل المنزل... وعادة ماتزرع هذه الأفنية بالزرع الأخضر لتضفي على أهل المنزل سعادة و بهجة و يتوسطه فسقية تجري إليها الماء لتزيد المنظر جمالا على جماله "[5] أما سكينة ميسوم ، فتراه عاملا مهما في " الإقلال من نسبة الغبار المتصاعد من الطرقات المحيطة بالمبنى و هو المجال المناسب للعب الأطفال و إقامة الحفلات التي تعتبر الوقت الإستثنائي لقبول الرجال الأجانب عن العائلة [6]. و يعرض اندريــه ريمون ، فكــرة أخــرى لإنطون عبد النور

---

[1] – . اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص84 . .

[2] ــ نفسه ، ص .69 .

[3] ــ حسن فتحي ، المرجع السابق ، ص . 16.

[4] ــ ايلي لومبيز ، المرجع السابق ، ص 29.

[5] ــ رفعت موسى محمد ، المرجع السابق ،ص 222 . 223 .

[6] ــ sakina MISSOUME.op.cit .p.215.

و التي ترمي إلى ان " انغلاق البيت على نفسه وانفتاحه نحو الداخل بتلقائية في تسخير فضاء مفتوح ... ليس بالضرورة تعويضا للوسط أو العالم الخارجي وانما تغلب فكرة الحرمة و احترام أفراد الأسرة في جو مفتوح، فالبيت مغلق عن العالم الخارجي لكنه مفتوح على باحة داخلية و من الباحة يطل على السماء و على هذا الأساس لا تكون الباحة صلة الوصل مع بقية الناس بل مع الكون " [1] و على حد تعبير محمد الطيب عقاب فقد " نقل السكان العالم الخارجي إلى البيت من خلال استحداث فكرة الصحن المكشوف "[2] و يعتبر آخرون أن " المدينة الإسلامية وجدت في منازلها البديل عن الشوارع الواسعة و الميادين و الساحات الخضراء و الفساقي العامة التي تزينها "[3].

مما سبق ، نلاحظ تميز الصحن بميزات مهمة ، تنعكس أهميته على كل غرف و مرافق المبنى و أكثر من هذا فهو يعتبر عنصرا هاما في تحديد نمط المسكن ، فنال بذلك حصة الأسد من الدراسة و ما تعلق به المفاهيم و هي جملة من التصورات تكمل بعضها البعض و لا تحمل تضاربا يخل بقيمة الصحن . و ما زاد من جمال الصحن في الدور الإسلامية إحتوائه على النافورة التي تتوسطه حتى لا تكاد دارا إسلامية تخلو منها * و كان إستعمالها لغرض تلطيف درجة حرارة الجو في الصيف خاصة[4]. و لم تخل منها قصور العثمانيين بالجزائر أيضا ، فهي تتوسط صحن كل من دار عزيزة[5]محتفظة بشكلها و دورها .

---

[1] ــ اندريه ري مون ، المرجع السابق ، ص 07 .

[2] ــ محمد الطيب عقاب ، لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر ، د م ج ، الجزائر ،1990، ص. 163

[3] ــ عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، 350.

* منذ انشاء مساكن الفسطاط و بقيت تشغل مركز الصحن إلى غاية العهد العثماني .

[4] ــ حسني نويصر ، المرجع السابق ، ص 104 .

[5] ــ L .GOLVIN .op.cit .p 50.

الأروقة :

إن الأروقة عنصر معماري يجمع بين الدور الوظيفي في البناء و الدور الجمالي الزخرفي و يكاد لا يخلو صحن منها ، و ترى على جوانب الصحن بمستوياتها الأرضية و الفوقية ، بعقودها المتجاوزة المنكسرة ، تحملها أعمدة حلزونية كالتي بدار مصطفى باشا [1] و حسان باشا [2] و دار عزيزة [3] . و ما يميز دار عزيزة ــ البليدة ــ عن دار عابد أنها في الأولى تشغل جانبين فقط من الصحن و هو الإستثناء الذي لم نجده له مثلا ، بينما في دار عابد فإن الأروقة تشغل الجوانب الأربع للصحن. كما تختلف الأعمدة بين الطابقين الا رضي و السفلي ، فهي في الطابق الأرضي في دار عزيزة مسننة بينما في دار عابد فهي حلزونية ، أما في الطابق العلوي فهي موحدة أي مركبة ، لضرورة معمارية ، بحيث تساهم في تماسك الدرابزين الخشبي . و إن توزيعها المنسجم حول الصحن و تناسق الأعمدة فيها ، هام جدا من الناحية المعمارية ، لتوحيد المسافات بين الأعمدة حيث يكمن دورها في إعطاء توازن للمبنى و يحفظه من التصدعات و الشروخ إلى جانب الأهمية الجمالية للأروقة [4].

يكاد دور الأروقة يحاكي دور الصحن فضلا عن هذا فهي تقوم بدور المعدل لحرارة الغرف سواء في فصل الصيف أو في فصل الشتاء بتكسير التيارات الهوائية و كسر شدة الضوء على الأبواب و النوافذ و هو الدور الإضافي الذي تلعبه الا روقة بعد دورها الأساسي المتمثل في تلائم تصميمها مع مبنى ذي طوابق بحيث يكون الرواق الأسفل دعما هاما لرواق الطابق الأعلى ذي الدرابزين الخشبي الذي ترتكز فيه الأعمدة على أعمدة الطابق الأرضي مباشرة .

---

(1)– L .GOLVIN .op.cit .p 50.

(2)– IBID .p 65.

(3)– IBID .p 35.

(4)– محمد الطيب عقاب ، قصور ... ، المرجع السابق ، ص . 61.

الغرف :

تعرف الغرفة على أنها " أهم جزء في المنزل... لها مكوناتها الأساسية و عناصرها المتكاملة..." [1] . و يدفع الحديث عن الغرف إلى التطرق إلى أشكالها و أدوارها و بالتالي أنواعها . و ارتبط نوع الغرف بالدور المنوط بها و حدد ذلك كل من مارسيه [2](marçai)و ريفولت(revault) فجعلا منها المخصصة للأكل و للنوم أو للاستقبال و من ميزاتها أنها تحيط بالصحن[3] و تنفتح عليه بمداخلها و يتنوع شكلها بين المربع و المستطيل و حسب النموذجين المدروسين فاننا لاحظنا أن الغرف المربعة تشغل أركان المبنى خاصة ، بينما الغرف التي على شكل مستطيل فهي تخضع لعناية كبيرة ، ليس فقط من حيث شكلها المتطاول و إنما أيضا إلى تحليتها بعناصر معمارية و زخرفية توهبها قيمة خاصة . فقد ألحقت بإيوان منجز في الجدار المقابل لمدخل الغرفة و هي المخصصة لإستقبال الضيوف كما هي عادة بقية القصور العثمانية أي يستقبل فيها صاحب المسكن أقاربه و أصدقاءه[4] .

و تبقى فكرة إنشاء الإيوان مأخوذة من مخططات لمساكن أخرى يوجد بها الإيوان أكثر عمقا لتأخذ الغرف شكل الحرف اللاتيني ــ T ــ مقلوبا ــ الذي يعتبر الفضاء المركزي الأوسط للغرفة يحليه عقد نصف دائري عموما و يخضع عمقه إلى الحيز المعماري المتاح للبناء [5]. نجد الإيوان الأكثر عمقا في دار عزيزة ــ البليدة ــ في غرفة في الطابق الأرضي ، تسقفه قبة ثمانية الأضلاع .أما في دار عابد فتتعدد الغرف التي تحتوي على الا يوان ــ سبق وصفها . كما أن إنشاء الإيوان فكرة مستوحاة من عنصر المحراب مما يعطي الجلوس عنده تكريما خاصا و إذا علمنا أن مثل هذه الغرف إستعمل أيضا في مساكن تونس في الفترة العثمانية ، و عليــه يمكننا القول أنه مميز لمساكــن هذه الفترة و هو يجمع فـــي خصائصه تركيز

---

(1) ــ رفعت موسى ، المرجع السابق ، ص . ص .231 . 234.

(2) ــ sakina MISSOUMEP OP.CIT . p 219 . عن: MARÇAIS .

(3) ــ Jaques REVAULTS ,op .cit ,p.52.

(4) ــ L .GOLVIN .op.cit .p 79.

(5) ــ . sakina MISSOUMEP OP.CIT ..P.P. .219 .220 عن: MARÇAIS

الزخرفة فيه على العقد الذي يعلوه ، القائم على العمودين الجانبيين الرخاميين و حسب اندريه ريمون أن هذه الغرفة هي الرئيسية و مخصصة للاستقبال و تظهر فيها عدة أقسام [1] أو بالأحرى تخضع للتنظيم الثلاثي للغرف ؛ فالقسم الأوسط هو مكان جلوس و استقبال الضيوف إضافة إلى تخصيصه للأكل [2] و القسمين المتطرفين بهما المخادع مثل ما احتوت عليه دار عزيزة بمدينة الجزائر [3] و إذا إعتمدنا في تحليل نظام الغرف على النظام الثلاثي فإننا نجد له مثالا في قصر الزيري بآشير ، بداية القرن العاشر للميلاد ، كما يؤكد بلانشي أن الغرف التي تأخذ شكل حرف ــ T ــ هي التي تخصص بالزخرفة دون بقية الغرف و ذلك بالعقد الذي يعين جزئين من المخادع. و هذا النوع من الغرف إمتازت به الغرفة الشرقية أو ما تعرف بغرفة الإستقبال في الطابق الأعلى لدار عزيزة[4] و في الطابق الثاني لدار مصطفى باشا [5] و في الطابق الثالث لدار خداوج العمياء [6] .كما يرى مارسيه أن إلحاق الغرف بالإيوان خضع لتأثير فارسي[7] .

إحتوت القصور الإسلامية الأولى كقصر سامراء أو ما يعرف بالجوسق الخاقاني* غرفا طويلة ــ مستطيلة ــ [8] و أقرب منها زمنا احتوى قصر البحر هو الآخر على غرف من النوع المستطيل [9] و في الدراسة التي تمت على نماذج من مساكن مرينية و زيانية كشفت عن الشكل المستطيل للغرف و التي تحتوي ثلاث أقسام أوسطها أكثر اتساعا من الجزئينن المتطرفينن ، جزء مخصص للنوم و لوضع أثاث البيت و الجزء الآخر الأغطية و الأفرشة و بالتالي فهي تخضع لنفس النمط الموحد لتخطيط المسكن المغربي[10] .

---

(1) ــ أندريه ري مون ، المرجع السابق ، ص . 86 .

(2) ــ محمد الطيب عقاب ، المدخل ... ، المرجع السابق ، ص . 9.

(3) ــ .sakina MISSOUMEP OP.CIT . p.218 عن : بلانشي

(4) – L .GOLVIN .op.cit .p 37.

(5) – IBID .p 70

(6) ــ IBID .p 51.

* و الذي ينسب بنائه إلى المعتصم ــ 221 هــ 838 م .

(7) – sakina MISSOUMEP OP.CIT .p 219. عن : GOLVIN

(8) ــ سعد زغلزل عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص .340.

(9). ــ رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص .274. عن : الإستبصار.

(10) ــ عبد الرحيم سالم ، ، المرجع السابق ، ص .850.

تمتاز مداخل الغرف بدفتين كبيرتين مستطيلتين تنفتحان نحو الخارج أي بإتجاه الأروقة ، على نفس نمط مداخل غرف الدور بمدينة الجزائر في العهد العثماني [1] .

إن للنوافذ أهمية في تهوية الغرف كما لها " تأثير في النفس و الأعصاب و الصحة و سلامة النظر "[2] و هي كلها مربعة في الدور العثمانية ، مسيجة بمربعات من البرونز ، حولها المربعات الخزفية ، على نفس نمط داري عزيزة[3] و مصطفى باشا [4] . مما يدل على وحدة النمط العثماني .

و قد إحترم المسلمون منذ العصر الإسلامي الأول ، توجيه الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في إنشاء النوافذ في المساكن ذات الطوابق ، حيث إشترط لها الصغر و الإرتفاع بـــ 2 م و هو ما طبّق في مساكن مصر و " كان على الوالي إحترامها و الزام الناس بإحترامها "[5].

3 ـــ المرافق :

المطبخ :

إن المطبخ من جملة المرافق الهامة في الدور العثمانية ترتبط خدماته و لوازم تسييره بالماء ، فوجوده في الطابق الأرضي يسهل عملية جلب الماء إليه من جهة و صرفه من جهة أخرى، إلا أن قولفن يرى أن الموضع الأنسب للمطبخ ليس الطابق الأرضي[6] و هو الأمر المنتشر في المساكن ذات الطوابق في العهد العثماني إذ عادة ما يخصص سلم للخدمة يمرون من خلاله إلى المطبخ مثل ماهو في قصر مصطفى باشا مثلا[7].

---

[1] ـــ دار عزيزة و دار مصطفى باشا و دار خداوج العميان .

[2] ـــ ايلي لومبيز ، المرجع السابق ، ص. 30 .

[3] ـــ L .GOLVIN .op.cit .p 38.

[4] ـــ IBID .p 47.

[5] فريد شافعي ، المرجع السابق ،ص . 254 .

[6] – L .GOLVIN .op.cit .p 130.

[7] ـــ محمد الطيب عقاب ، قصور... ، المرجع السابق ، ص 91 .

خلص الدكتور عبد العزيز محمود لعرج في دراسته لنماذج من مساكن العصرين المريني و الزياني إلى أن هناك إختلافا في موضع المطبخ ، من مسكن إلى آخر فهو يتخذ في " أحد زواياه بالقرب من المخزن و قاعة الجلوس و المرحاض ...و ينفتح على رواق الفناء و في أحد جوانبه غير المتجهة إلى باب الدخول المتصل بالفناء... يشغله الموقد أو الكانون بمدخنته المتجهة إلى الخارج و في الجهة المقابلة صندوق كبير لوضع الفحم و مواد الإشعال و الوقود بينما يشغل الجهة المقابلة للباب حوض للماء أو مغسل"[1].

صعب تحديد موضع المطبخ في دار عزيزة ــ البليدة ــ رغم وجود المداخن ،كما هو الحال في الدار الحمراء ــ رغم و جود المدخنة ــ [2] أما بقية القصور فمواضع الطبخ محددة بمداخنها كما في دار عزيزة[3] بمدينة الجزائر.

أما في دار عابد فهو في الركن الجنوبي للدار في الطابق الأرضي و موضع الطبخ موجود في الركن الجنوبي للمطبخ تؤكده المدخنة التي تلاحظ من خارج المبنى ملتصقة بجداره منتصبة إلى الأعلى بفتحات لصرف الدخان الناتج عن عملية حرق الحطب أثناء الطبخ .

إن مداخل المطابخ تكون جانبية بمقارنتها بالمدخل الرئيسي " و هذا تجنبا للحركة الدائمة و ابتعادا عن إحراج الضيوف " و إن " الترتيب العمراني الذي أصبح جزءا عضويا في جميع العمارة الإسلامية أملته الظروف الإجتماعية الإسلامية بالدرجة الأولى و هي السماح بحرية الحركة لأهل الدار بعيدا عن أعين الزائرين "[4].

الحمام :

الحمام هو الآخر من المرافق الضرورية في المدن الإسلامية والمساكن بصفة خاصة و يوضع عادة في نفس الركن الذي يوجد فيه المطبخ و فوقه مما جعلهما مرتبطان معماريا و هذا الترتيب

---

(1) ــ عبد الرحيم سالم ، المرجع السابق ، ص . 851.

(2) ــ L .GOLVIN .op.cit .p 72.

(3) – L .GOLVIN .op.cit .p 37.

(4) ــ محمد الطيب عقاب ، المدخل ... ، المرجع السابق ، ص . 10 .

متناسق و منسجم و لا يمكن ترتيبهما عكس ذلك ، نظرا لتسقيف الحمام بقبة ، مما لا يسمح بإقامته تحت المطبخ كما ان تقاربهما في التخطيط يسهل إيصال الماء إليهما و تصريف الدخان عن كليهما لإشتراكهما في المدخنة أيضا . و قد خصصت للحمامات الخاصة دراسة خاصة في فصل الحمامات ـ التالي ـ .

السطح :

إن السطح الذي يعتبر المجال المفتوح أعلى الدار هو إبتكار المعمار المسلم [1] ، يحيط به سور خارجي لا يتعدى قامة الإنسان و سور ثان داخلي يطل من خلاله على وسط الدار و عادة مايكون السطح مكشوفا و نادرا ما يكون مغطى جزئيا . و اهتم العديد من الباحثين بدراسة السطح كملحق معماري و أولوه إهتماما خاصا لأهميته فهو معبّر عن فكر خاص لدى المعمار المسلم الذي أدرك من خلاله ضرورة وجود مجال خاص يكفل للنساء إنفرادهن أثناء قيامهن ببعض من أشغال الدار و بالتالي يحفظ لهن حرمتهن ، حيث تبرز في السطح حيوية نسوية خاصة ؛ فالنساء بطبعهن كثيرات الحديث أثناء القيام بالأعمال الجماعية . و قد احتوت كل مساكن العهد العثماني في مدينة الجزائر سطحا يصعد إليه بسلم[2] و ينتهي عنده و لا يختلف دوره كثيرا ما بين المساكن الكبيرة والمتواضعة ، ففي الأولى يعتبره قولفن طابقا حقيقيا [3] و يعتبره بيرك (berque) نوعا من أنواع أماكن الإستقبال في الهواء الطلق و خاصة للنساء[4] و لإنفتاحه على الهواء فهو يبعث على البهجة و انشراح النفس و تبدو أهميته في التلاقي في السهرات الليلية لاحتواءه على غرفة علوية للراحة و الإستقبال [5] و ينفتح هذا النوع من الغرف نحو البحر [6] و هذا ما لا نجده في كل من دار عزيزة و دار عابد . فالسطح يقتصر هنا على

---

(1) ـ محمد الطيب عقاب ، المدخل ... ، المرجع السابق ، ص . 10 .

(2) ـ L .GOLVIN .op.cit .p 79.

(3) – IBID .p 79.

(4) –. A. BERQUE.OP.CIT ..P .241.

(5) – L .GOLVIN .op.cit .p 79.

(6) – IBID .p 40.

المداخن و القباب و موضع انفتاح السلم . إلا أن ما تنفرد به دار عابد هو إحتوائها على غرفة لغسل الملابس . و يحصر الجدار الخارجي النظر إلى ما بداخل السطح دون إمكانية التطلع و الإنشغال بما يجري في الأسطح الأخرى .

إن السطح معبّر حقيقي عن التواصل الأسري و التخلص من الإنعزال نتيجة إنفتاحه على السطوح المجاورة مما يحقق التآلف ، يسمح بالنظر إلى المجال الأفقي للمدينة بالا شراف عليها من أعلاه و تجاوز دوره إلى امكانية ربط المدينة بالإتصال بين الأسطح و المرور من سطح إلى آخر و اعتبره هايدو "وسيلة إتصال المدينة " فهو بين العمارة و العمران شادّا لأواصر التآلف و ترابط الجوار.

السلم :

يعد السلم في المباني ذات الطوابق عنصرا معماريا هاما و أساسيا للإنتقال بين الطوابق و الربط بينها و هو إذ لم يحظ بالدراسة و الإهتمام الذي حضيت به بقية العناصر المعمارية فهو من العناصر التي لا يمكن للمعماري الإستغناء عنها ؛ أولاه المعماري إتقانا خاصا و صلابة بحيث وضع له موضعا خاصا فلازم الركن في الدارين و هو الموضع الأنسب لشكله و تصميمه كما في دار خديوج العمياء[1]و دار الحمراء [2]على سبيل الذكر لا الحصر. و يحتوي السلم على دورات بحسب حجم المسكن ، كل دورة تحتوي درجات صاعدة .

---

(1) _ L .GOLVIN .op.cit .p 59

(2) _ IBID.p 68.

ثانيا ــ مساكن الأحياء :

ليس من نافلة القول التحدث عن مساكن أحياء مدينة البليدة لأن أساس عمرانها أحياءا متقاربة و نظرا لوجود فوارق بين كل من تصميمي دار عزيزة و دار عابد و بين مساكن الأحياء ، إرتأيت أن أضع قسما خاصا لهذه المساكن كون أولى خصائصها أنها تشترك في خصائص مساكن الأحياء و التي تمتاز بأسلوب بناء خاص تتحكم فيه قواعد الجوار ، تجمعها عوامل إجتماعية و مادية حتمت توحيد أسلوب تخطيطها و تصميمها و من أشهر أحيائها حي الجون و حي الدويرات (صورة : 98).



(صورة : 98). شارع من شوارع حي الدويرات .

كان النسيج العمراني في هذه الأحياء كثيفا و متكون من مساكن صغيرة يتوسطها صحن و سقوفها بأسطح متسلسلة ، كما عرفت طرقا رئيسية و أخرى فرعية تنفتح عليها مداخل المساكن و دروبا أخرى مسدودة ، و هذه الممرات محل إنتفاع لسكان الحي الذين يشتركون فيها بإعتبارها حق عام وعرفت هذه الأحياء محلات الجزارين و محلات الحبوب و وجد بها سوقا للبرتقال و آخر للبطيخ و عرفت أيضا محلات الإسكافيين ، المقاهي ، النجارين و الخبازين إضافة إلى فندق[1] .

تمكن قولفن من إستخلاص أسس البناء في المساكن الشعبية لمدينة الجزائر و ذلك بالإعتماد على مخططاتها حيث بيّن مبادئ أساسية في البناء و حسب قوله منها بناءات من طابقين ، و هي عينات ذات نمط أصيل ، بصحن مركزي تتقدمه سقيفة[2] .

---

(1) – TRUMELET .OP.CIT. P.879 .

(2) – L .GOLVIN .op.cit .p. 76.

حي الجون :

إن حي الجون أول الأحياء التي أنشأت في وسط مدينة البليدة ، إتخذه الأتراك منطقة سكنية خاصة بهم حيث إنتشرت الحامية الإنكشارية فيه. و قاموا بتشييد حماما و فرنا و زاوية لتعليم القرآن حتى جعلوه مدينة مغلقة لا يدخلها الغرباء و ما زالت بالحي بيوتا تحتفظ بطابعها من العهد التركي و زخرفتها الفسيفسائية على بعض الجدران و الأرضية ،التي قاوت بفضل بنائها المتين الذي أدخل فيه الأتراك الحديد و التراب والصخور الكبيرة لمقاومة الزلازل التي كانت تضرب المدينة من حين إلى آخر .

حي الدويرات:

عكس حي الجون ، أنشئ حي الدويرات خارج مدينة البليدة ، في طرفها الجنوبي الشرقي و يعرف له قسمين ؛ الدويرات العليا و الدويرات السفلى و اللذان يعود تأسيسهما إلى أواخر الفترة العثمانية و ترجح لذلك سنة 1215هـ . 1800 م. و سمي هذا الحي بالدويرات* لصغر المساكن به و هي دور صغيرة متلاحمة ، تتخللها شوارع رئيسية تتفرع عنها ممرات ضيقة .

بالرجوع إلى الروايات الشفوية و في ظل انعدام المصادر الرسمية ، نلاحظ أن أولى خطوات إنشاء مساكن هذا الحي تتعرض إلى تحاليل مختلفة ، منها ؛ أن الإنشاء كان على يد الفئة الفقيرة من سكان المدينة و هم أولاد سلطان الذين يعتبرون السكان الأصليين في مدينة البليدة و قد كانوا في الشمال الغربي للمدينة و مع تعرضهم لضغوطات من القبائل المجاورة ، إنتقلوا إلى المنطقة الجنوبية الشرقية للمدينة و تجمعوا و تكتلوا و بنوا دورهم تلك و سجلوا بذلك إستقرارهم .

رأي آخر ، متداول كثيرا و هو مخالف تماما لسابقه ، حيث يقول أن الحي بني لأفراد الإنكشارية الذين كانوا بالمدينة إلا أنه رأي يستبعد فلا يمكن أن يتخذ الإنكشاريون مساكنا لهم خارج أسوار المدينة .

---

* جمع دويرة ، و هي تصغير لكلمة دار .

مع إختلاف الرأيين يمكن القول أن مساكن هذا الحي كانت للسكان جزائريي الأصل المحليين منهم وكذا الوافدين من مناطق أخرى من الوطن ومنه أن حقيقة انتماء هذا الحي للفترة العثمانية لا يكتنفه شك و منه فان أصالة مساكنه أمر مثبت كذلك .

يحمل هذا الحي سمات الأحياء الفقيرة و التي تقتصر عادة على المساكن دون المحلات التجارية . يضم تكتل سكاني متماثل من حيث اللغة و الدين . فقد ذكر اندريه ريمون أن :" لا غرابة في أن نجد في جميع المدن العربية الرئيسية حارات يغلب عليها التكتل الديني أو الطائفي أو القومي ، مثل .... حارة الأندلسيين في الجزائر و تونس بيد أن الدوافع إلى مثل هذه التكتلات واضحة جلية في رغبة الفئات الدينية و القومية في شد أواصرها و تسيير أداء واجباتها الدينية و الثقافية ثم الحرص على تأمين سلامة أفرادها و الحفاظ على اللغة و الدين و التقاليد الإجتماعية الخاصة بكل فئة وأخيرا رغبة السلطة العثمانية الحاكمة في الإمساك بزمام الأمور وفقا لمبدأ فرق تسد ..."[1] و من قوله نستخلص الأبعاد التي تحتم توزيع التجمعات السكنية و تحديد تسميتها و بناء على ذلك يتجلى لنا أن العثمانيين " شجعوا تقسيم المدن الكبيرة و استمروا على هذا المنوال حتى آخر يوم من أيام حكمهم في البلاد العربية "[2] .

إن السؤال الذي يبقى مطروحا ، هل أملت السلطة العثمانية على السكان المحليين في حي الدويرات مخطط البناء و هيئة التصميم بإعتبار أنها تحاكي نمطا عهدناه عند العثمانيين كحي القصبة مثلا ، أم أن التصميم كان من إختيار السكان الذين بنوا هذه المساكن على ذلكم الشكل لإعتبارات عقائدية و إجتماعية عرفية من رصيد الأصالة المعمارية .

يؤكد بناء حي الدويرات ــ حتما ــ في ترابطه و تلاحمه و اصطفافه أن بناءه لم يكن عشوائيا . و أن نظامه عرف الإرتباط و التلازم بين الأسر إلا أننا لا ننفي حدوث نزاعات .

تتشابه أسس البناء في مساكن الأحياء ، فحي الدويرات يشبه كثيرا حي القصبة بمدينة الجزائر و ذلك لتقارب تشكيلتهما المعمارية التركية و مازالت به منازل يتوسطها فناء محاط بالأوتدة و كذلك السقيفة . تقطنها عائلات ذات أصول تركية[3] .

---

[1] اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص . ص . 71 . 72 .

[2] نفسه ، ص . 73.

[3] دليل المعالم التاريخية لمدينة البليدة .

فحي القصبة بمدينة الجزائر الذي يعتبر النموذج و المثال الواضح ، للأحياء العثمانية في الجزائر من حيث إحتفاظه على أسس بناء المساكن و الأسس التي نراها في حي الدويرات بمدينة البليدة ، فالمساكن بالحي الأخير متجاورة في تكتل عمراني و بشكل التضام و هي أهم ميزة تميز مساكن الأحياء العثمانية ، و تعبر عن تماسك أفراد الحي مع إنفراد كل أسرة بخصوصيتها دون إنعزال عن العامة مما يسمح للأسر بأن تتعاون و تتشارك في لقاءات تجمعهم مناسبات الأفراح و الأقراح .

و بمقارنة نظام هذا الحي بنظام حي القصبة بمدينة الجزائر نستطيع ملاحظة الأصالة في كليهما رغم و فود بعض المظاهر المعمارية الجديدة مع الأتراك الوافدين و لم تخضع خضوعا تاما لها و تأثرت في بعض مظاهرها فقط و رغم هذا التأثر بالمساكن العثمانية لم يقلل ذلك من شأنها كمساكن ذات أصالة إسلامية و ذلك لإعتبار أن كل من الأتراك و الجزائريين ينتمون إلى دين واحد و لهم نفس العادات التي تتوحد بها أساليب العيش بين الأوساط الإجتماعية لمختلف الأقطار الإسلامية. فالوجود العثماني الذي ترك بصمات مهمة على العمارة المدنية بالجزائر ، لم يكن ليغير طبيعة المسكن الأصيل بالجزائر ولا من تغيير جماليته المعمارية و الفنية .

أما في الفترة الإستعمارية فقد أنشأت مساكنا أخرى يرجع تاريخها إلى 1833 م تداخلت مع مساكن الحي ــ التي أنشأت في الفترة العثمانية ــ و أخذت عنها هيئة الإنشاء و التصميم و تقاربت معها في الجوار و منه قد يتعرض الباحث للتمويه و الخلط في تصنيف بعضا من تلك المعالم المعمارية و عليه يجب التثبت من المساكن العثمانية التأسيس و الطابع عن غيرها و ضروري إتباع الأسلوب العلمي الصحيح و المنهجي لتحديد نمط هذه المساكن و انتماءها التاريخي .

مساكن حي الدويرات :

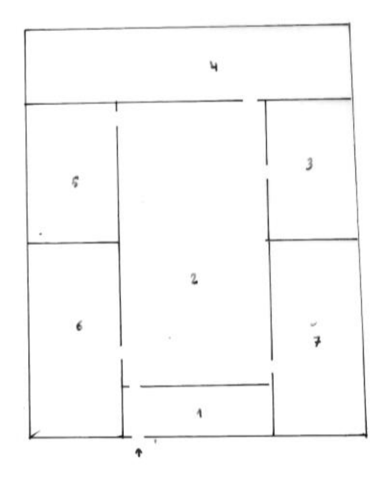
سأركز على نموذجين من مساكن حي الدويرات التي تبدو منها واجهاتها الرئيسية فقط أما الواجهات الأخرى فلا تظهر كون المساكن تشترك في الجدران الجانبية ، مشكلة سلسلة و المسكنيين المعنيين بالدراسة متقابلين على جانبي السلم الصاعد بإتجاه الجنوب ، أحدهما يمين السلم و الثاني على يساره ، من غير أن يتقابل مدخليهما و همالكقِحمغاك ه ؤا انحً تغِطح الإنشاء ،ذقرظُرف ٍهما

انحاج علىنطشوسي مه العِش و طُمش خه ٍا   أثر العامل المادي في صياغة البناء و تجهيزه بالعناصر المعمارية الضرورية و الجمالية أو في إنعدامها .

إن أهم ما يميز الواجهة الرئيسية للمسكن   (شكل : 30) يمين السلم المدخل الرئيسي المنخفض و من دفة واحدة و انعدام النوافذ الخارجية . تلي المدخل السقيفة التي تحوي في جانب منها الحمام و المرحاض ــ الكنيف ــ و هي خالية من المقاعد الجانبية . يليها الصحن المربع الشكل وأروقة جانبية و تنفتح عليه الغرف و المطبخ ، بمداخل غير متقابلة .و إن ما يميز الغرف في هذا المسكن شكلها الطولي . أما من حيث وظائفها ؛ ما هي للنوم و أخرى للأكل و تجتمع في بعضها أكثر من وظيفة ، كما أنها تطل بنوافذها على الصحن ، يسقفها سقفا خشبيا مستويا .

و لا يختلف المسكن الثاني يسار السلم (شكل : 31) في جوهر بناءه عن المسكن الأول ، يميز واجهته الرئيسية المدخل الرئيسي (صورة : 99) و الذي تليه السقيفة الضيقة التي تنعدم بها المقاعد الجانبية ، يليها الصحن الأوسط المستطيل الشكل (صورة : 100)، و من دون أروقة جانبية و تتوزع حوله الغرف و المرافق في جهات ثلاث فقط. و كالمسكن الأول فإن مداخل الغرف غير متقابلة .
و حاليا كل غرفة مخصصة لعائلة مستقلة في نسبها عن العائلة الأخرى ، إلا أنها تشترك في الصحن .

تحتوي كل غرفة من الغرف على نافذتين تطل على الصحن و شمسيات ــ قمريات ــ فأثناء غلق النوافذ ، تسمح الشمسيات بدخول نور جزئي ، مما ينير الغرفة من خلال نقوشها بشكل جذاب أما ليلا ، فتستغل للإضاءة القمرية و إن درجة حفظ هذا المسكن أقل من درجة حفظ المسكن الأول.

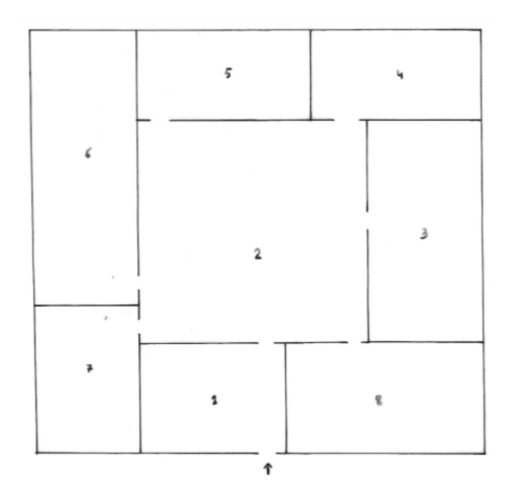


1 . السقيفة .

2 . الصحن .

7.6.5.4.3 . الغرف .

(شكل : 30) مخطط توضيحي للمسكن يمين السلم .



1 . السقيفة .

2 . الصحن .

7.6.5.4.3 . الغرف .

8. المطبخ .

(شكل : 31) مخطط توضيحي للمسكن يسار السلم .



(صورة : 99) . المدخل الرئيسي .



(صورة : 100) الصحن .

مميزات المساكن :

إعتمادا على الدراسات الميدانية التي أجريت على المساكن الإسلامية تبيّن مراعاة التصميم لتوجيهات الدين الإسلامي . فقد "... تشابهت المنازل الإسلامية في كثير من العناصر و الوحدات التخطيطية و الإنشائية باعتبارها و سائل لتحقيق هدف أساسي هو تحقيق الخصوصية و يمثل المسكن في المدينة الإسلامية أهم أوعية النشاط و الحياة الإجتماعية و لا سيما أن التعاليم الدينية الإسلامية و جهت إلى حجب النساء و تفرغهن للعمل " [1] و بما أن العلاقات في الوسط الإسلامي ، بنيت على مبادئ الإحترام المتبادل و تقدير كل فرد لخصوصية الآخر ، جسد المعماري المسلم مفاهيم الخصوصية و الحرمة بكل وعي مبديا مدى تجاوب المسكن مع تعاليم الدين الإسلامي ، حيث يعكس نمط بناء القصور و المساكن العامة ، حيوية ساكنيه الأصليين و يعبر عن ديمومة حركيتهم و طريقة عيشهم و طريقة إستغلالهم لكل جزء من أجزاء الدار و منه تظهر علاقة الإنسان بالبناء ــ التصميم ــ ففيه تنصبّ كل مناحي الحياة الفردية و الأسرية في العناصر التي تشترك فيها ، كالسقيفة و الصحن و التي تميز خاصة عمارتي القصور و مساكن العامة في العمارة الإسلامية بصفة عامة .

إنّ أمر الجوار من القضايا الأكثر حساسية في قواعد الفقه الإسلامي و قد ضبطت عدة أحاديث هذا الأمر منها " مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه " و إننا نجد حتى في الأمثال الشعبية مايعير أمر الجوار إهتماما في القول المشهور " الجار قبل الدار " و الذي منه تتجلى ثقافة الجوار ، فبقدر مراعاة كل أسرة لحرمة مسكنها هو مراعاة للحرمة الجماعية للحي .

و تعتبر ثقافة الجوار وفق منظور الفقه الإسلامي الموجه الرئيسي في إعطاء حصيلة من الإنشاءات و الإبتكارات التي تخدم العرف و العادات ، حيث أصبح العرف معيار أخلاقي إجتماعي في ضبط الروابط الأسرية و هو ما تحرص على تأكيد الآية الكريمة " و امر بالعرف ...".

تبقى القاعدة الشرعية " لا ضرر و لا ضرار " قانونا معمول به حتى في القانون المدني الحالى

---

[1] . عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، ص. 347.

للدولة الجزائرية [1] و هي " القاعدة الرئيسية التي نظمت الحياة المدنية على أساسها" [2] .

نستخلص و نقول أن المعماري المسلم جسد في عمارة المساكن قيما نرى مقاصدها من توجيه إسلامي المنهج ، حيث عكس إدراكه و قناعته بالقيم الإسلامية و في رؤيته المنطقية لتطابق تلك المفاهيم مع الحياة الفردية و الاجتماعية داخل المساكن في هيئة تمكّن من تحقيق راحة الفرد المسلم و كأن مسكنه رضي أين يكون كذلك .

---

[1] ـــ القانون المدني ـــ الديوان الوطني للأشغال التربوية 1991 .

[2] – عبد العزيز محمود لعرج ، العمران الإسلامي ... المرجع السابق ، ص. ص57. 61.

الفصل الرابع

الحمامات

أولا : الحمامات العامة .

ثانيا : الحمامات الخاصة .

أولا : الحمامات العامة :

تلفظ كلمة " حمام " بتشديد الميم و الجمع حمامات و قد دخلت هذه الكلمة القاموس الفرنسي بلفظ (Hammam) حتى تداول إستعمالها. [1] و وردت كلمة حميم في القرآن الكريم في الآية " و سقوا ماءا حميما " [2] . كما ورد عند إبن منظور عن إبن الأعرابي ، الحميم : " إن شئت كان ماءا حارا و إن شئت كان جمرا تتبخر فيه "[3] و قال الأزهري ، الحميم ، عند الأعرابي هو " من الأضداد ، يكون الماء البارد و يكون الماء الحار" كما أن حمى الماء يعني سخنه و الحميم هو الماء الحار. و إن المعنى الدقيق لكلمة حمام هو المسخن ، أما الإستحمام فهو الا غتسال بالماء الحميم و اتسعت دائرة اللفظ حتى استعمل للإستحمام في كل ماء [4] و حسب ما ورد أيضا لإبن منظور أن الإستحمام هو " الإغتسال بالماء الحار و هذا هو الأصل ثم صار كل إغتسال إستحماما ، بأي ماء كان ." و يقول : " إستحم الرجل بمعنى عرق " ــ بفتح حرف العين و كسر ما بعدها و فتح الحرف الأخير ــ و يمكن إعطاء تعريفا بسيطا للحمام و ذلك إعتمادا على الغرض الدافع إلى إنشائه ، فهو مكان الإستحمام الذي يرتبط إرتباطا وثيقا بالنظافة و التطهر. و إن من أجود الحمامات ما كان " شاهقا ، عذب الماء ، معتدل الحرارة ، معتدل البيوت و قديم البناء "[5].

تعتبر الحمامات من جملة المنشآت المعمارية المدنية الهامة في المدينة القديمة و المدينة الإسلامية على حد سواء و ما تزال محط إهتمام المعماريين . و يمدح العلامة ابن خلدون جو الحمامات ، في حديثه عنها قائلا : " نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا في هوائها و اتصلت حرارة الهواء في أرواحهم فتسخنت لذلك حدث لهم فرح و ربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشيء عن السرور"[6] فإبن خلدون إذن له فكرة واضحة عن تأثير الجو الداخلي للحمام في نفس المستحمين مما يحمس إنجذابهم إليه اضافة إلى مساهمته في التقارب الإجتماعي كونه مكان للإلتقاء و تبادل أطراف الحديث .

---

(1) - PAPADOPOULO , l'Iislam et l'art musulman ,edition citadettes et mazenod , 1976 , P 301

(2) – سورة محمد ، الآية 15.

(3) ــ إبن منظور ، المرجع السابق ، .ص. 234.

(4) – يفر، المرجع السابق ، ص. 84 .

(5) – وهبة الزحيلي ، المرجع السابق ، ص. 402.

(6) ــ إبن خلدون ، المرجع السابق ، ص. 108.

أنواع الحمامات :

يعرف نوعين من الحمامات ؛ الحمامات الطبيعية و الحمامات الإنشائية و هي تشترك و تختلف في بعض من الجوانب . فالحمامات الطبيعية تتوفر عموما على ماء ساخن ، ينبع من جوف الأرض ، و تتكفل الهيآت الرسمية بإستغلاله و إلحاقه بمرافق صحية و علاجية و مرافق أخرى للأكل و للشرب و فنادق ، كحمام بوغرارة و حمام شيقر ــ مغنية ــ في الغرب الجزائري و غيرهما كثير مما ينتفع به المرضى بالعلاج و التداوي و العامة بالتطهر.

أما الحمامات الإنشائية فتعرف بنوعيها ؛ العامة و الخاصة و يكمن الفرق بينهما في أن الحمامات العامة جزء من عمران المدينة مستقلة التصميم و الإنشاء و هي بمدخل ينفتح على شارع من شوارعها. أما الحمامات الخاصة فتلحق بالقصور و المساكن و ينفتح مدخله على داخل المبنى كما يكمن الإختلاف بينهما في حجمها ، فالذي يخصص لإستقبال عدد من الأفراد ليس كالذي يفرد . منه تحتّم أن يكون الحمام العام أوسع مساحة و أكبر حجما و تصميما من الحمام الخاص .

تبنى الحمامات في المدن الإسلامية ، عموما بالقرب من المساجد فقد ذكر إبن كثير أنه كان ببغداد ستين ألف حمام بإزاء كل حمام خمسة مساجد و هو عدد كبير جدا و يدل على أهمية الحمام كمنشأ مدني و كان منها ما أوقف على المباني الدينية [1].و ألحقت ببعض المجموعات المعمارية الدينية الضخمة حمامات خصصت لخدمة أهلها بالإضافة إلى خدمة العامة كحمام المؤيد بالقاهرة و من الطريف أنه كان يصرف للطلاب في بعض المنشآت الدينية التي لا تشمل على حمامات مخصصات شهرية للإستحمام في الحمامات العامة[2].

---

(1)– عثمان عبد الستار ، المرجع السابق . ص . 248.

(2)– نفسة ، ص . 247.

نظام بناء الحمامات و تطوره :

رغم قلة النماذج المدروسة لحمامات الجزائر في مختلف الحقب التاريخية و رغم أن المصادر و المراجع التي تتطرقت إليها شحيحة و قليلة جدا لدرجة يصعب فيها تتبع تاريخها و مراحل تطورها لسبب اندثار معظمها و ما تبق قليل يمكن الإعتماد عليه لمعرفة نظام تخطيطها و أقسامه و المتوفرة من ذلك دراسات ، لإدموند بوتي و بابادوبولو و فريد شافعي ، محمد الطيب عقاب و عربية موساوي و هي أبحاث أمدتنا بمعلومات هامة .

و من الأهمية التطرق إلى نماذج تاريخية لعمارة الحمام و التي لا يقصد منها إستعراض الكم من الإنشاءات ، و انما استخلاص صياغتها المعمارية و معرفة أهميتها الإجتماعية و تتبع ما حصل عليها من تطورات و أهم الفروقات في عمارتها سواء في المشرق أو المغرب الإسلاميين و اكتفينا بالإستدلال بأشهرها ، تلك التي تم الكشف عنها أو التي مازالت قائمة تقدم خدماتها و إن التطور الذي نقصده ، إنما هو الحاصل في مراحل كبرى لعينات قليلة أمكن أن نؤسس عليها مظاهر التطور و ملامحه بين حضارة و أخرى مغايرة لها ، بملاحظة التغيرات التي إن لم تكن جذرية ، مست حجم الحمامات فالحضارتين القديمة و الإسلامية مختلفتين في الفكر و الإعتقاد مما يحدد صياغة البناء و توجيهه .

في تأكيد للكاتب هنري سترلن – HENRI STEIRLEN – أن النظام المعروف للحمامات يرجع إلى العصور القديمة [1] و خلافا لما تداول من أن الحمام إبتكار روماني ، نجد أن أول حمام كان في سوريا في الألف الثاني قبـل الميلاد [2] و عرف تطورا في الفتـرة الرومانية و أخـذ مظهرا أكثر

(1) Henri STERLIN , OP.CIT , p. 231.

(2) - قبيلة فارس المالكي ، تاريخ العمارة عبر العصور ، دار المناهج ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى 2007 ، ص 192 .

جمالا و ذلك بإدخال مواد تزينية كالرخام النادر و المعادن الموشاة بالذهب و هو البعد الذي أعطاه الرومان لحماماتهم خاصة و أن أغلبها خصص للأباطرة مثل كراكلا و قلديانوس[1].

إن إضفاء البعد الجمالي على عمارة الحمام يعد مجالا من مجالا ت التطور الذي يقصده بعض الباحثين كما أن هناك مقياسا آخر لتحديد نوع التطور و هو الذي يخص التخطيط العام في بناء الحمامات حيث من المفروض أن يكون الحمام المتأخر متطورا عن المتقدم . و ما يمكنه إزالة هذا اللبس هو التعرف على الحمامات الإسلامية التي تأثرت بالحمامات التي سبقتها .

لم يبن المسلمون حمامات في عهد النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ ، فليس هناك من الأدلة المعمارية الأثرية ما تشير إلى بنائها في ذاك العهد و هو الأمر الذي ينطبق على عهد الخلفاء الراشدين من بعده[2]. و في الحديث النبوي الذي رواه عبد الله بن عمر بن العاص ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ قال : " انكم ستفتحون أرض العجم و انكم ستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ، فلا يدخلها الرجال إلا بمئزر و امنعوها النساء إلا نفساء أو مريضة " [3] ، تأكيد على أن المسلمين الأوائل بل عرب الجزيزة لم يعرفوا بناء الحمامات ، كما أن النبي الكريم أعطى توجيها صريحا في حالة دخول الحمام و الذي خص للضرورة مع إتخاذ المئزر للرجال و هي من الأبعاد العقائدية التي تحدد نظرة المسلمين إلى الحمامات و بالتالي تحديد كيفية إستغلالها . في قوله صلى الله عليه و سلم " من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر من ذكور أمتي ، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر... " [4] كما يروى أن ابن عباس و كذا خالد بن الوليد دخلا الحمام [5].

---

(1) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص .84.

(2) – جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص .167

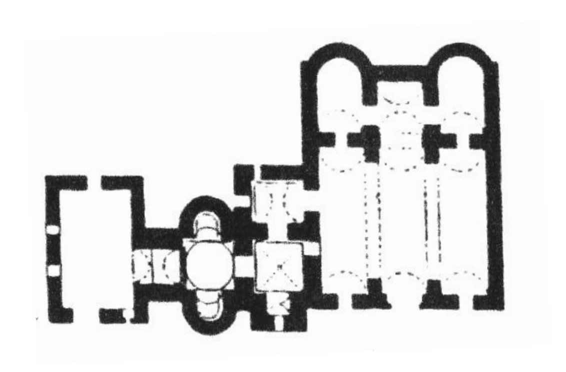
(3) – عبد الملك بن حبيب ، أدب النساء ، .ص 232. عن الفهارس .

(4) – وهبة الزحيلي ، المرجع السابق ، ص. 403.

(5) – نفسه ، ص .402.

و قد امتنع بعض المسلمين الأوائل عن الحمامات التي كانت تزين مداخلها التماثيل و جدرانها الرسومات و التي بقيت عدة قرون[1].

يبدأ الحديث عن إنشاء الحمامات الإسلامية من العهد الأموي ، عصر مولد الحمام الخاص ــ الملحق بالقصر ــ توازيا مع إنشاء الحمامات العامة ، هذه الأخيرة التي زالت و لم يعثر على آثار تدل على تخطيطها في العصر الأموي . عكس الحمامات الخاصة التي من أشهر أمثلتها حمام قصير عمرة (93هــ .712 م) (شكل : 32) النموذج المصغر للحمام العام البيزنطي[2] في وقت عاصر فيه المسلمون البيزنطيين .



(شكل : 32) مخطط حمام قصير عمرة ــ فريد شافعي ــ

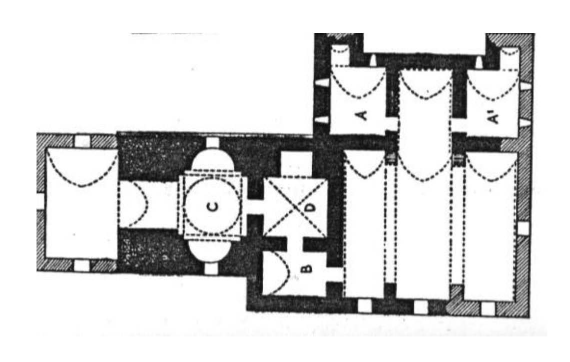
في هذا العصر جاء أيضا كل من حمامي قصر الصرخ (107هــ ــ 725 م) (شكل : 33) و قصر الحير الشرقي (109 هــ . 727 م) (شكل : 34)على نمط مصغر للحمام البيزنطي . إلا أن الوثبة المميزة هنا هو نجاح المسلمون في إلحاق الحمام بالمسكن الذي لم يعرفه سابقيهم ، فعد بذلك أهم إبتكار

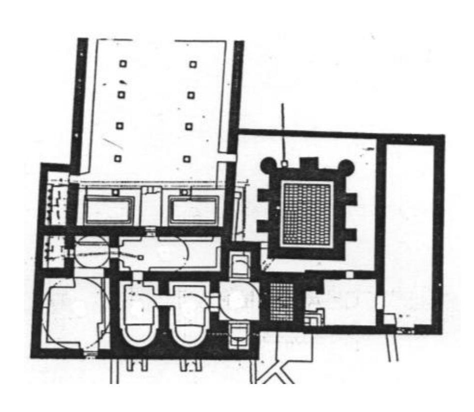
---

(1) ــ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، السياسي ، العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر و المغرب و الأندلس ، الجزء الرابع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عشر ،1991 ، ص .566.

(2) ــ جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص . 167.

لهم في مجال بناء الحمامات [1]. حيث نلاحظ في تصميم الحمام عند المسلمين حفاظه على التصميم القديم بموازاة مع إحداث تغييرا مس نسب الهيكل المعماري و حجمه .





(شكل : 33)ـ مخطط حمام الصرخ ـ كريزويل (شكل :34) مخطط حمام القصر الشرقي ـ كريزويل

رغم إعتبار الحمام الإسلامي موروث قديم ــ على نفس تخطيط الحمامات القديمة ــ إلا أننا من بداية العهد الأموي تتضح لنا صيغة جديدة لحمامات القصور بوحداتها الأساسية التي تمثلت في القاعة الباردة فالدافئة ثم الساخنة و أهم ما ميّزها و أؤكد على تميّزها عدم إلحاقها بمرافق أخرى و التي لم ير فيها المسلم ضرورة ، كأماكن الرياضة و قاعة الندوات و احاطة البناء بفضاء واسع و سور عظيم و التي نجدها في حمامات العصور القديمة [2]. وهي المرافق التي سمحت بالمكوث فيها لأطول وقت ممكن نتيجة حضور اللقاءات و الندوات و الإستجمام فالملل كان مرفوعا عنها و أن هذه الرفاهية التي عرفتها حمامات الرومان إنما لتخصيصها لقاصديها من أثرياء المجتمع الروماني و نخبهم و كذا الرياضيين فلا نستغرب إذا للعناية الفائقة التي أولاها المعماري في ذاك العهد لتلك الحمامات و اعطاءه إياها أهميتها.

منذ إدخال الحمام في القصور الأموية يصبح عضوا ملازما لبناء المساكن و القصور و ليس

---

[1] – جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص .164.

[2] – فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص .107.

* و يتطرق فريد شافعي إلى الفرق بين الحمام البيزنطي و كل من حمام قصير عمرة و حمام الصرح مقارنا بينهما موضحا الفرق الكبير بين التصميم الإسلامي و ما سبقه . شافعي ، العمارة .ص. 107. إلا أن وجه المقارنة هنا ليس فيه توازنا حيث يقارن بين حمام عام و آخر خاص .

قائما بذاته مما نتج عنه نموذج جديد للتخطيط ليس له شبيه فيما سبق[1] رغم قلة الماء و ندرته و سمي الحمام الخاص ، نظرا لإلحاقه بسكن خاص أو لأن حيزه يسمح بإستحمام شخص واحد كما أن أدوات الإستحمام تكون مفردة و بالتالي خاصة بفرد واحد و بالتالي خلص إلى حمام ذي تصميم جديد ، سمي الحمام الإسلامي و جعله لكافة فئات المجتمع و ليس لنخبة معينة . و لم يقتصر بناء الحمامات على العهد الأموي و إنما إنتقل إنشاؤها إلى العصر العباسي حيث كان بالبصرة ثلاث حمامات[2] حيث عثرت التنقيبات الأثرية على خمسين مسكنا كلها مزودة بحمامات تعود إلى هذا العهد[3].

كما عثر في مصر على نموذج آخر للحمامات العامة و الذي لم يعثر له شبيه في التاريخ الإسلامي ، بناه عمر بن العاص ــ 21هــ /641 م ــ في الفسطاط بمصر و خضع تصميمه لنظام القاعات الثلاث و الشئ المميز فيه هو صغر حجمه حتى صحت تسميته بـــ "حمام الفأر" [4] و هو أول حمام عام شيد في العالم الإسلامي [5]. و ذكر المقريزي أنه كان بالفسطاط ألف و مائة و سبعون حماما .

توالى بناء الحمامات العامة في المدن الإسلامية حتى ملأت أحياءها و انتشرت إنتشارا واسعا لم تعرفه المدن الرومانية في أوج إزدهارها و كان ذلك دليلا على أهميتها ــ، على سبيل الذكر لا الحصر ــ كان ببغداد في القرن الثالث الهجري ، التاسع للميلاد ــ 3هــ .9 م ــ ما بين ألف و خمس مائة إلى ستون ألف حمام[6] و ذكر اليعقوبي أن حمامات بغداد بلغت عشرة آلاف حماما كما ذكر ابن جبير أن حمامات بغداد كانت لا تحصى [7] و بدمشق في القرن السادس للهجرة الثاني عشــر للميلاد

---

(1) – فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 185.

(2) – عربية موساوي ، الحمامات الجزائرية ، رسالة ماجستير ، علم الآثار ، جامعة الجزائر ، 1980ــ 1981 ، ص .81 .

(3) – نجدة خماش ، دراسات في الآثار الإسلامية ، ص .

(4) – فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 359 .

(5) – Edmond PAUTY, les Hammems du cair , p .

(6) – B , lewis, d'autres, , Encyclopedie, de l'islam , nouvelle edition trois, paris,p 142

(7) – حسن ابراهيم ، ك مزجع السابق ، ص . 568.

(6هـ . 12 م) اثنان و خمسون حماما و ورد لقتيبة الشهابي في معجمه ذكر أسماء الحمامات الأثرية بها ، مرفوقة بالمصادر التي يمكن اللجوء إليها للحصول على المعلومات التي تخصها [2] ، أما بفاس في القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد أكثر من مائة حمام[1].

كما كان في القاهرة في القرن السادس للهجري الثاني عشر للميلاد (6 هـ . 12 م) ألف و مائة و سبعون حماما تعود إلى العصر الأيوبي * أما في العهد المملوكي القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلاد فكان بها مائة حماما ، إلا أنه لم يبق منا إلا القليل كحمام بشتاك الذي يرجع إلى العصر المملوكي البحري (742هـ ـ1341 م) و حمام المؤيد (823هـ ـ 1420م) حمام إينال (861هـ .1456م) اللذان يرجعان إلى العصر المملوكي البرجي و في هذا العهد تنافس الحكام كثيرا على بناء الحمامات[3] .

و إن ما نلاحظه في كل هذه المراحل التاريخية إحتفاظ الحمامات الإسلامية بذات التسلسل في التصميم المعماري الذي عرفته الحمامات المبكرة و هو التتابع بين القاعات الثلاث ، الباردة ثم الدافئة لتليها الساخنة .

لم تأت عمارة الحمامات المغرب الإسلامي على الفخامة التي كانت عليها حمامات المشرق الإسلامي ، خاصة حمامات القرنين الخامس و السادس الهجريين (5 .6 هـ ـ 11 . 12 م) و بعد قرنيين ظهرت نماذج أكثر غنى و أوفر زخرفة طغت فيها مساحة القاعة الدافئة

---

(1) – فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص .359.

(2) – قتيبة الشهابي ، معجم دمشق التاريخ ، للأماكن و الأحياء و مواقعها و تاريخها .كما وردت في نصوص المؤرخين ، الجزء الأول ، دمشق ، 1999 ، ص . 216.

* رغم أن هذه الفترة فترة حرب ـ الحروب الصليبية على فلسطين ـ

(3) – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 298.

على حساب الباردة على غرار ما كان مألوفا في الحمامات الأيوبية في الشام [1]. و هو أمر يستحق الوقوف عنده ، حيث يخلص إلى ثلاث عناصر هامة في عمارة حمامات القرنيين التاليين السابع و الثامن الهجريين
(7. 8هـ ــ 13 . 14 م)، ففي هذه الفترة أولى المعماري القاعة الدافئة مساحة أكبر على حساب القاعة الباردة . كما نترصد ميول الفنانين إلى الإهتمام بزخرفة الحمامات و تزويقها و بالتالي نستنتج تأثير الحمامات الأيوبية في الشام على حمامات المغرب الإسلامي .

و فيما يخص الحمامات في الجزائر فإن أقدم الحمامات بها التي بقلعة بني حماد و التي تضم قاعتان باردة و حارة ، هذه الأخيرة تعد أكبر القاعات و أوسعها و هي بشكل مربع [2] و حمام آخر صغير[3] و وجدت ببجاية و مسيلة و بسكرة حمامات و بداخل ميلة أيضا و في ضواحيها عدد من الحمامات[4] . أما حمام الصباغين بتلمسان * و الذي لا تحدد المراجع سنة تأسيسه و يرجح له نسبا إلى الفترة الأولى للفن التلمساني ــ المرابطي ــ [5] فلا يخرج نظام بناءه عن النظام المعروف في الحمامات و هو يعد أكمل حمام يحتوى على الغرف الرئيسية الثلاث [6].

كما حافظ حمام سيدي أبي مدين المريني ــ بالقرب من مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان ــ على نظام الحمامات السابقة أي على نظـــام الغرف الثلاث و الشئ المميـــز لقاعات هـــذا الحمام هو توازيها

---

(1) – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص . 143.

(2) – عربية موساوي ، المرجع السابق ، ص . 80.

(3) – LUCIEN GOLVIN., le Meghreb central à l'epoque zirides ,recherches d'archeologie , art et metiers graphiques , paris , 1957, p 191

(4), – Rachid ,BOUROUIBA , les Hamadits , entreprise national du livre , Alger , p .135 .

* الموجود في الحي الشمالي الشرقي للمدينة .

(5) - Georges marçais , les monument arabes de tlemcen , paris , 1930.p .162.

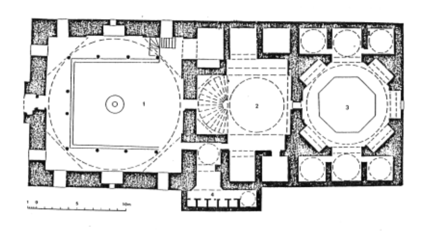
(6) – IBID . p. 163.

وعرضها المتساو و التغطية الموحدة لقاعاتها و التي سقفت بقو برميلي[1]. و في الأندلس و تحديدا في كوردو في نهاية القرن الرابع الهجري ــ العاشر للميلاد ــ ثلاث مائة حمام للملك عبد الرحمان الثالث و بقرطبة في نفس القرن ست مائة حمام [2] و عرف قصر الحمراء * حمامات من بين ماعرف من منشآته و من أشهر حمامات غرناطة حمام الجوزي الذي بناه باديس الصنهاجي في القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد (7هــ . 13 م) [3].

حمامات العهد العثماني :

نجد بتركيا نماذجا من حمامات على درجة كبيرة من الإتقان التقني [4] بخصائص مشتركة تطابقت مع تصميم الحمامات الإسلامية . و حيث ما وجد حيا إلا و به من جملة العمائر المدنية حمامات ، ففي استانبول مثلا كان " لكل حي حمامه أو حماماته للرجال و للنساء [5] و تمكن المعماري من تجسيد حمامات بمجموعتين من العمارة غير منفتحتين على بعضهما البعض ، مع إستغلال نفس المرافق المستخدمة للتسخين [6] .

و إن أقدم نموذج للحمام العثماني في استانبول هو حمام محمود باشا ، بني ليكون حماما مزدوجا و لم يبق منه سوى القسم الخاص بالرجال ، يتكون من غرفة لتبديل الملابس عليها قبة كبيرة و غرفة ساخنة مثمنة الشكل محاطة بعــدد من القباب الصغيرة [7].



مخطط حمام محمود باشا ــ عن بودين ــ

---

(1) – رشيد بوروبية ، المرجع السابق ، ص .503.

(2) . B , lewis , op.cit..p. 147 عن : ابن عذارى .

*مدينة ملكية تحتوي على القلعة و القصر و الجامع و المعسكرات و المخازن و صهاريج الماء وأجنحة الحريم .

(3) – عربية موساوي ، المرجع السابق ، ص .82 .

(4) B , lewis ,d'autres, op.cit., p147 .

(5) – الصفصافيِل مزسي أحمد ، المرجع السابق ، ص .135.

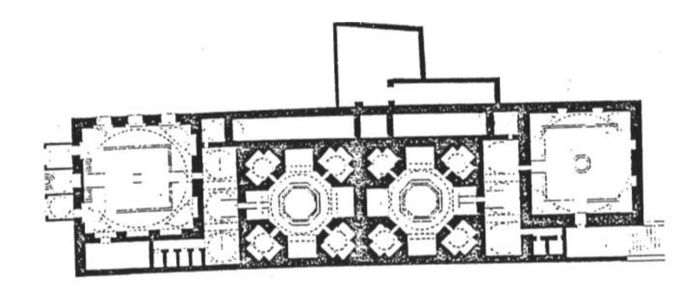
(6) – B , lewis ,d'autres, op.cit., p147.

(7) – الصفصافيِل مزسي أحمد ، المرجع السابق ، ص .135.

كما اشتهر من الحمامات العثمانية حمام عام آخر ، في استانبول و الذي يعد من روائع سنان (942 هـ . 1553 م) و هو الأكثر تمثيلا للفن المعماري للحمام العثماني يعرف باسم : هاسكي حمام (شكل : 35) ، نسبة لمنشئته زوجة السلطان سليمان القانوني و هو من النوع المزدوج أقيم بالتناظر و على محور واحد ، بحمام الرجال رواق على قناطر يتقدم المدخل ، بينما جعل المدخل في حمام النساء محجوبا وراء حاجز و ينزل إليه بدرج [1] و هذا الحمام لا يختلف من حيث تصميمه و أقسامه عن الحمامات الإسلامية الأخرى و من أهمها المدخل ، القاعات الثلاث و هو وفق أسلوب تخطيطه بالغ التطور [2] ، يتميز بمظهر خارجي أنيق و بتقسيم داخلي مبتكر ، يشترك قسماه في جهاز وقود واحد و يعملان بمواقيت مختلفة " معروفة من أهل البلد " [3].

يرى الصفصافي أنه : " بالرغم من تشابه الوظيفة التي تحد من التطوير إلا أن المعماري التركي المسلم قد خلق أشكالا جديدة ..." و هو تأكيد واستنتاج منه ، كان نتيجة إدراك العلاقة الوطيدة بين الشكل و الوظيفة في المنشآت المعمارية و هو المفهوم المعبر عنه في حمام هاسكي حمام " و الشئ الجديد فيه هو إستخدام الطوب و الحجر في زخرفة الجدران ... و بلاط أرضية الغرفة الساخنة من الرخام الملون و تحليه تعبيرات غنية من الرسوم الهندسية النجمية و المتشابكة"[4] .

كما إهتم العثمانيون ببناء الحمامات في دمشق ، فما سجله المؤرخ عبد الهادي في أواخر القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد ــ 10 هـ / 16 م ــ مائة و اثنان و سبعون حماما . كما شيدوا في مصر حمامات من أشهرها ، حمام الملاطيلي ــ 1194هـ /1780ــ و حمام السكرية



(شكل : 35) مخطط هاسكي حمام
عن : بودين .

---

(1) ــ عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 480.
(2) ــ الصفصافي أحمد مرسي ، المرجع السابق ، ص.135
(3) ــ جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص . 166.
(4) ــ الصفصافي أحمد مرسي ، المرجع السابق ، ص . 136.

من نفــس القرن ــ 12هــ. 18 م ــ و تجسدت فيهمـــا الأقسام المعهودة في الحمامات مـــن مدخل و ممر منكسر و عدة مرافق من مغاطس و خلوات و مستوقد و كان لهم أيضا في تونس حوالي أربعين حمام تختلف في سعتها و فخامتها و رفاهيتهامن حمام لآخر [1].

حمامات الجزائر في العهد العثماني :

إهتم المعماريون في الجزائر في الفترة العثمانية ببناء الحمامات تتمة للعهود التي إهتمت بإنشائها و أوليت عناية خاصة لتصميمها و زخرفتها و قارب عددها أو فاق العشر حمامات في كل مدينة .

يعرض ألبرت دفولكس(ALBERT DEVOULEX) أسماءا لعدد من حمامات مدينة الجزائر و التي تعود للفترة العثمانية و هي حوالي ستة عشر حماما ، محددا لها شوارعها ، منها ما هو قائم و منها ما تهدم لينشأ بدله معلما آخر و من تلك الحمامات ، حمام باب الواد ؛ أنشىء من طرف مصطفى بن الياس ، حمام الشويهد ، حمام القصبة الجديدة ، حمام سيدي الشريف ؛ القائم حاليا ، حمام القاعة ، حمام العرصة ، حمام السبوعة ، حمام سركاجي ؛ القائم حاليا و حمام كوشة النصارى ، الذي ينسب إلى على بتشين[2]. و من حمامات المدينة ما نافست حمامات القسطنطينية و قد أشرف على إنشائها كل من حسن باشا و محمد صالح رايس قائد البحرية الجزائرية [3] و يعد حمام سيدنا ــ 10 هــ . 16 م ــ أقدم حمامات مدينة الجزائر[4] و يماثله تصميما حمام القصبة و ذلك لإحتوائهما على العناصر الرئيسية لتسيير الحمام [5].

مخطط حمام سيدنا ــ أرشيف حصن 23 ــ

---

(1) – PAPADOPOULO .OP.CIT. p148.

(2) – Albert DEVOULEX .OP.CIT. p.p.167.169.174.193.194.206.217.227.231.233.

(3) – عبد القادر زبادية ، الجزائر في عهد رياس البحر ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1980 ص.45.

(4) – عربية موساوي ، المرجع السابق ، ص. 84.

الحمامات الأثرية بمدينة البليدة :

عرفت مدينة البليدة بناء عدد هام من الحمامات في الفترة العثمانية ، منها ما بقيت قائمة إلى الفترة الإستعمارية و منها ما تهدم و أخرى لا تزال قائمة تحمل ملامح التراث المعماري الأصيل الذي يوضح بجلاء تصميم حمامات المدينة و هي ملك لخواص مما صعب دراستها و هي أربعة عشر حماما منها عشر حمامات تنسب للمور يطلق عليها إسم الحمامات المورية [(1)] و هي : حمام الباي الكائن بشارع الباي ، حمامين لعابد خدوجة ، أحدهما بشارع كولوغليس و الثاني بشارع مونيي ، حمام رضا الزهار بشارع دنفر روشيرو، حمام زهار عيسى بشارع اتيان ديني ، حمام دنان محمد في شارع بلوندو ، حمام لعوج عبد الكريم في شارع لموان و حمام لعوج عبد الكريم ، بشارع جينمر ، حمام فيي مكي ، في شارع قايد ديرة [(2)] و يعتقد أنه هو حمام البركة ، إستناد إلى إسم الشارع الحالي الذي يوجد به هذا الحمام و حمام مخباط جلول في شارع العرايش و هو مايزال قائما و يعتقد أنه يحمل نفس الإسم الأصلي و حمام رابح الجيار أو حمام المسلمين و يعتقد أن هذه الحمامات أسست في بداية الفترة الإستعمارية *إضافة إلى حمامين ، هما حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام باش آغا* و بتأكيد من فرع الوكالة الأثرية ــ سابقا ــ بمدينة البليدة على إنتسابهما للفترة العثمانية ، و هما عينتان سلطت الضوء عليهما بالدراسة وصفا و تحليلا ، حسب تسلسلهما التاريخي .

و نظرا لتغيير أسماء تلك الحمامات و كذا تغيير أسماء شوارع المدينة صعب تمييز الحمامات التي اندثرت كلية عن تلك التي مازالت قائمة مع تغيير في إسمها ، ورغم التنسيق مع مديرية الثقافة لولاية البليدة إلا أنه تعذر تحديد ذلك .

---

(1) – B , lewis ,d'autres, op.cit..p 142.

(2) – Fiori LYS , o.p.cit.p.24.

*و قد أدرج الحمامات بشوارعها الأصلية أمام صعوبة تحديد و ربط الإسم الأصلي لها مع الإسم الحالي .و يستبعد كثيرا بناء بعض من حمامات المدينة في زمن توافق مع دخول الإستعمار الفرنسي ، فلا يمكن للسكان أن يطمئنوا إلى الخروج إليها ، خاصة النساء و الفترة فترة حرب و إضطرابات لم تستثن منها مدينة البليدة .

* للاشارة فإن حمام بوعلام باش آغا هدّم مؤخرا .

من خلال زيارتي الميدانية لحمامات مدينة البليدة لاحظت تقاربها في مواصفات أسس البناء بحيث تتضمن نفس الصياغة المعمارية ، لتتناسب مع طبيعة مجتمع يحمل نظرة خاصة إلى الإلتحاق بالحمامات .

يعبر عدد الحمامات بمدينة البليدة عن أهمية المدينة و مستوى تحضرها ، فمثل هذه البناءات كما يعرف لا تكون إلا في المدن المهمة و هو ما يذهب إليه ابن خلدون في قوله : "... الحمامات ... إنما توجد في الأمصار المستحضرة ، المستبحرة العمران ، لما يدعو إليه الترف و الغنى من التنعم و لذلك لا يكون في المدن المتوسطة " . و إن ما يهمنا هنا هو معرفة نظام تخطيط الحمامات بمدينة البليدة في العهد العثماني الذي نستخلصه من خلال التركيز على كل من حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام باش آغا بالوصف و التحليل .

و أشير إلى أن ما تواتر من أحاديث عن حمامات الفترة العثمانية بمدينة البليدة ، نلمسه عند سكان الأحياء و ملاك تلك المنشآت الأثرية و شغفهم كبير في الإعتراف بأهمية إرثهم المعماري ، يتخلله حرص على أن تتحول شهاداتهم إلى تأكيد رسمي يدعم أقدمية معالم مدينتهم لتحض بشرف التصنيف ضمن المعالم الأثرية .

1 ــ الدراسة الوصفية :

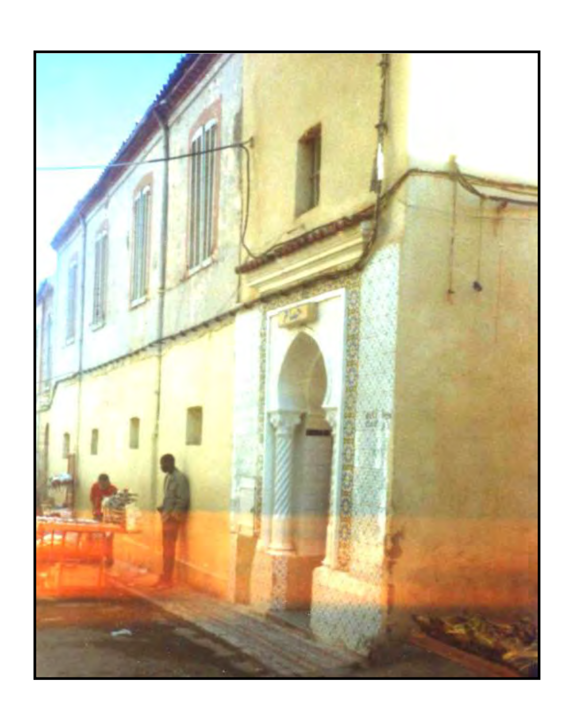
أ ــ حمام سيدي عبد الله :

الموقع و التأسيس :

يقع حمام سيدي عبد الله بشارع الباي وسط الحي العتيق على بعد بضع أمتار عن باب الجزائر. و سمي بإسم سيدي عبد الله نسبة إلى الولي الصالح الموجود بنفس الحي و يرجع تأسيسه الى سنة 1818 م .

الوصف الخارجي :

لا يتميز حمام سيدي عبد الله عن ما يجاوره من المباني (صورة 101) فكتلة بناءه لا تنفصل تماما عن المباني المجاورة فهو يلاصق بواجهتيه الشمالية الشرقية و الشمالية الغربية مبان مجاورة أما الواجهتين الجنوبية الشرقية و الجنوبية الغربية ، الرئيسية فمتحررة من أن تلاصق ما يجاورها من مبان .



(صورة 101) حمام سيدي عبد الله ــ الواجهة الرئيسية ــ

يتصدر الواجهة الرئيسية للحمام المدخل الرئيسي (صورة : 102) في الركن الأيمن من هذه الواجهة ، تعلوه لوحة دون عليها كلمة حمام و لا ندري إن كانت هناك لوحة تأسيسية أصلية أم لا و هو المدخل من دفة واحدة بإرتفاع 2.5 م و بعرض 1 م ، تتقدمه عتبة رخامية ويقوم على جانبيه عمودان رخاميان من النوع المركب ؛ بقسم سفلي مضلع و قسم علوي حلزوني ، قياس طولهما 1.45 م و يقوم كل واحد منهما على قاعدة مربعة و يحملان تاجا و عقدا متجاوزا منكسرا و ما نلاحظه في أيامنا هذه إستعمال الستار على المدخل للدلالة على أن الحمام يعمل بحيث خصصت الفترة الصباحية للنساء و يمنع على الرجال دخوله عرفا و تقليدا ، لتخصص الفترة المسائية لهم .



(صورة : 102) المدخل الرئيسي للحمام

و فيما يخص النوافذ فتوجد في الواجهة الرئيسية أربع نوافذ صغيرة الحجم . و أهم مايميز الواجهة الجنوبية الشرقية (صورة : 103) المدخل الأصلي للفرناق (صورة : 104) المتكون من دفة معدنية واحدة حديثة و نافذة صغيرة لإنارة ما بداخله و لا أثر للمدخنة التى من المفروض أن تعلوه .



(صورة : 103) الواجهة الجنوبية الشرقية



(صورة.: 104) مدخل الفرناق من الداخل

الوصف الداخلي :

ينفتح المدخل الرئيسي مباشرة على قاعة الإنتظار و التي تبلغ مقاساتها 2.60 م x 2.35 م و قد زودت بمقاعد على طول جدرانها بارتفاع 0.50 م مخصصة لجلوس الزبائن أثناء دخولهم أو خروجهم من الحمام و ما يلفت انتباه الداخل إلى هذه القاعة حنيات في جدرانها زادت من مساحة الجلوس على المقاعد و بلطت هذه القاعة ببلاطات خزفية أصلية و سقفت بسقف مستو ، خال من أي عنصر زخرفي . كما يوجد في طرف الجدار الشمالي الغربي لهذه القاعة مدخل بإرتفاع 2.3 م و بعرض 0.96 م ، ينفتح على القاعة الرئيسية الأولى للحمام و ما نلاحظه في قاعة الإنتظار هو عدم تقابل المدخلان الرئيسي و المدخل المؤدي إلى القاعة الموالية ، بحيث يحجب إنكسار مسارهما الرؤية المباشرة إلى ما بداخل الحمام .

بمجرد الدخول إلى القاعة الموالية أو ما تعرف بالقاعة الباردة (صورة :105) يصادفنا تفصيلا معماريا يجذب النظر للوهلة الأولى بقسميه الأيمن و الأيسر المتطاولين و اللذين أعطاها توازنا معماريا و ايحاءا بالسعة . و تشغل هذين القسمين مصطبتين ؛ المصطبة اليمنى ترتفع بدرجة واحدة يتوسط حافتها عمود إسطواني أملس على قاعدة مربعة زين منتصفه بزخرفة رفيعة من



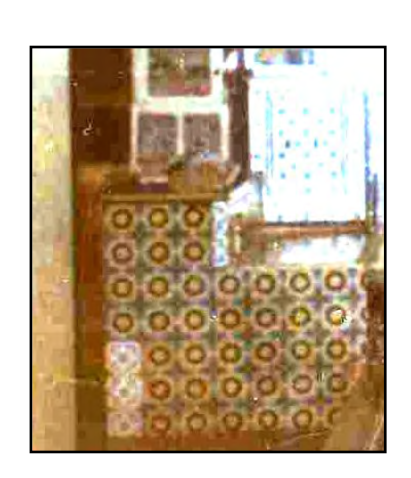
(صورة.: 105) جانب من القاعة الباردة .

ثلاث صفوف من القطع الخزفية المربعة بألوان مختلفة هي الأبيض ، الأحمر و الأصفر و هي نفس الزخرفة التي نجدها في طرفي المصطبة ، مما أعطاها لمسة زخرفية جميلة و يزين أعلاها إفريز من المثلثات الآجرية. ونلاحظ اقتصار التصميم المعماري في هذه المصطبة على الرواق و العمود الأوسط الذي يظهر دوره في حمل و رفع و تدعيم السقف .

أما المصطبة في القسم الأيسر من القاعة فترتفع بدرجتين عن الأرضية و صممت أسفل الدرجة الثانية فتحات عديدة مربعة الشكل ، خصصت لوضع الأحذية ، و ينعدم في هذه المصطبة أي تفصيل
معماري آخر عدا النوافذ الموزعة في جدارها . و قد أعطت المصطبتان سموا و رفعة للمكان. و هما الموضع الذي يستغله الزبائن لوضع أغراضهم. كما يعتبر موضع راحتهم و استلقاءهم بعد الإستحمام و يتبادلون فيها أطراف الحديث أيضا.

يشغل الركن الشمالي الشرقي للقاعة ثلاث غرف نفعية صغيرة المقاسات ، المتطرفتين عبارة عن خلوتين للإستراحة ، أما الوسطى فهي مخصصة للنزول إلى الفرناق و لا يزال مدخله الأصلي واضحا كما لا يزال موضعه الأصلي أسفل الحمام و ما يفرقه عن الأول هو تقنية تشغيله فهو بمحرك خاص لتزويد الحمام بالماء و تسخينه .

يوجد في الركن الأيسر للقاعة و بمحاذاة مدخلها مجلس المحسب (صورة : 106). و هو من درجتين قياس إرتفاعهما على التوالي ، 0.55 م و 1.15 م ، يوجد بجانبه صندوق من البرونز ، يحمل كتابة لاتينية.

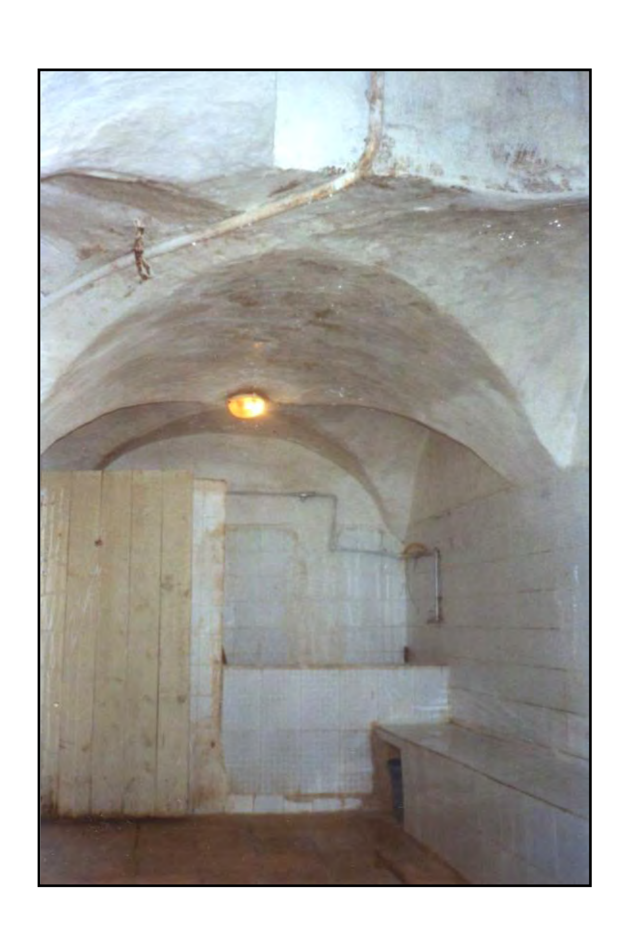


(صورة.: 106) مجلس المحسب .

إعتمد في تبليط أرضية القاعة على بلاطات حديثة أما جدران القاعة فقد كسيت ببلاطات خزفية لم يمسها تغيير فهي أصلية و سقفت القاعة بما فيها المصطبتين بسقف مستو.

يوجد في القسم الأيمن للقاعة الباردة و في منتصف جداره الشمالي الغربي مدخل (صورة :107) يؤدي إلى القاعة الثانية و التي تعرف بالقاعة الدافئة (صورة : 108) و هو مدخل منخفض يعلوه عقدا نصف دائريا ، يصادفنا إلى يسار القاعة خزان للماء (صورة :109) ، جداري يشغل كل الجدار و يبدو من خلال فتحته سمك الجدار الذي يصل الى نصف المتر. كما سقف بنفس تسقيف القاعة أي بأقبية متقاطعة أما القسم الأيمن من القاعة فيشغله حوض مائي و مرحاض و بمحاذاة الجدار الجنوبي الشرقي يوجد مقعد صمم خلف جدار ، يحجبه عن مدخل القاعة .

(صورة.107) مدخل القاعة الدافئة



(صورة : 108) القاعة الدافئة



(صورة: 109.) خزان الماء الجداري في القاعة الدافئة

فتحت بأرضية القاعة الدافئة و عند طرف الحوض المائي بالوعة لتصريف الماء و بلطت ببلاطات حديثة أما تسقيفها كما ذكرت سابقا فهو بثلاث أقبية متقاطعة منخفضة إلى درجة إمكانية لمسها باليد و ترتكز هذه الأقبية على جدران القاعة و فتحت بالقبو الأوسط منها فتحة مزججة بمثابة نافذة لغرض الإضاءة فقط أمكن من خلالها تقدير سمك التسقيف و الذي يصل إلى نصف المتر .

تلي القاعة الدافئة قاعة ثالثة هي القاعة الساخنة التي يربطها بسابقتها مدخل بـــ 2 م إرتفاعا و **0.80** م عرضا ، صممت به بكرتين (صورة: 110.) تفيدان في الغلق الآلي و هو ينفتح نحو الخارج.



(صورة: 110) البكرتين في مدخل القاعة الساخنة

نالت القاعة الساخنة (صورة : 111) التي تبلغ مقاساتها 6.70 م ــ 9.32 م حظها من تنوع العناصر المعمارية حيث تحيطها من جوانبها الأربع بوائكا متماثلة بعدد ثلاث أعمدة اسطوانية ملساء ، تعلوها تيجانا بلفائف حلزونية و تحمل حدارات عليها عقودا متجاوزة منكسرة .

شكل إصطفاف البوائك حول القاعة أروقة ، بعرض 1.50 م ، تتوزع بها أحواض حجرية بعدد أربعة و عشرين حوضا ، يتلقى كل حوض منها حنفيتان ؛ أحداهما للماء البارد الصادر عن الخزان الجداري الموجود في القاعة الدافئة و الثاني للماء الساخن و يصدر عن البرمة و التي مازالت فتحتها قائمة إلى الوقت الحالي و تم ثبيت أنابيب المائين البارد و الساخن على طول الجدران الأربعة للقاعة و وضع بجانب كل حوض من الأحواض مقعد خشبي لجلوس المستحمين .



(صورة : 111) القاعة الساخنة .

تشغل مركز القاعة مصطبة بإرتفاع 0.70 م و التي تعودنا رؤيتها في مثل هذه القاعات . تعلو مستواها قبة ثمانية الا ضلاع زادت من سعة القاعة ، فتحت بها نافذتان طوليتان في ضلعين منها فقط و لا ندري ان كانت هناك نوافذ أخرى سدت أم هو عدد أصلي لنوافذ القبة . و جمعت القاعة إلى جانب تسقيف مركزها بالقبة تسقيفا آخر للأروقة فهو بأقبية متقاطعة و بالإضافة إلى دورها الوظيفي في تقوية تحمل السقف فإن شكلها يرمي إلى جانب جمالي رائع .و إن أرضية القاعة الساخنة على مستويين بحيث ترتفع أرضية الأروقة عن الأرضية الوسطى للقاعة و ذلك لتسهيل إبعاد ماء الإستحمام و صرفه و صممت لذلك ساقية حديثة تنتهي ببالوعة لتسريب مياه الإستحمام إلى قنوات الصرف الصحي . و ساهم سمك جدران القاعة الساخنة الذي يبلغ 0.80 م في حفظ درجة حرارتها .

ألحقت بالقاعة الساخنة خلوة في الركن الشمالي للقاعة بها مدخل يعلوه عقدا مفلطحا و هي مخصصة للأفراد الذين يفضلون الإستحمام بمعزل عن بقية المستحمين ، تنفرد هذه الخلوة بتصميم رائع بحيث جعل في جدارها الشمالي الشرقي حنية تقابل مدخلها مباشرة و حنية ثانية في الجدار الشمالي الغربي بنفس تصميم الحنية الأولى من حيث الشكل و الحجم و الزخرفة المفصصة التي تزين أعلى عقدهما المفلطح و جهزت بأحواض حجرية تشبه التي في القاعة الساخنة و بلطت ببلاطات حديثة أما أعلاها فتشغله قبة مركزية ثمانية الأضلاع فتحت بأحد أركانها نافذة للإضاءة و بهذا أخذت الخلوة شكلا مصغرا للقاعة الساخنة . إلا أنها من غير أروقة و لا مصطبة وسطى . و من ملحقات الحمام الفرناق الذي سبق ذكره . (صورة : 112) (صورة : 113) .



(صورة : 112) مكررة : مدخل الفرناق من الداخل



(صورة.: 113) السلم المؤدي إلى الفرناق

ب ــ حمام بوعلام بن شريفة باش آغا :

الموقع و التأسيس :

إحتل حمام بوعلام بن شريف باش آغا موقعا هاما من الحي العريق المعروف بحي الجون . جنوب مدينة البليدة ، تحديدا في شارع محمد راوي . و سجل حمام بوعلام باش آغا في أرشيفات مسح الأراضي التي تعود إلى الفترة الا ستعمارية لسنة 1866 م تحت رقم 80 ، بإسم مؤسسه بوعلام بن شريفة باش آغا و حسب ما توصلنا إليه فقد حددت سنة تأسيسه بـــ 1825 م كما تفيد الروايات الشفوية أن مؤسسه بوعلام باشا آغا كان من الأثريان المليانيين، بنى هذا الحمام لعائلته الخاصة و قد تزوج بنساء كثيرات و لم يكن له أولاد .

ــ الوصف الخارجي :

لم يبق لحمام بوعلام باش آغا أثرا ، نظرا لتهديمه و قد تم وصفه من خلال دراسة سابقة له*. و قد كانت كتلة بناءه منفصلة تماماعن المباني المجاورة (صورة.: 114) ، الأمر الذي سهّل ملاحظة واجهاته الأربع منها الواجهة الرئيسية في الجهة الجنوبية الغربية والتي تتميز عن بقية الواجهات بوجود عناصر مهمـــة تحددها كالمدخل الرئيسي (صورة: 115) الذي يتكون من

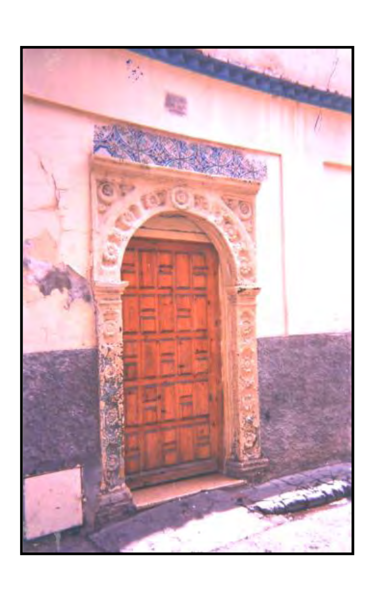


(صورة: 114) الواجهة الرئيسية لحمام بوعلام باش آغا .

* عن مركز الأرشيف بالوطني ــ الجزائر ــ .

* مذكرة التخرج لشهادة الليسانس لدورة 1996 .

دفة واحدة حديثة ، بقياس 1.20م x 2.08 م ، أما الباب الأصلي فكانت تزينه دبابيز . و تتقدمه عتبة رخامية و على جانبيه عمودان يحملان عقدا نصف دائريا . يعلو المدخل شريط من صفين من البلاطات الخزفية تعلوهما اللوحة التأسيسية (صورة : 116) ، دوّن عليها إسم صاحب الحمام في ثلاث أسطر ، السطران الأولان بحروف لاتينية أما السطر الثالث فبحروف عربية ، كما يلي :



(صورة : 115) المدخل الرئيسي.

BOUHALEM
BACH AGHA
بوعلام بن شريفة باش آغا



(صورة 116) اللوحة التأسيسية .

و توجد في هذه الواجهة نافذة واحدة صغيرة ، تعلوها نافذة أوسع منها لغرفة علوية ، أما الواجهة الجنوبية الشرقية فنلاحظ فيها ست نوافذ (صورة: 117) الخمس الأولى متتالية و متماثلة ، بينما المتطرفة فهي أوسع قليلا من سابقاتها في الواجهة الشمالية الغربية يوجد نافذة واحدة (صورة :118) أما الواجهة الشمالية الشرقية فيتصدرها مسكن صاحب الحمام و بها المدخل الذي يؤدي إلى سقيفة بها مدخل يمكن من خلاله الدخول إلى القاعة الأولى للحمام .

جدران بعض الواجهات و تمثل دوره في إبعاد مياه المطر من أن تبقى مجتمعة بأسفل الجدران و كذا
بناء الحمام جمالية مميزة .



(صورة : 117) الواجهةالجنوبية الشرقية



(صورة : 118) الواجهةالشمالية الغربية

إن من العناصر التي كان لها دورا نفعيا خارج مبنى الحمام ، نذكر البروز الذي كان بأسفل جدران بعض الواجهات و تمثل دوره في إبعاد مياه المطر من أن تبقى مجتمعة بأسفل الجدران و كذا وجود الشطف في الركن الغربي ، إضافة إلى الكورنيش أعلى الجدران و هي عناصر أضفت على بناء الحمام جمالية مميزة .

- الوصف الداخلي :



(صورة : 119) قاعة الا نتظار الأولى

لا ينفتح المدخل الرئيسي للحمام مباشرة على الفضاء الداخلي للحمام و انما تليه قاعة الإنتظار الأولى (صورة : 119) بقياس 2 م عرضا و 2.55 م طولا ثم قاعة الإنتظار الثانية (صورة : 120) بقياس 2 م عرضا و2.68 م طول أحد جداريها و الآخر 2.90 م . و زودت القاعتان بمقاعد جانبية لإنتظار و جلوس الزبائن سواء قبل الدخول إلى قاعات الحمام أثناء الخروج منه و بلطت القاعتان بما فيها المقاعد ببلاطات خزفية أصلية تتخللها أخرى حديثة .

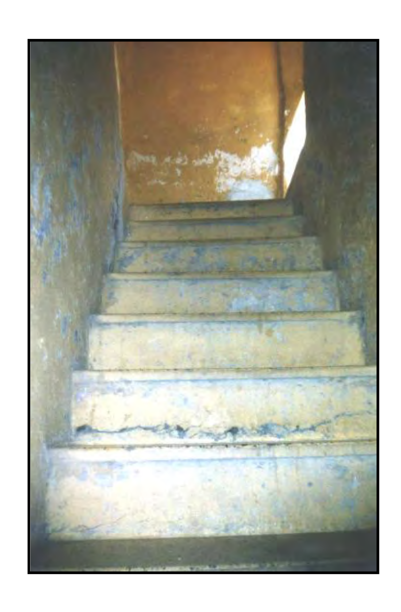


(صورة : 120) قاعة الإنتظار الثانية

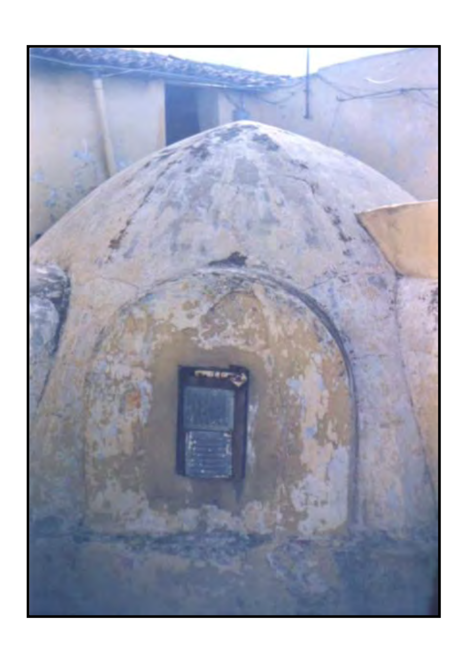
ينفتح بقاعة الإنتظار الثانية مدخل (صورة : 121) يتصل بسلم (صورة : 122) يؤدي إلى سطح الحمام حيث يبرز بدن القبة الثمانية الأضلاع التي تسقف القاعة الساخنة (صورة : 123) فتحت بكل ضلع منها نافذة .



(صورة : 121) مدخل المؤدي إلى السطح



(صورة : 122) السلم الذي ينفتح على السطح



(صورة.: 123) القبة المضلعة و هي تسقف القاعة الساخنة .

يلي قاعة الا نتظار الثانية رواق صغير (صورة: 124) مقاساته 1.35 x 1.18 م تصادفنا به حنية (صورة: 125) في الجدار الشمالي الشرقي ، يجهل الغرض الأساسي لوجودها .



(صورة : 124.) الرواق الذي يلي قاعة الانتظار الثانية



(صورة: 125) الحنية بالجدار الشمالي الشرقي للرواق

و ينفتح هذا الرواق على القاعة الرئيسية الاولى في الحمام و تعرف بالقاعة الباردة (صورة: 126). تتميز هذه القاعة بتصميمها المميز و بما ألحق بها من أثاث ، تحتوي على بائكة تجزء القاعة إلى جزئين ؛ عن يمينها المصطبة وعن يسارها رواق بعرض 1.12 م و بطول 6.96 م .

و جهزت بمقاعد خشبية خصصت لإستراحة المستحمين و كذا مشاجب (حوامل) لتعليق الملابس و ترتفع المصطبة (صورة : 127) عن الرواق بمستوى درجتي و ثلاث درجات و ترتكز أعمدة البائكة على الدرجة السفلى للمصطبة .



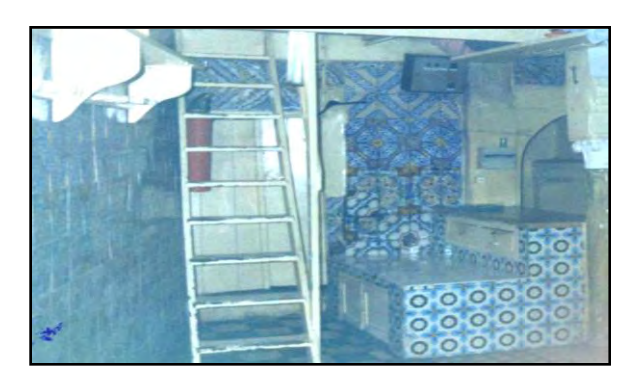
(صورة : 126) البائكة في القاعة الباردة



(صورة : 127) المصطبة و تظهر عليها كيفية توضع الأعمدة .

و ترتكز أعمدتها على قواعد مربعة تنتصب فوقها أعمدة مركبة جزؤها السفلي مضلع بينما الجزء العلوي حلزوني الشكل و تحمل تيجانا بلفائف ركنية تحمل هي الأخرى عقودا متجاوزة منكسرة تتماثل فتحاتها و تضم بينها روابط ــ حوامل ــ خشبية أمكن استغلالها لتعليق و تجفيف مناشف الإستحمام .

يوجد في الركن الجنوبي للقاعة الباردة مجلس المحسب (صورة : 128) ، المكلف بجمع المبالغ المخصصة للإستحمام و كذلك بيع بعضا من متطلبات الإستحمام و هو بمستويين يضم العلوي درجين أما القسم السفلي ففيه خزائن صغيرة لحفظ مستلزماته و إلى جانبه مخزن صغير لحفظ لوازم الإستحمام أيضا .



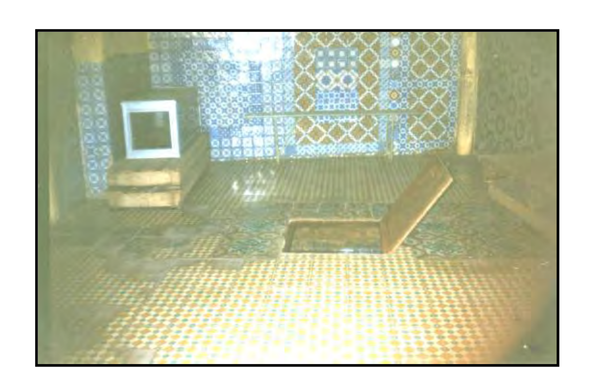
(صورة : 128) مجلس المحسب .

يحدد القاعة الباردة و في منتصف جهتها الشمالية الشرقية عقد سميك (صورة : 129) يرتكز في أحد جوانبه على الجدار الجنوبي الشرقي للقاعة و في طرفه الآخر يستند على الجدار الشمالي الغربي بحيث يقسم القاعة إلى قسمين ، القسم الأول حيث المصطبة أما القسم الثاني في وسطه خزان ماء أرضي (صورة :130) لجمع الماء و تخزينه كما توجد في هذا الجزء من القاعة حنية (صورة :131) في

الجدار لم ندر وظيفتها . و تتوزع في الجدار الجنوبي الشرقي نوافذا مرتفعة قليلا عن قامة إنسان واقف تحجب النظر من و نحو داخل القاعة .



(صورة : 129) القاعة الباردة جهة العقد الذي يتوسط القاعة



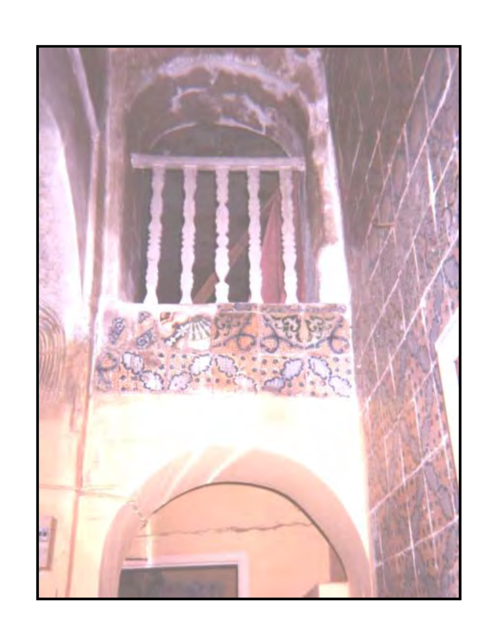
(صورة: 130) فتحة خزان الماء في أرضية القاعة الباردة .



(صورة : 131) الحنية .

من خلال تفحص القاعة الباردة نلاحظ تنوع العناصر الموجودة بها و تعددها من المصطبة و البائكة و إلى الحنية و مكان المحاسب ؛ كلها عناصر تدل على الحركة بهذه القاعة .

لا يرتكز توزيع الفضاء الداخلي لهذه القاعة على العناصر السابقة الذكر فقط و إنما تنفتح عليها شرفة (صورة :132) تطل عليها و هي لقاعة علوية(صورة :133) من خلالها أمكن ملاحظة العقد (صورة :134) الذي يرتكز عليه السقف الأصلي هو لا يبدو من القاعة الباردة نظرا لتثبيت سقفا ثان أخفض مستوا منه .



(صورة: 132) شرفة القاعة العلوية.



(صورة : 133.) القاعة العلوية



(صورة :134) العقد الذي يرفع السقف الأصلي
و تظهر إلى يساره عقود البائكة .

يلي القاعة الباردة رواق صغير بسقف منخفض جدا به مدخل ينفتح على قاعة ثانية هي القاعة الدافئة (صورة : 135) و التي تعتبر من القاعات الرئيسية في الحمام و هي بـــ 2.80 م عرضا و 3.20 م طولا و أول ما يصادف الداخل إلى هذه القاعة خزان جداري بفتحة علوية يتوقف عندها مستوى إمتلاء الماء و يعد هذا الخزان مصدر هام لتوزيع الماء داخل الحمام . يجاوره يمينا كنيف ــ مرحاض ــ بمدخل من دفة واحدة ، فتحت به نافذة صغيرة تطل على الخارج .



(صورة: 135) القاعة الدافئة .

جهزت القاعة الدافئة بمقاعد في جداريها الجنوبي الشرقي و الشمالي الشرقي و بلطت جدرانها ببلاطات خزفية حديثة و كذا أرضيتها و سقفت بقبو نصف برميلي . و يوجد في جدارها الجنوبي الغربي مدخل (صورة : 136) من مصراع خشبي يبلغ عرضه 75 سم ، أما إرتفاعه فيبلغ 1.75 م و تعلوه بكرة معلق بها ثقل للغلق الآلي للباب و يؤدي هذا المدخل إلى القاعة الرئيسية الثالثة أو ما تعرف بالقاعة الساخنة .



(صورة : 136) مدخل القاعة الساخنة
تبدو في أعلاه البكرة.

صممت القاعة الساخنة (صورة : 137) بشكل مربع قياس أطوالها 6.82 م x 6.95 x 6.88 م x 6.98 م . تحيط بها أروقة ، على جوانبها الأربع بوائكا بأعمدة من دون قواعد (صورة : 138) و (صورة : 139) و هي على نوعين مضلعة و مسننة ــ منشارية ــ و ما يلاحظ عليها عدم إحتواءها على الحوامل الخشبية و التي لا يسمح لها جو القاعة بالصمود ، نتيجة سرعة تلف الخشب عند تعرضه لبخار الماء . أما عقود القاعة فقد صممت وفق نوع واحد هو المتجاوز المنكسر (صورة : 140).



(صورة : 137) القاعة الساخنة .



(صورة :138) عمود مضلع .



(صورة : 139) عمود مركب .



(صورة : 140) عقد من بائكة القاعة الساخنة .

و تتوسط القاعة الساخنة مصطبة ــ سرة ــ مربعة الشكل ، ترتفع عند مستواها القبة الثمانية الأضلاع التي تعد أنسب طريقة لتسقيف هذه القاعة حيث تسهل عملية إنزلاق الماء ــ بخار الماء ــ المتجمع عليها ، كما أن حجمها زاد من مساحة فضاء القاعة و تتوزع على بدنها نوافذا بحيث صممت نافذة في

كل ضلع من أضلعها و هو ما عوّض إنارة نوافذ الجدران التي تنعدم كلية في هذه القاعة . أما الأروقة الجانبية فقد سقفت بأقبية متقاطعة (صورة : 141) .



(صورة : 141) التسقيف بالأقبية المتقاطعة لأروقة القاعة الساخنة .

جهزت القاعة الساخنة بالعناصر الوظيفية الضرورية لتسيير الحمام من أهمها البرمة (صورة : 142) و هي في موضعها الأصلي ، خلف جدار القاعة و تقابل مدخلها . إلى يمينها يوجد خزان ماء آخر.

يصدر عن خزان الماء البارد الموجود بالقاعة الدافئة أنبوب يتفرع إلى فرعين (صورة :143) ؛ ثبت أحدهما على طول الجدران الأربعة للقاعة الساخنة يحول أحدهما و هو المخصص للماء البارد و حوّل إلى الأحواض مباشرة . بينما الأنبوب الثاني حول إلى الخزان الذي بجانب البرمة و الذي ينفتح عليها بفتحة تسمح بملأ البرمة لتسخين الماء و منها يصدر أنبوب الماء الساخن الذي ثبت هو الآخر على طول الجدران الأربعة لينفتح بحنفيات تصب في أحواض حجرية بعدد ستة عشر حوضا أمامها مقاعد خشبية .

لا يختلف تبليط القاعة الساخنة عن ذاك الموجود بالقاعة السالفة الذكر ، فهو حديث ، كما كسيت الجدران ببلاطات حديثة هي الأخرى ، إلى مستوى منبت الأقبية المتقاطعة .



(صورة : 142) فتحة البرمة إلى جانبها فتحة الخزان المائي .



(صورة : 143) رواق من أروقة القاعة الساخنة ، ثبّت
على جداره أنبوبي الماء الساخن و البارد .

الفرناق :

أقيم الفرناق في الواجهة الرئيسية للحمام ، الى يسار المدخل الرئيسي و بمدخل منفصل عنه (صورة : 144) و هو حديث بحيث يتركب من مصراعين حديديين . فتح في كليهما شباك ، الغرض منه تهوية ما بداخل الفرناق .

إن موضع الفرناق ، هذا ، أنسب للحمام كونه يوجد خلف القاعة الساخنة و هو عبارة عن حفرة بعمق 2 م تقريبا و بعرض يصل إلى 1.75 م و هي مخصصة لتخزين الحطب و حرقه لغرض تسخين ماء الإستحمام و لا أثر للمدخنة التي من المفروض أن ينتهي بها الفرناق و التي يصرف من خلالها دخان الحرق .



(صورة : 144) مدخل الفرناق إلى جانب المدخل الرئيسي.

2 ـــ تحليل نظام بناء الحماميين :

كان الحمام موضع إهتمام المعماري عبر الحقب التاريخية و هو الإهتمام الذي أولاه العثمانيون لنوعيه العام و الخاص " فلم يقل الحمام أهمية عن بقية المؤسسات الموزعة في أحياء المدن الإسلامية "[1] ، يقصده العامة من سكان المدينة متوسطي الحال و ما دونهم ، و هي الفئات التي لا تسمح لهم إمكانياتهم المادية و ظروفهم المعيشية من أن يلحقوا مساكنهم بحمام خاص نظرا لأن تكاليف الإنشاء تحول دون قدرتهم على ايصال الماء بوفرة إلى مساكنهم إضافة إلى تكاليف التسخين ؛ من إنشاء للفرناق و احضار للحطب مما دفعهم إلى تفضيل الإلتحاق بالحمامات العامة ، حيث ثمن الإستحمام غير مكلف و هو الأمر الذي ساعد كثيرا على إنتشارها و العناية بها .

المخطط :

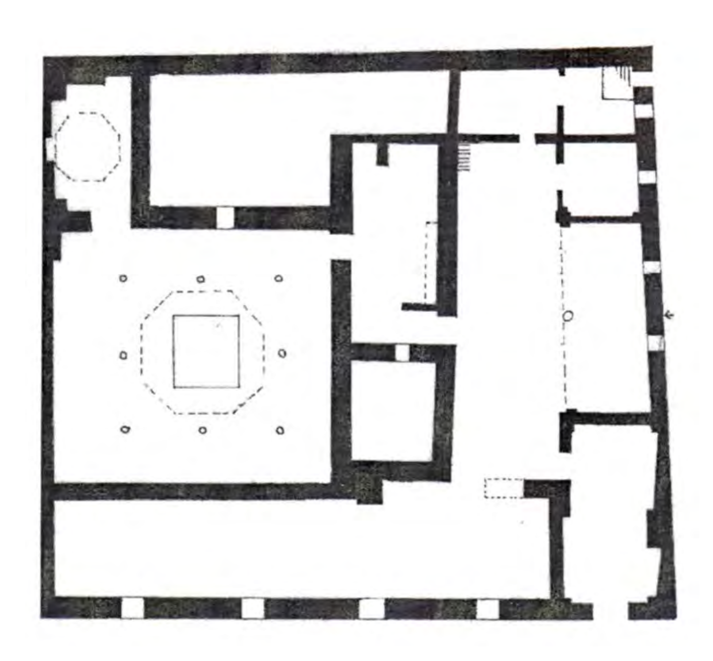
إن من أهم عناصر دراسة الحمامات الأثرية هو دراسة مخططها فمن خلاله نرى مدى تجاوبها مع رغبات المستحمين و بالتالي مدى وظيفيتها في المدن الإسلامية ، و إن ما يلاحظ على حمامات مدينة البليدة أنها خضعت للتصميم المفرد و لم يخضع للتصميم المزدوج * و هي تعمل بمواقيت معروفة و احتفظت بذات التسلسل في التصميم المعماري و التتابع بين القاعات الثلاث الباردة ثم الدافئة لتليهما القاعة الساخنة . و يعد الحمامين سيدي عبد الله (شكل : 36) و حمام بوعلام بن شريفة باش آغا (شكل : 37) من المعالم الأثرية الهامة بمدينة البليدة ، لما يتميزان به من القدم و التصاميم الأصلية و أيضا لموقعهما في أطراف الشوارع و انفصال بعض واجهاتهما عن البناءات المجاورة .

لا يتميز مخطط كل من حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام بن شريف باش آغا عن تلك المعروفة في حمامات العهد العثماني في الجزائر ، و ساعد في رؤية ذلك احتفاظهما بالقاعات الأصلية و المرافق و كذا عـــدم تعرضهما لتوسعة أو تغييرات جوهرية مما سهـــل دراسة تخطيطها

---

[1] – عبد القادر الريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 449.

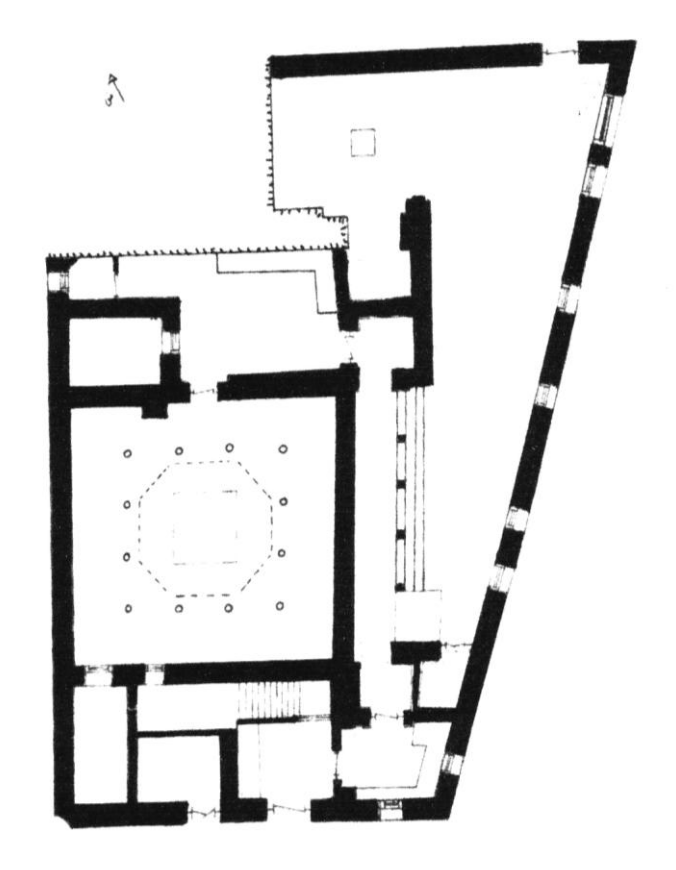
* يقصد بالحمام المزدوج أن الحمام الواحد خص للرجال و للنساء و لكن في أوقات مختلفة .



مقياس الرسم 50/1

1 ـــ قاعة الإنتظار .　　5 ـــ الخلوة .
2 ـــ القاعة الباردة .　　6 ـــ البرمة .
3 ـــ القاعة الدافئة .　　7 ـــ خزان ماء جداري .
4ـــ القاعة الساخنة .　　8 ـــ مدخل الفرناق .

(شكل : 36) مخطط حمام سيدي عبد الله .



مقياس الرسم 50/1

1 ــ قاعة الإنتظارالأولى .

2 ــ قاعة الإنتظارالثانية .

3 ــ القاعة الباردة . 6 ــ البرمة .

4 ــ القاعة الدافئة . 7 ــ8 ــ خزان ماء جداري .

5 ــ القاعة الساخنة . 9 ــ الفرناق .

(شكل : 37) مخطط حمام بوعلام بن شريفة باش آغا .

و التعرف على نمطها. و يتكون الحمامان من قسمين متلازمين عمارة و منفصلين وظيفة كغيرها من الحمامات العامة في المدن الإسلامية حيث يمثل القسم الأول القاعات الرئيسية و يخص القسم الثاني الجانب التقني و الذي يقصد به الفرناق ــ الموقد ــ أما عناصر إيصال الماء كخزانات الماء فإنها مدمجة مع القاعات و ليست مستقلة و قد إنتشر كثيرا هذا النوع من الحمامات العامة في المدن الإسلامية[1] .

يبقى أمر إنتساب الحمام الإسلامي إلى الحمامات القديمة قائم و أمام تعدد التوجهات نجد من الآراء ما تختلف في ذلك و ما تتفق . جاء عن بلانهول " أن الحمام في المدينة الإسلامية مرتبط بالحمام اليوناني القديم " و يسيره نحوه بلباس مبينا هو الآخر " تأثر المسلمين بنمط الحمامات الرومانية أو البيزنطية " ، كما أن أرنست كونل يرى أن : " لحمامات العصر الأموي صلة بالحمامات الرومانية الساخنة ، لسبب أن القاعة الكبرى بهذه الحمامات تشبه القاعة المخصصة لخلع الملابس في حمامات القدامى "[2] يخالف التوجه السابق ، جرنباوم الذي يرى " أن الحمام في المدينة الإسلامية لا يمكن أن يكون وريث الحمام الروماني ".[3] و مع تعدد هذه الآراء يتبين أن تصميم الحمامات الإسلامية يتفق مع تصميم الحمامات القديمة في مثول نظام تتابع القاعات الرئيسية إلا أنها لا تحتوي على المرافق التي كانت في الحمامات القديمة ، بعدما تخلص المعماري المسلم منها و التي لم يجد ضرورة إلحاقها بالحمامات الإسلامية حيث أصبح للقاءات سواء العلمية أو الترفيهية مؤسساتها الخاصة .

و إذا سلّمنا بإشتقاق التصميم القديم فإن المعماري المسلم إكتفى بالقاعات الضرورية و وظفها ليتناسب التصميم مع الإعتبارات العقادية خاصة و أن الإسلام ينهى عن الإسراف في الشؤون كلها كما يحرص على طهارة الماء ، وفق مرجع إسلامي . و استقل المسلمون بنموذج سيكون له أكبر الأثر على عمارة الحمامات في العصور التالية ، من حيث مدى توافقها التي تتحكم فيها و صممت بطريقة تهئ الجو المناسب للخروج إليها و الإستحمام الجماعي و أصبح للمسلمين نظرتهم الخاصة إلى الحمامات ، من أول ما إقتبسوه ــ الحمام العام ــ إلى أول ما ابتكروه ــ الحمام الخاص ــ إلى حمامات العهد العثماني كآخر مرحلة من مراحل الحضارة الإسلامية .

---

[1] ــ عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص . 140.

[2] ــ أرنست كونل ، الفن الا سلامي ، ص . 128.

[3] ــ عثمان عبد الستار ، المرجع السابق .ص . 248.

إن هذه النقلة النوعية في نظام بناء الحمامات مهمة في التاريخ الأثري لعمارة الحمامات الإسلامية ، فقد تقلصت مساحة الحمامات العامة و انحسرت في نظام الغرف الثلاث الرئيسية و هو تطور هام في نظام بنائها ، يعكس الفرق الشاسع في التوجه العقائدي بين القدامى و المسلمين .

التصميم :

إن الذي يهمنا في تصميم الحمامين هو حضور القاعات الرئيسية (شكل : 38) .(شكل : 39) و تسلسلها المنطقي والعلمي كالذي إحتوته عمارة كل من حمام سيدنا الذي يعد أقدم حمام من الفترة العثمانية بمدينة الجزائر من القرن السادس عشر، به ثلاث قاعات رئيسية و أربع قاعات أخرى و فرناق و حمام القصبة ذي قاعات ثلاث و مخزن للحطب و فرناق[1] . و إن إحتفاظ الحمام الإسلامي منذ العصر الأموي إلى العهد العثماني بذات التصميم ، نالت منه الجزائر حظها من ذاك الإحتفاظ بذات التصميم ، كحمام الصباغين الذي يحتوي على غرف عديدة ، منها لخلع الملابس و الغرفتين الدافئة و التعريق و غرفة مركزية مربعة الشكل تعلوها قبة [2] كما إشتملت الحمامات المرينية هي الأخرى على القاعات الثلاث ـــ الباردة ـــ الدافئة و الساخنة ـــ منها حمام أبي مدين السالف ذكره.

كما أخذ المسلمون في صدر الإسلام تصميم الحمام الذي كان متداولا عند الإغريق و الرومان إلا أنهم تخلصوا من المغاطس التي كانت موضع ركود الماء [3] و كان نتيجة هذا أن إصطبغ الحمام العام عند المسلمين بصبغة حافظ فيها على نظام القاعات الثلاث و احترم تسلسلها . و هو النمط الذي نلاحظه من أولى حمامات العصر الأموي حيث احتوى حمام قصير عمرة على ثلاث قاعات ؛ باردة مربعة الشكل ، يغطيها قبو و قاعة دافئة مربعة الشكل يغطيها قبو متقاطع وقاعة ثالثة ساخنة مربعة ، مغطاة بقبة ضحلة ، و تحتوي هذه القاعة على حوض مثمن من الرخام [4]. و إلى غاية العهد العثماني ، حيث تطور الحمام ليأخذ شكله الحالي .

يمكن أن نخلص إلى أهم عناصر التصميم التي ميّزت الحمامات ، حيث إختلف الحمام الإسلامي عــن القديم إختلافا كبيرا مــن منتدى لنخبة المجتمع و ترفيههم إلى عامـــة المسلمين .

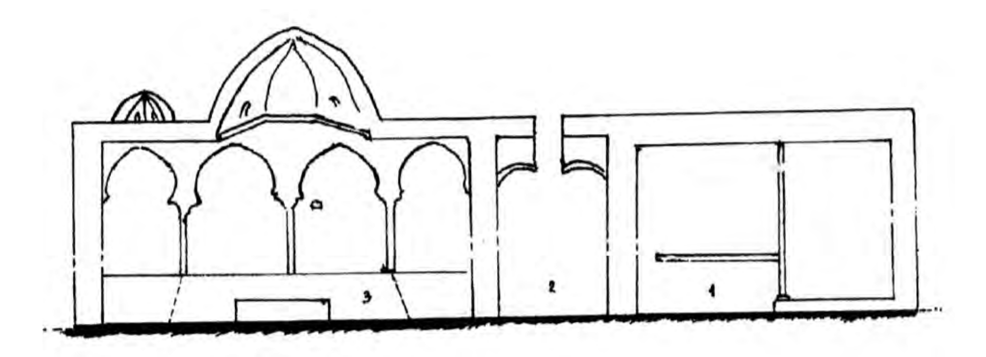
---

(1) – عربية موساوي ، المرجع السابق ، ص .

(2) – G, MARÇAIS , les monument arab… OP .CIT. p. 163

(3) – جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص . ص 169.168.164.

(4) – حسني نويصر ، المرجع السابق ، ص . 87.

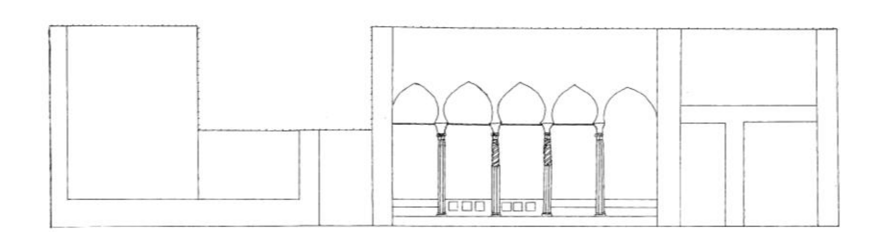


1 ــ القاعة الباردة .

2 ــ القاعة الدافئة .

3 ــ القاعة الساخنة .

(شكل : 38) مقطع طولي لحمام سيدي عبد الله
عند مستوى القاعات .



(شكل : 39) مقطع طولي عند مستوى القاعة الباردة
لحمام بوعلام بن شريفة باش آغا .

الواجهات :

لا تختلف واجهات حمامي سيدي عبد الله و بوعلام باش آغا عن بقية واجهات عمارة المساكن العثمانية ، حتى لا يكاد المرء يفرق المظهر الخارجي بينهما . لبساطة مظهرها العام فهي لا تحتوي إلا على مدخل رئيسي و نوافذ صغيرة و قليلة العدد و مثل هذا المظهر تتساوى فيه جل الحمامات الإسلامية أي ليس في مظهرها الخارجي ما يلفت الإنتباه إليها[1] .

رغم المظهر الخارجي المتواضع لحمامات العهد العثماني في مدينة البليدة ، إلا أن داخلها يعكس قيمة معمارية و فنية .

القاعات :

يعتمد الحمامين ؛ سيدي عبد الله و بوعلام بن شريفة باش آغا على قاعات رئيسية و أخرى ثانوية و مرافق ، مشكلة وحدة متكاملة لكل منها دور خاص و أهمية في الحمام ، بغض النظر عن حجمها و هو ما تتحكم فيه مساحة العقار المخصصة للبناء و تتدخل عبقرية البنّاء لتظهره في تصميم وظيفي و نفعي .

سنحدد بداية أسماء القاعات في الحمامات ، التي إتفق كثير من الباحثين سواء الذين درسوا الحمامات القديمة أو الذين درسوا حمامات المدن الإسلامية على تسميتها على التوالي ؛ القاعة الباردة القاعة الدافئة و القاعة الساخنة * هذا و هي القاعات الرئيسة في الحمامات ، معتمدين في ذلك على و دور كل قاعة في الحمام و طبيعة الجو السائد في هذه القاعات .

---

(1) – PAPADOPOULO .P.CIT. p 30.

* على التوالي :.1 frigidarium 2 tepidarium 3 calidarium

و إذا لزمنا التسميات الثلاث فإننا لن نعطي القاعة الباردة حقها من التسمية ، لأنها لم تخصص للإستحمام بالماء البارد و لم تجهز بأنابيب و أحواض للإستحمام كما عرف في الحمامات القديمة ، التي زودت فعلا بالمياه الباردة التي كانت تستعمل بعد الإستحمام بالماء الساخن [1].

قاعة الإنتظار :

يحتوي حمام سيدي عبد الله على قاعة إنتظار واحدة و قد حقق تصميمها حجب النظر إلى الداخل أما حمام بوعلام باش آغا احتوى على قاعتين للإنتظار ، متتاليتين شكلتا مسارا منكسرا على هيئة زاوية قائمة لتجاورهما و هو الشكل الأنسب الذي منح الحمام حجبا للنظر نحو الداخل ، كما تظهر أهمية قاعة الإنتظار في منع دخول الهواء الخارجي مباشرة إلى داخل الحمام أي إلى قاعة وضع الملابس بإعتبارها أو لقاعة رئيسية في الحمام .

القاعة الرئيسية الأولى :

إضافة إلى تسمية القاعة الرئيسية الأولى بإسم القاعة الباردة ، يطلق عليها أحيانا الخارجي أو البراني[1] و يطلق عليها في المشرق المشلح [2] و هي قاعة وضع الملابس و حفظها و هي ليست باردة أو رطبة و انما معتدلة و اعتبرت باردة مقارنة بجو بقية القاعات ، كما أننا لا نشعر فيها بحرارة الحمام إطلاقا . و قد تم في العهد العثماني إلغاء القاعات المضاعفة لوضع الملابس و تم التركيز على قاعة واحدة هي المسلخ [2] . و تتعدد وظائفها . فهي للإسترخاء و الإستراحة بعد الإستحمام خاصة و أنها تفرش بالسجاد و بعض من الطراريح و مشاجب تعليق الملابس و حوامل لتجفيف المناشف و يتبادل فيها المستحمون أطراف الحديث و يأخذون المشروبات . يوجد في هذه القاعة مكان المحسب و هو المكلف بإستلام مستحقات الإستحمام كما أنه يقوم بمراقبة لوازم الحمام و بيع بعضا من أغراض

---

(1) – صالح لمعي مصطفى ، التراث ... ، المرجع السابق ، ص . 63 .

(2) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 850.

(3) – صالح لمعي مصطفى ، التراث ... ، المرجع السابق ، ص. 63 .

(4) – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص . 147.

الإستحمام كالصابون و المناشف . و يساعده في الإهتمام بطلبات المستحمين خادم ثان .

إن النوافذ في القاعة الباردة صغيرة مرتفعة من الخارج لحجز الأنظار الخارجية من التطلع إلى الداخل تحقيقا حرمة المستحمين .

القاعة الرئيسية الثانية :

تسمى القاعة الرئيسية الثانية القاعة الدافئة ، و تختلف تسميتها حسب عدد القاعات في الحمام فتارة يحتوي على قاعة دافئة واحدة و في بعض الحمامات قاعتين دافئتين ، يطلق عليها الوسطاني في دمشق و براني في فاس و جهزت بمقاعد على جدرانها لإستراحة المستحمين . و ان لجوها الدافئ دور هام لا يستهان به ، فهي مرحلة و سط بين جوين مختلفين ــ بين القاعة الأولى و القاعة الثالثة الساخنة ــ يكمن دورها في تهيئة جسم المستحم لتلقي الجو الحار حين التوجه إلى القاعة الساخنة و كذا لإستعداده لتلقي الجو البارد للقاعة الباردة حين الخروج منها .

القاعة الرئيسية الثالثة :

تعرف القاعة الرئيسية الثالثة بالقاعة الساخنة و تسمى أيضا بيت الحرارة أو الجواني [(3)] ، تلي مباشرة القاعة الدافئة و هي أهم قاعات الحمام و يرتكز عليها الإستحمام بنسبة كبيرة . و حرص المعماري في العهد العثماني على مثول القاعة الساخنة و التي تعتبر مجال إبراز الفن المعماري لما

[(1)] – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص .850.

تحويه من عناصر كالقباب و البلاطات [1] .

خضعت القاعاتان الساخنتان في الحمامين للشكل المربع و هو تصميم تماثل مع نفس نوع القاعة في بقية الحمامات ، تتوسطه سرة ، ترتفع عند مستواها قبة و في جوانبها الأربعة بوائكا ــ و كأنه بهو وسط المسكن ــ يعكس أهمية الفضاء الداخلي للحمام .

و عموما يتفق تقسيم الفضاء الداخلي لحمامي سيدي عبد الله و بوعلام باش آغا عموما مع تصميم غالبية الحمامات التي تعود للفترة العثمانية ، لوجود القاعات الثلاث الرئيسية وهو النمط الذي لم ينتشر في المغرب الإسلامي فحسب و إنما عرفته حمامات القاهرة في نفس الفترة [2] و ليس في تساوي عدد القاعات الرئيسية و إنما في تسلسلها أيضا ، كحمام سيدنا الذي خضع لنفس النمط و لم يكتف بالقاعات الثلاث الرئيسية و إنما تجاوزها الى قاعات إضافية أخرى* .و قد خضع تسلسل القاعات بالحمامين الى مقياس علمي يتناسب و شروط السلامة الصحية ، فمن الجو المعتدل ــ العادي ــ إلى الدافئ فالحار و المستحم في حركة بينها يقي جسمه من التغيير المفاجئ لدرجة الحرارة مما قد يؤذيه ذلك و هو ما يسبب غالبا نزلات البرد و إن الإهتداء إلى ربط القاعات حسب هذا التتابع أقره المعماري المسلم لما فيه من نفع كبير في حفظ الصحة مما يجعل الحمام مؤسسة ذات وظيفية صحية و تجارية .

ورد أنه في بعض الفترات الإسلامية كانت تضبط إجراءات داخل الحمام العامة ، حرصا على الحرمة و اتباع تعاليم الشريعة الإسلامية و هو ما كان في عهد الحاكم بأمر الله 386 .411 هـ ــ 996 .1120م ــ حيث شدد على الزي داخل الحمام و ضرورة الإلتزام بإرتداء الإزار لتحقيق الحشمة داخل الحمام [3]. و كان أن ميّز العهد الفاطمي تحريم دخول الحمام بدون إزار إلى أن حرم على النساء دخول الحمامات العامة و هو العهد الذي عرف تجارة العطور و التي كانت توزع على الحمامات في كل يوم جمعة[4].

---

(1) – PAPADOPOUL .O .P.CIT. p.147..

(2) – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 385 .

* أرشيف حصن 23 .

(3) – نفسه ، ص . 384.

(4) – حسن ابراهيم ، المرجع السابق ، ص . 567 .

في حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام باش آغا ــ كما في بقية الحمامات ــ ينفرد كل مستحم بحوض واحد يعدل فيه درجة حرارة الماء حسب ما يناسب جسده . و تنفتح في كل حوض حنفيتان إحداهما للماء الساخن و أخرى للماء البارد .

يأخذ المستحمون لوازم الإستحمام كأنواع الصابون و الطاسة و القبقاب و لفائف خيوط الصوف و الوبر و قبقاب ، و عادة ما يكون بالحمام خادم يدعى المدلك أو الطياب و تحت أوامر المستحم[1] يساعده في تنظيف جسمه بالدلك ، إما في قاعة التعريق هذه أو في خلوة من خلوات القاعة . ثم يغسل بالماء و يلف جسمة بمنشفة جافة ، يخرج من القاعة الساخنة تحت دعوات الصحة بالإستحمام . متوجها إلى القاعة الدافئة و منها إلى القاعة الباردة ، أين يستريح و عادة يقال لمن خرج من الحمام ؛ طاب حميمك و يقصد به الإستحمام و قد يعني العرق أي طاب عرقك و إذا دعي له بطيب عرقه فقد دعي له بالصحة لأن الصحيح يطيب عرقه[2].

---

(1) – PAPADOPOULO . .P.CIT. p 148..

.OP.CIT.p 148.

(2) – ابن منظور ، المرجع السابق .ص . 334.

3 ــ ملحقات الحمام :

الموقد :

الموقد* أو ما يعرف ببيت النار أو موضع النار في الحمامات و غيرها ، يطلق عليه المخزن في دمشق ، الفرناق في تونس ، يوجد عادة خلف الحمام لتسهيل تزويده بالحطب و غيره [1] و الذي كان يوضع في مستودعات خاصة [2] و يقام الفرناق على أرض أقل انخفاظا من مستوى الحمام ، لتمكين الدخان و البخار من المرور تحت بلاط الحمام و استغلاله ، ليسهم في تدفئة قاعاته [4] و عادة ما ينتهي الموقد في أعلاه بمدخنة ، من خلالها يتم صرف الدخان الناتج عن الحرق[5].

يصمم الموقد إما مربعا أو إسطوانيا بشكل حفرة مفرغة ، يتشكل في الحمامين من عناصر أساسية بمثابة أقسامه و هي ؛ المستودع الخاص بجمع و حفظ مواد الحرق ، و موضع الحرق الذي توضع فوقه قدور نحاسية مملوءة بالماء ، لتسخينها و منها تنبع أنابيب الماء الساخن إلى القاعة الساخنة و هي الطريقة التي إتبعت في حمامات الجزائر في العهد العثماني. و لا يختلف تصميم الموقد بين حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام باش آغا من حيث أقسامه عن الموجودة بحمام سيدنا حيث كان به غرفتين أولى مخصصة لحفظ الحطب و أدوات الإشعال و اخراج الرماد و غرفة ثانية هي موضع الحرق* . و يكمن الفرق بين فرناق حمام سيدي عبد الله و فرناق حمام بوعلام بن شريفة باش آغا في سعة موضع الموقد فهو في الأول أكثر إتساعا . (شكل : 40) .(شكل : 41) .

تسخين الماء و توزيعه :

إن إحتواء الحمامات على خزانات المياه ، يميزها كثيرا عن العمارة المدنية الأخرى* و الماء من العناصر الأساسية التي لا يمكن الإستغناء عنها في الحمامات ، فخدمة الحمام المقدمة تقع على

---

* حسب ما ورد لدى الأستاذ محمد الطيب عقاب .

(1) – عثمان عبد الستار . مرجع سابق ، ص. 247.

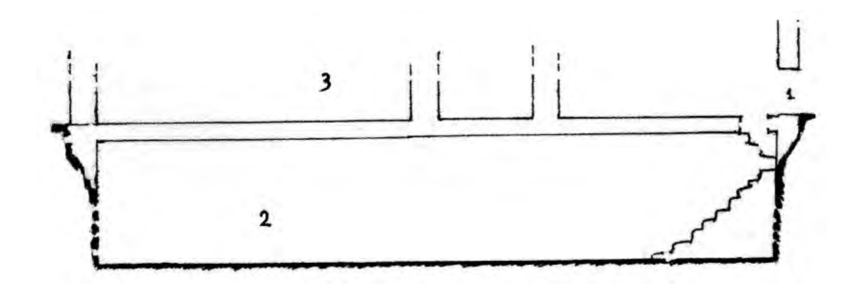
(2) – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص. 140.

(3) – نفسه ، ص . 140.

(4) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق . ص .282.

* أرشيف حصن 23 .

* نجد في المسكن خزان للمياه أو ما يعرف بالماجل لكن ليس بالوفرة التي نجدها في الحمام .

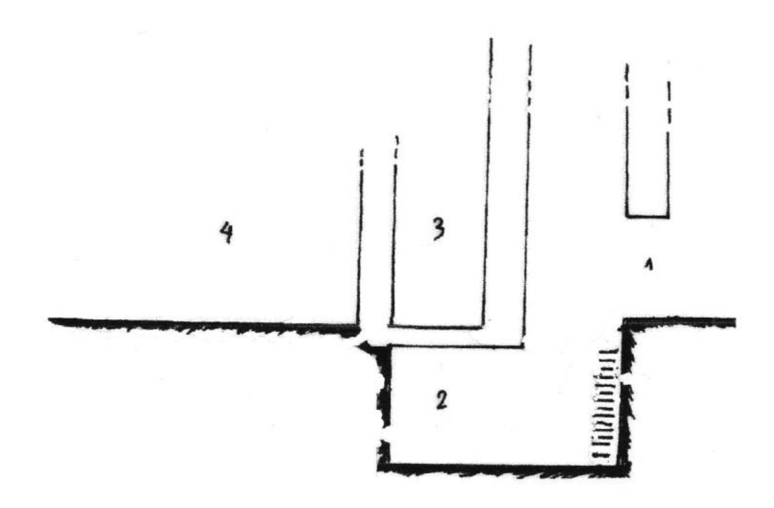


1 ــ مدخل الفرناق .

2 ــ موضع الفرناق ــ أرضي ــ

3 ــ القاعة الساخنة .

(شكل : 40) موضع الفرناق في حمام سيدي عبد الله .



1 ــ مدخل الفرناق .

2 ــ موضع الفرناق ــ أرضي ــ

3 ــ القاعة الدافئة .

4 ــ القاعة الساخنة .

(شكل : 41) موضع الفرناق في حمام بوعلام بن شريفة باش آغا

الحاجة إليه ، بنوعيه البارد و الساخن . و قد إعتمد في أستغلال المـــاء في العهد العثماني بالجزائر على الآبار و خزانات المياه ، و مع وفود الأندلسيين أدخلت قنوات المياه كعناصر جديدة لتسهيل إيصال الماء للعامة [1] و كان يتم تمويل حمامات مدينة الجزائر في العهد العثماني بالماء بالقنوات * و عبر أنابيب أرضية ، و تقدم من فترة إلى أخرى ضريبة شهرية ، تحت رعاية خوجة العيون[2].

تتنوع طريقة تسخين القاعة الساخنة ، حيث إستعمل البخار الناتج عن عملية الغليان في تدفئة الحمامات الرومانية و هي الطريقة التي إستمرت إلى حمامات العصر الإسلامي الأول و لم يعتمدها المصريون في حمامات القاهرة ، لإعتدال درجة الحرارة في الشتاء . و إن الحمامات الأولى كقصير عمرة ، مثلا ، كان يوصل إليه الماء عبر " قواديس إلى سطح المبنى و من السطح كان الماء يجري إلى غرف المبنى و الحمامات " [3] كما عرف حمام الصباغين في طريقة توزيع الماء به إستعمال أنبوبين منفصلين عن بعضهما البعض ، أحدهما للماء البارد و الآخر للساخن هذا الأخير الذي ينبع من خزان كبير للماء الساخن[4].

و كغيرها من الحمامات العامة ، زوّد حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام باش آغا بخزانات لحفظ الماء و هي كافية لتسييره على الأقل ليوم واحد ، بحيث يوجد واحد منها في القاعة الدافئة في كلا الحمامين و هو جداري و ليس أرضي و بعيدا عن الفرناق ليحتفظ ببرودته ، و صممت أنابيب لتوزيـــع الماء داخلـــه ؛ الأنبوب الرئيسي هو الأنبوب الخارجي ــ العام ــ الذي يتفرع عنه الأنبوب

---

(1) – Heinri KLEIN , Feilles…p 53 .

* منها : قناة الحامة بمدينة الجزائر بطول 5 كلم سنة 1662م من طرف الأندلسي سطا موسى . و قناة تليملي بطول 2 م بطول كلم و قناة بيرترارِيا و هي كلمة تركية و تعني بئر الإنتعاش . و قناة عين زبوجة و التي كانت بطول 19 كلم.

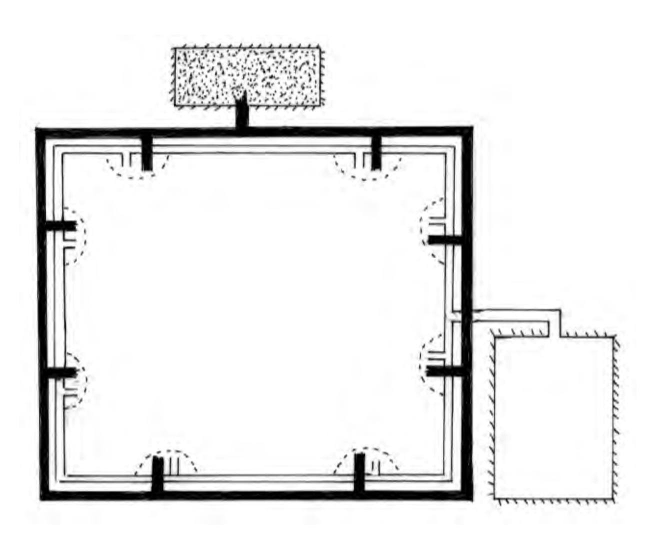
(2) – Albert DEVOULEX .El djazair .p 164.

(3) – سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص . 112.

(4) – G . MARÇAIS , les monument OP.CIT.p 165.

الخاص بالحمام و من هذا الأخير تتفرع أنابيب داخلية إلى الخزانات الموجودة بقاعات الحمام .*
(شكل : 42) و يراعى في تصميم الأنابيب و توزيعها في المبنى بأن توجه نحو القاعة الساخنة و أحيانا نحو الغرفتين الدافئة و الساخنة معا و يتفادى مرورها تحت أرضية القاعة الباردة أو بمحاذاة جدرانها. و قد زودت الحمامات الأثرية السابقة بقنوات إما فخارية أو رخامية أو رصاصية و إستعملت حتى الخشبية و ضعت هذه القنوات مكشوفة أو تحت الأرض أو في الجدران .[4] و يندفع الماء الساخن و الهواء الساخن إلى أماكن الإستحمام خلال القنوات .[5] أما صرف المياه فيكون عبر بلاليع في أرضية القاعة الساخنة إلى أقنية خاصة و منها تصرف إلى القنوات العمومية .

و يمكن القول أن عبقرية تصميم الحمام العام حققت له دورا نفعيا و هو ما لاحظناه بدءا من حمامات القدامى إلى الأحدث منها ، حتى أمكن القول أنه إنجاز معماري متكامل الأقسام و أدوار أجزاءه و قد إرتبطت وظيفة الحمام العام بالتراث الشعبي للمسلمين و هو ما أسهم في إبقاءه بالرغم من قيام حمام خاص في كل بيت .



..انثشح انماءانغاخ ه -
▬ أنثىبانماءانغاخ ه .
— أنثىبانهاء انثشد .
--- الأحو اع .

(شكل : 42) ذ ظ ن ص غانماءانغاخو انثشد فانقاعحانغاخح .

---

[1] – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص .140.

[2] – لمعي مصطفى ، التراث ... ، ص . 63 .

ثانيا : الحمامات الخاصة :

هناك عناصر جوهرية تساعد على التعرف على غرفة الحمـــام الخاص ، منها القبة و المدخنة و كذلك العيون في جدران الغرفة و إن المكان الذي إعتدنا و جود الحمام الخاص به هو الطابق الأعلى أي فوق المطبخ مباشرة و هو ما يؤكده محمد الطيب عقاب في قوله : " المعمول به في العمارة الجزائرية الإسلامية أن الحمام يكون بجانب المطبخ أو فوقه ." [1] و صعب تحديد موضع الحمام في دار عزيزة ، لعدم وجود العناصر التي تدل عليه ، من عيون و قبة ، بينما في دار عابد فتم تحديده بحيث يشغل ركن الدار و يشبه النماذج العثمانية في مدينة الجزائر، تدل عليه القبة الثمانية الأضلاع و هو بمسقط مربع .

يتشكل الحمام في بعض من قصور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من غرفة واحدة في الطابق الأرضي و منها ما إحتوى على قاعتين و غرفة ثالثة للإستراحة ، مثلما في قصر حسن باشا[2] و دار عزيزة أيضا ــ بمدينة الجزائر ــ [3] أما في دار الحمراء فنجد الحمام في طابقها الثالث و هو بمسقط مربع الشكل[4] .

و كان يتم تسخين ماء الإستحمام بالموقد الذي كان يصمم تحت أرضية القاعة بإستعمال قدور نحاسية و خير ما نستشهد به حمام قصر حسن باشا الذي كان به ثلاث أجران ، يشهد لها بالجمال إلى درجة إعتبارها من أجمل ماترك دايات الجزائر [5]. و في غياب القدور النحاسية بحمام دار عزيزة و عابد و كذا إنعدام العيون و الأحواض لم يتح الأمر لنا فرصة التعرف على طريقة تسخين الماء و كيفية إستغلاله عبر القنوات .

---

(1) ــ محمد الطيب عقاب ، قصور.. ، المرجع السابق ، ص .102 .

(2) ــ نفسه ، ص . 86.

(3) ــ Lucien.GOLVIN . palais ... OP.CIT . P. 40 .

(4) ــ .IBID. P. 70.

(5) ــ محمد الطيب عقاب ، قصور.. ، المرجع السابق ، ص .116.

من خلال ماسبق ، نلاحظ أن الحمامات الخاصة بالقصور العثمانية تتكون من حجرة واحدة خلافا لما عهدناه في أولى الحمامات الخاصة التي إشتملت عليها قصور العصورالإسلامية المبكرة و التي اشتملت على نظام الحمامات العامة بقاعاتها الرئيسية الثلاث و إن إقتصار الحمام الخاص بدار عابد على قاعة واحدة قد يرجع إلى كونه أنشأ في الفضاء الداخلي للدار ، أي أن قاعته تنفتح مباشرة على الداخل ، فليس هناك من حاجة إلى القاعتين الباردة و الدافئة و بالتالي لا يخشى على الجانب الصحي للمستحمين .

يوجد من الحمامات الخاصة ما عبرت تعبيرا صادقا عن نمط الحمامات العامة و هو ماجاءت عليه حمامات القصور الأموية التي أعتبرت نموذجا مصغرا للحمام البيزنطي العام كما يعتبر الحمام الخاص بقصر العظم في دمشق نموذجا مصغرا للحمام العام [1] . و قد ساهم إنتشار الحمامات الخاصة في التقليل من إنشاء الحمامات العامة و الذي " كان نتيجة للتطور الإجتماعي و السكني " [2] .

---

[1] ــ غالب عبد الرحيم ، المرجع السابق . ص. 143.

[2] ــ عبد القادرالريحاوي ، المرجع السابق ، ص . 164.

الفصل الخامس

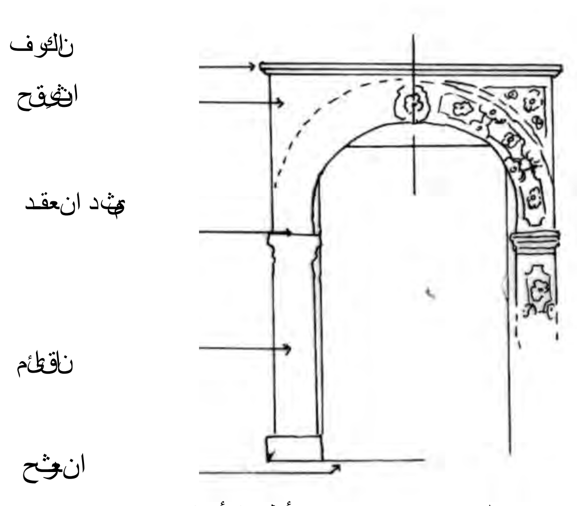
العناصر المعمارية

المداخل :

تعرف المداخل على أنها كل فتحة في بناء مما يغلق عليه بمصراع أو بمصراعين أو أكثر [1] وتعتبر المداخل الواصلة بين وسطين ؛ عام و خاص كما تنظم الحركة بينهما . و جعلت الرئيسة منها في أسوار المدن منذ العهود القديمة إلى الفترة العثمانية و كانت تقوم عليها حراسة مستمرة كما ضبطت مواقيت فتحها وغلقها و في حالة وجودها كمداخل فرعية ، فإنها تصل بين القاعات الداخلية للمباني كما أنها تشكل في المباني الدينية و المدنية محور إبتداء حرمتها [2] بحيث تعطيها أمانا وحماية و تنجز متينة من الخشب يحدها إطار من الرخام عموما[3] .

إعتدنا في عمارة المساجد على وجود المداخل في الجدار المقابل لجدار القبلة كأنسب موضع . ليليه موضعها في الجدران الجانبية مع إنعدامها في جدار القبلة *.

و يختلف تصميم النوعين من المداخل ــ الرئيسية و الفرعية ــ بحيث تصمم الأولى ضخمة ومرتفعة أما الثانية أصغر زيادة على إختلاف آخر بينهما يشمل طرق تزيينها ، فقد حضيت مداخل الواجهات الرئيسة بحلة تزيينية لم تحل بها المداخل الفرعيـــة ، كونها أول ما يصادف الناظــر ، بإنفتاحهـــا على الشوارع و شمل تصميمها كلا متكاملا بين الإطار الرخامي أو الحجري والباب الخشبي (شكل : 43) الذي برع الفنانـــون في تركيب أجزاءه و قطعـــه و يتم فتح المداخل عادة نحو الداخل تجنبـــا لإعاقـــة المارة عند فتحها أما



)شكل رقم : 43 (مخطط لإطار الأبواب .

(1) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص .66.

(2) ــ محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص. 66.

(3) ــ A, BERQUE , l’Algerie terre d’art et d’histoire , Alger , 1937.p.240.

* خصت المساجد الفاطمية بالمداخل التي تتوسط الجدار المقابل للقبلة ويقصد هنا المداخل الرئيسة للمسجد دون مدخل المقصورة . كجوامع كل من الأزهر، الحاكم، الأحمر، صالح الطلائع والسيدة رقية .

مداخل الغرف والمرافق فإن ما يلاحظ عليها إنفتاحها نحو الخارج ، لإرتفاع أرضية الغرف عن أرضية الأروقة .و يختلف موضع المداخل بين الركن و منتصف الواجهة و غيرهما*.

إتبع المعماري في العهد العثماني الأسلوب الشائع في إنشاء مداخل المساكن بحيث يصمم المدخل الرئيسي على أن لا ينفتح مباشرة على وسط المسكن و هو التقليد الذي ساد في مساكن الفسطاط التي كانت من النوع المنكسر [1] و نفس الأسلوب إستمر إلى العهد العثماني في مساكن القاهرة[2]. و كان الغرض من إنشاء تلك المداخل المنكسرة لحجب أنظار المارين من أن تقع على داخل المسكن .

نقلا عن الأستاذ عقاب الذي أعطى تفصيلا دقيقا لتركيب المدخل (شكم : 44) ، نذكر عنه مايلي ــ بتصرف ــ " يصمم إطارا و يثبت في الجدران حاجب يخفي إلتصاق الإطار بالجدار و يثبت على هذا الإطار مصراعين * ، و يتكونان من قائمتين و رأسين ". أما في حالة الأبواب المركبة من حشوات فإنها إضافة إلى القائمتين و الرأسين فإنها تشمل عددا من الرؤوس العرضية * التي تضم بينها الحشوات[3]. و يوضع على طول أحد المصراعين أنف " يخفي الشق بين المصراعين "[4]

و هذا التركيب يعطي الباب متانة و صلابة كما يصمم في أعلى دفة المدخل الرئيسي فتحات " مشبكة تسمح برؤية من في الخارج قبل الفتح" [5] ، تساعد على التعرف على الوافدين على الدار و هي الصورة التي نجدها في مداخل مساكن مدينة الجزائر. و" تتحرك الأبواب عند الفتح و الغلق بصنارة بارزة من الحجر أو الخشب المزخرف أو من النحاس المزخرف بأشكال هندسية أو نباتية كما في دور سامراء"[6] و تغلق الأبواب من الداخل بواسطة " مزالج بسيطة و طويلة " [7]. و صممت لبعض المداخل أبواب صغيرة تسمى خوخات* بحيث " تثبت ... إلى عضادة الباب الكبير بواسطة مسمارين

---

* عن أمثلتها انظر رفعت موسى ، الوكالا ت ، حيث قام بدراسة مفصلة لوضع المداخل في المنازل .

.(1) ــ رفعت موسى محمد ، المرجع السابق ، ص. 104.

(2) ــ نفسه ، ص .ص .216. 218.

* و يعرف أيضا بالضلفة.

* تجمع حشوات من الخشب.

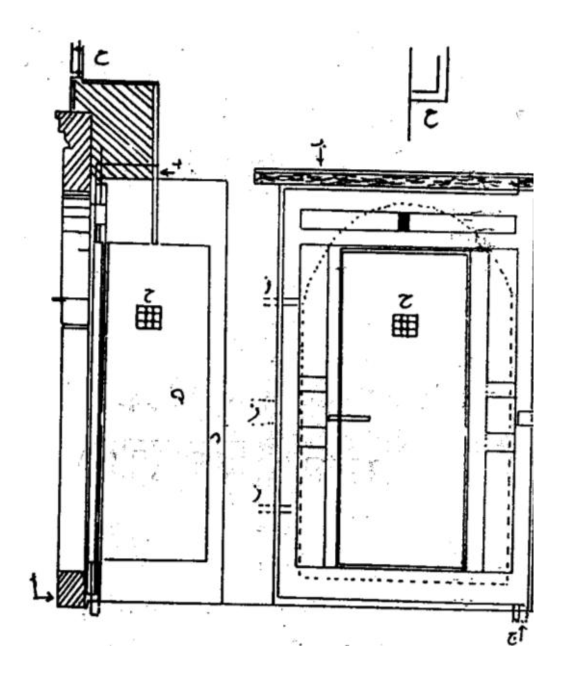
(3) - أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص.39.

.(4) - عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص .23.

- (5) A .BERQUE , OP.CIT.P.241.

(6)- محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص. 67.

(7)- محمد الطيب عقاب ، قصور ... المرجع السابق ، ص .156.



)شكل م : 44 (تفصيل لتركيب الابواب .عن : محمد الطيب عقاب ــ

طويلين يثنيان إلى الإتجاه المعاكس حتى لا ينزاح عن مكانه " [1] و ذلك تقصير المسافة بحيث يتجنب فتح الأبواب الكبيرة ، هذه الأخيرة التي تفتح عند الضرورة ، و الهدف من ذلك أمني ، مثل ما وجد في دار الإمارة في الكوفة [2] و التي تغلق من الخارج بمزالج صغيرة " [3].

الفتحات :

يضم مفهوم الفتحات أنواعا من التصاميم التي تنجز في الجدران ، لمنافع واضحة و محددة ، منها الإضاءة أو التهوية أو كليهما معا و هي على شاكلة النوافذ و الشمسيات و القمريات .

النوافذ :

تعتبر النوافذ نوعا من أنواع الطاقات[4] التي تقام في المباني بشكل فتحات لغرضين

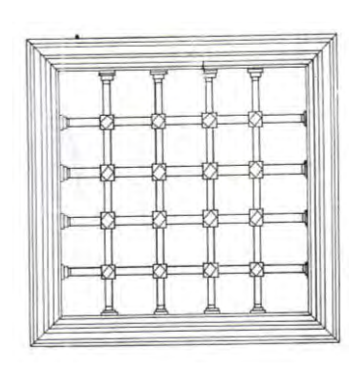
(1) ــ محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص.151.

(2) ــ محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص .67 .

(3) – محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص. 156.

(4) – أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص .65 .

أساسيين ؛ التهوية و الإضاءة و دور آخر هو الإشراف على الخارج [1] . و تختلف أحجام النوافذ طبقا لطبيعة المبنى ، ففي المباني السكنية تكون صغيرة الحجم خاصة التي في الطابق الأرضي و تصمم بحيث تفتح على الصحن ؛ و تسيج بقضبان حديدية)شكل رقم :45 (بحيث تتماسك القضبان بواسطة سنابل بشكل مكعبات بأضلاع منتظمة ومتعددة الأوجه[2] .



)شكل رقم :45 (سياج نافذة

حرص المسلمون في العصر الإسلامي المبكر على جعل النوافذ صغيرة الحجم و بإرتفاع واضح كما كان في بيوت سامراء [3]. و كانت هناك قوانين عرفية تضبط إقامتها، بحيث لا يسمح بمضايقة الجار ، رغم كون المرء في ملكه الخاص و كانت بداية هذا التوجيه من شكوى قدمها أحد الفسطاطيين إلى الخليفة عمر و أصبحت الأساس الذي انطلق منه نظام النوافذ في منازل المسلمين فإقتصر إنشاءها على إدخال الضوء والهواء دون الإطلال على بيوت الجيران [4] وصممت النوافذ الداخلية من دفتين من الزجاج [5] و غلب عليها الشكل المربع في قصور مدينة الجزائر المنتمية إلى العهد العثماني .

---

(1) – أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص. 65 .

(2) – محمد الطيب عقاب ، قصور ....، المرجع السابق ، ص. 158.

(3) - محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص . 68 .

(4) ــ محمد عبد الستارعثمان ، المرجع السابق ، ص . 335.

(5) ــ أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص .65 .

الشميسات ــ القمريات ــ :

تعتبر الشمسيات و القمريات هي الأخـــرى من الفتحات الهامة في المبانـــي ، خاصة المساكن و هي تتقارب من حيث تصميمها و مواضعها و الدور المنسوب إليها ، فكليهما عبارة عن فتحات مستطيلة معقودة بقوس نصف دائري [1] و تصنع من الحجر أو الرخام أو الجص و مستورة بالنقوش الجصية المعشقة بالزجاج الملون و المتنوعة من زخارف بين هندسية و نباتية و كتابية و تملأ فراغاتها بزجاج ملون ، و توضع احدى هذه اللوحات المخرمة على الوجه الداخلي للجدار و الأخرى على الوجه الخارجي و كان أول نموذج للشمسيات ــ القمريات ــ و أشهره عند المسلمين التي بالمسجد الا موي بدمشق . أما التي من الجص فموجودة في جامع ابن طولون[2] و استعملت الشمسيات و القمريات كثيــرا في المساكن العثمانية بالجزائر لإمكانية تسرب نوري الشمس و القمـــر إلى داخل المسكن في حالة غلق الأبواب و النوافذ نهارا أو ليلا ؛ بنور ينبعث بين تخريماتها بشكل بديع و ترسل ألوان القطع الزجاجية إضاءة ملونة تضفي بهجة و انشراحا إلى الداخل .

و أحصي عددها و حددت مواضعها في المساكن ــ النماذج المدروسة ــ بحيث صممت شمسية واحدة فوق كل نافذة و كل خزانة جداريـــة و تعددت فوق أبواب الغرف و فوق إيوان الغرف و على جانبيه[3].

عناصر الدعم :

تعتبر عناصر الدعم من أهم العناصر التي تسهم في تقوية المبنى ، لمنحها صلابتها . و نجدها في غالبية المباني الأثرية بأشكال و أحجام متنوعة و تدخل ضمنها القواعد و الدعامات و الأعمد .

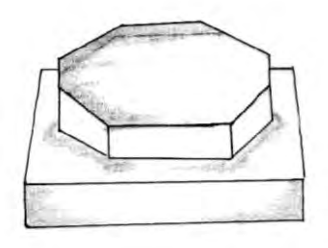
---

(1) ــ محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص. 160.
(2) ــ يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص .65.
(3) ــ محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص. 160.

القواعد :

القواعد عناصر معمارية تدعيمية توضع عليها الأعمدة . تتنوع أشكالها بين الدائرية و المضلعة و المربعة (شكل رقم :46) و وجدت أمثلة للقواعد الدائرية الشكل في مدينة الجزائر من الفترة العثمانية في قصري عزيزة و حسن باشا . أما القواعد المضلعة فمن أمثلتها التي في أروقة قصر خديوج و أروقة قصر الدار الحمراء[1] و ليس هناك مقياسا لتحديد إرتفاع القواعد .

يوجد من الأعمدة ما إستغني فيها عن القواعد بحيث وضعت مباشرة على أرضية المبنى مما يدل على إمكانية الإستغناء عنها و بالتالي يمكن للعمود أن يقوم بدوره التدعيمي من دونها .



(شكل رقم :46) قاعدة مربعة لعمود مضلع .

ظهرت منذ القدم نماذجا رائعة للقواعد الحجرية و زخرفت في بعض الأحيان كالتي في الكنيسة الرومانية بتبسة[2] مما يؤكد على قدرة المعماري على دمج الصور الفنية الزخرفية بالصور المعمارية مما يظيف للعنصر المعماري قيمة فنية لقيمته المعمارية .

---

(1) – محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص. 160.

(2) – Paul ALBERT FEVRIER, l’Art de l’algerie antique .

الدعامات :

تعتبر الدعامات من الوسائل التي إعتمد عليها المعماريون في تقوية البناء و اعطاءه قوة تحمل وصلابة وهي عناصر معمارية جديدة في العمارة الإسلامية ، كان أول نموذج لها في قبة الصخرة (691 م) والجامع الأموي بدمشق (718 م) ، ثم إنتقل استعمالها إلى مصر و تحديدا في جامع بن طولون[1].

تنوعت أشكال الدعامات في العمارة العثمانية ما بين المربعة ، المستطيلة ، الثمانية الأضلاع والمتقاطعة و المستديرة كما تنوعت مواضـــع إستخدامها ؛ فهي تستعمل تارة لحمـــل القبة و أحيانا في الأركان[2] و من نماذجها بمسجد الباشا بوهران [3] أما في مساجد مدينة الجزائر فقد استعملت في مسجدين فقط هما مسجد علي بتشين و مسجد المصيدة ، كعناصر دعم للقبة المركزية[4]. أما في عمارة مساكن مدينة الجزائر، فهي في الطابق الأرضي، بأنواعها المستطيلة والمربعة والمستديرة[5].

---

(1) ــ محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص . 10.

(2) ــ محمد الطيب عقاب ، قصور ، المرجع السابق ، ص .63 .

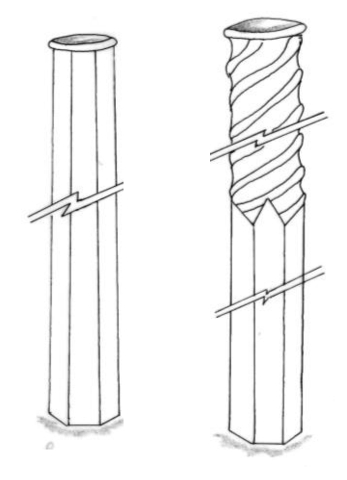
(3) ــ مبروك مهيرس ، المساجد العثمانية بوهران و معسكر ، دبلوم الدراسات المعمقة لعلم الاثار ، اشراف د : رشيد بورويبة ، جامعة الجزائر ، 1981ــ1982 ، ص .115 .

(4) . Rachid DOKALI , op.cit, p.43

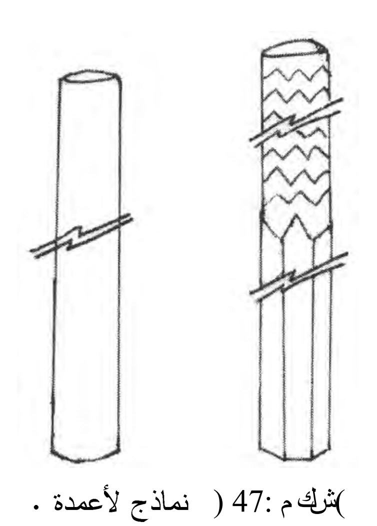
(5) - محمد الطيب عقاب ، قصور ... ، المرجع السابق ، ص. 193.

الأعمدة :

خص العمود في كتابات المؤرخين العرب بلفظ إسطوان و تنوع اللفظ بين العمود في العمارة المشرقية و السارية في العمارة المغربية [1] و شمعة في في لبنان[2] و الأعمدة عبـــارة عن أبدان إما مستطيلة الشكل أو مربعة أو إسطوانية أو مضلعة)شكل رقم :47 (وهي أيضا من العناصر المعمارية الهامة التي تسهم كثيرا في دعم المبنى كدور رئيسي في الدعم العمودي[3] برفع الأسقف . كما تسهم في حفظ توازن المبنى ، كدور آخر ، نتيجة توزيعها الدقيق و المتساو الأبعاد . كما أن أحجامها المتساوية و المتناسبة المقاييس من حيث طولها و قطرها لها هي الأخرى دورا هاما ، إذ تمد المبنى السلامة و تحفظه من التضعضع[4].



إستعمل القدامى الأعمدة و اهتدى المعماري إلى الإقتباس عن الطبيعة فكـــرة استعمال وسائـــل الرفـــع و الدعم حتى أمكن إعتبار عمارة العمود الحجري نقلا حيا للعمود الطبيعي المتمثل في جذوع الشجر* و حمل العمود إسم الأزهار و النباتات التي تعلوه [5] فظهر من أنواعه اللوتس ، البردى ، ذات الزهرة و المركبة و من أشكاله المربع و المستدير وذي الخدود[6] .



)شكل رقم :47 (نماذج لأعمدة .

(1) - محمد عاصم رزق ، المرجع السابق ، ص. 250.

(2)- يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص.49.

(3) - Jean pier ADAM ,la Construction romaine , materiauxet tecnique, , picard , paris, troisieme edition ,p123.

(4) - محمد الطيب عقاب ، قصور...، المرجع السابق ، ص. 164.

* فكرة مستوحاة من قول لـــ. jean pier adam .OP.CIT.P.123.

(5) - عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص. 39.

(6)- Jean pier ADAM , op.cit, p.p. 125.126.

و استعمل العمودان الدوري و الكورنثي عند كل من الإغريق و الرومان [1] إضافة إلى الأيوني. أما المصريين القدامى فقد إعتمدوا على العمودين البسيط و شبه الدوري اليوناني[2]*، بموازاة مع ما كان لدى الرومان من أرقى مظاهر التشييد ، انحصرت عمارة المسلمين في شبه الجزيرة العربية في أول عهدهم على إستعمال جذوع النخيل كعنصر أساسي في رفع سقف منشآتهم مثل ما فعلوه في أول مسجد بنوه ، حيث لم تكن لهم دراية كافية بإنشاءها و بالتالي لم يكن لهم طراز خاص في هذا العصر المبكر[3] ليتمكنوا فيما بعد من استغلال المباني القديمة ، فأخذوا منها الأعمدة المتينة الصنع [4] و مع ذلك بدأ يظهر العمود الإسلامي و الذي أخذ بالتدريج شكلا يميزه عن أعمدة الطرز الأخرى[5].

نظرا للأهمية المعمارية للأعمدة ، أخذها المعماريون المسلمون و وظفوها و جعلوا لها مواضعا عرفية ، منها على جانبي المحراب و في بوائك قاعات الصلاة و جعلوها في المساكن على جانبي مدخلها الرئيسي و في الأروقة المطلة على الصحن و أيضا في أواوينها و لم تترك الأعمدة من غير وضع لمسات جمالية عليها ؛ بين تخديدها و لفّها و تضليعها و تركها ملساء ، مما ألحق بتلك الأنواع تصنيفا و تنميطا . و كان أول ما إستعمل المسلمون أعمدة إسطوانية البدن ، بتيجان ناقوسية أو رمانية ، كالتي في قصر المعتصم في سامراء (221 هـ 835 م) ، ثم إبتكروا الأعمدة المثمنة التي إستعملت في عمائر السلطان الظاهر برقوق و نماذجا أخرى تداول إستعمالها كذات الأبدان المضلعة تضليعا حلزونيا و ذات ثلاث أرباع الدائرة [6]. و هي و إن جعلت كعنصر معماري تدعيمي * فإنه يتحتم مراعاة مادتها البنائية و أطوالها . أما إذا وظفت كعنصر زخرفي فإنه يعتمد على رشاقتها إضافة إلى مادة بناءها ، فالتي تبنى بالرخام ليست كالتي من الحجر لمظهرهما المختلف ، فالأول بمظهر أملس و جذاب و هو ما لا يتصف به العنصر الثاني .

---

(1) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص. 203 .

(2)– عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص. 39.

* البسيط ليس له قاعدة و لا تاج أما شبه الدوري فله أنواع ، يمكن الرجوع إلى بهنسي العمارة...ص .ص .39 .40

(3)– أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص . 135.

(4)– يحي وزيرى ، المرجع السابق ، ص. 49 .

(5)– أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص. 135.

(6)– نفسه ، ص. 135.

* خاصة اذا كان في البوائك حيث توضع بشكل متكرر.

إن النماذج القائمـــة في مباني العهد العثماني على نوعين ، منها ذات البدن الإسطواني الأملس المظهر و الرخامي الصنع و يوجد هذا النوع خاصة عند مداخل القصور أما النوع المركب فيتفرع هو الآخر إلى نوعين ؛ أحدهما بجزء سفلي مضلع و الجزء العلوي حلزوني و الثاني بجزء سفلي مضلع و جزء علوي مسنن و كثر إستعمالها في عمارة مساكن مدينة الجزائر [1] كما أن غالبية المساجد التركية بمدينة الجزائر اعتمد في " تجزئة المستوى الداخلي لها على الأعمدة " ماعدا في مسجد على بتشين ومسجد المصيدة و كانت تلك الأعمدة من صنع النحاتين الإيطاليين[2].

التيجان :

إن التيجان من العناصر المعمارية المرتبطة بالأعمدة وقد سميت كذلك كونها تعلو رؤوس الأعمدة و تزينها . و إذا تتبعنا المسار الأثري للتيجان سنقف ليس عند حد تنوعها فقط ، و إنما أيضا عند صورها المبتكرة و المتطورة .

إن أصل التاج قديم في العمارة الجزائرية ، كالنوع الحجري الذي شوهد أعلى أعمدة ضريح مدراسن و الذي يعتبر أكثر المعالم الرومانية حفظا و التي تعود إلى القرن 5 ق م [4] و رغم تعدد التيجان و تنوع زخارفها ، فإنها تتقارب شكلا ، من أولى الأشكال القديمة إلى ما إبتكر من التيجان المقرنصة التي إستعملت في العهد العثماني [5] . و ما وقف عنده المسلمون هو إدراج عنصر التاج في مبانيهم ملازما للعمود و استعملوا في بداية عهدهم التيجان التي كانت في المنشآت المندثرة لحضارات غيرهم . و بعد مدة من الزمن عرفوا أنواعا أخرى أدخلت ضمن قائمة مبتكراتهم ؛ منها التيجان على هيئة الناقوس[6] ، البصلية ، المقرنصة أو المزينة بأوراق نباتية في أسفل التاج لتشكل زهرة متفتحة من أشهر أمثلتها الموجودة بجامع إبن طولون بمصر[7].

---

(1)– محمد الطيب عقاب ، قصور...، المرجع السابق ، ص.164.

(2) . RACHID Dokali op.cit , p . 43 .45.

(3)– paul albert fevrier .OP.CIT. P. 12.

(4)– عبد القادر الريحاوي ، مدينة دمشق ، المرجع السابق ،ص . 137.

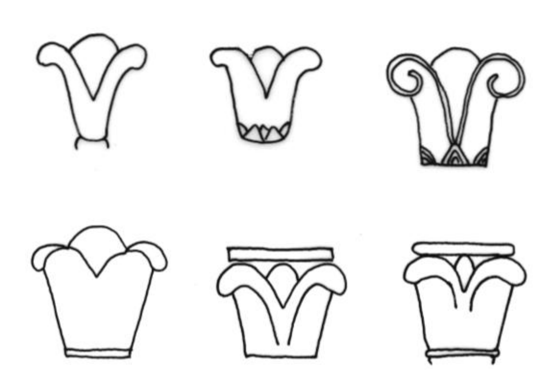
(5)– عبد القادر الريحاوي ، العمارة عبر التاريخ ، المرجع السابق ، ص . 165.

(6)– محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص . 71 .

إتفق المعماريون في العهد العثماني على توحيد نمط التيجان في الجزائر [1] فكانت كلها ذات نمط كورنثي* و إن عرفت بعض الإختلافات الزخرفية كالتي في قصور مدينة الجزائر ، ما عدا تيجان رواق مقعد قصر دار عزيزة كما تكرر إستعمال النمط الأصيل للفن الجزائري و الذي يتكون من قسمين ؛ سفلي به أربع أوراق ملساء و قسم علوي متوازي الأضلاع[2].

بملاحظتنا لأنواع التيجان المغربية نرى التناظر في العناصر الفنية التي زينت بها و التي تضم في وسطها شكلا زخرفيا و هو ما تتفق عليه غالبيتهاو أصبحت مميزة لهذا الإقليم[3].

و من نماذج التيجان العثمانية التي أدخلت في عمارة مساجد وهران ومعسكر، التيجان المقلوبة و ذات القسمين شبه المنحرفة [4]. و يصمم التاج بشكل تكون فيه قاعدته دائرية و في زواياه العلوية أوراق مطوية بشكل حلزوني)شكل م :48 (، تضم بينهما شكلا هلاليا تارة و بلوزي تارة أخرى .



)شكل م :48 (تطور التاج ذو اللفائف الجانبية . عن بورويبة عن لوزين

(1)– محمد الطيب عقاب ، قصور ... المرجع السابق ، ص.169 .

* كورنثي نسبة إلى مدينة كورينثة الاغريقية القديمة و التي تقع شمال غرب اليونان

(2)- Rachid DOKALI .op.cit.p.45

(3)– عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص . 98.

(4) – مبروك مهيرس ، المرجع السابق ، ص . 106 .

و أعيد بعث التيجان ذات النمط الكلاسيكي الكورنثي في العهد العثماني نتيجة قيام علاقات تجارية بين الجزائر والدول الأوروبية خاصة مدن ايطاليا [1] و انتشر هذا النوع من التيجان و كان للنحاتين الإيطاليين مساهمة كبيرة في صياغة و نحت أغلب التيجان المستعملة في الجزائر في ذاك العهد[2].

الحدارات :

الحدارات كتل معمارية تصل أعلى التاج برجل العقد ، وظيفتها الأساسية الزيادة في إرتفاع منسوب منبت العقد و تتوافق قاعدة الحدارات مع السطــح العلوي للتاج من حيث توســع سطحيهما و استواءه و هي تصمم بشكل متدرج بحيث كل درجة من درجاتها تزيد من عرضها لتتسع لموضع إلتقاء عقدين .

الحوامل الخشبية :

تعرف الحوامل الخشبية)شكم :49 (أيضا بالأوتار الخشبية [3] و كثر إستعمالها في العمارة العثمانية بالجزائر إذ لوحظ وجودها في أعمدة البوائك بشكل قضبان اسطوانية تثبت عند بداية منسوب العقد [4] و تستعمل في الأماكــن التي لا يصل إليها الماء * و هي تؤدي دورا معماريا هاما و ذلك بتدخلها في تدعيم المبنى من حيث قدرتها على مقاومة القوى الأفقية الناتجة عن رفس العقود . كما أمكن إستغلالها كحوامل لوضع قناديل الإضاءة .

---

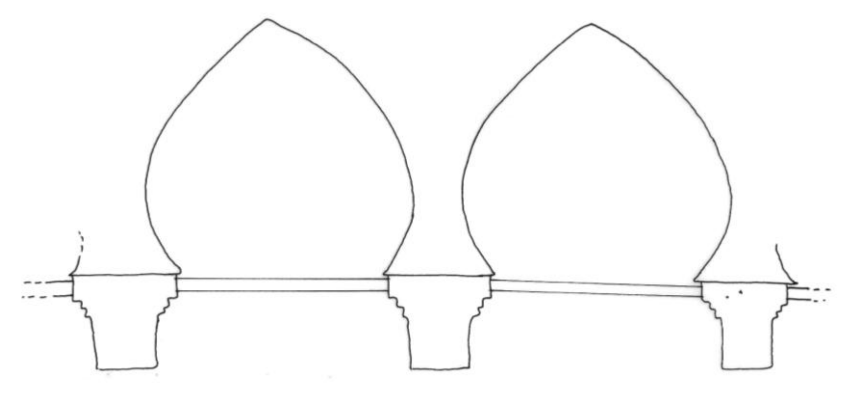
(1) ــ محمد الطيب عقاب ، قصور ...، المرجع السابق ، ص . 169.

(2)– Rachid DOKALI .op.cit.p 45 .

(3)– عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 204.

(4) ــ نفسه ، ص. 204

* يستحيل و ضعها مثلا في القاعة الساخنة للحمامات ، لتأثر الخشب بالمياه .



)شكل رقم :49 (موضع الحوامل بين حدارتين

العقود:

العقود وحدات معمارية على هيئة مقوسة[1] نتيجة ترك فتحة في البناء بوضع أحجار أو طوب أو مواد أخرى وفق نظام تراصها[2] كل حجرة تسمى فقرة أو صنجة[3] تتوسطها صنجة رئيسة تعرف بالمفتاح و تكاد تنحصر في نوعين أساسين هما العقد نصف الدائري والعقد المدبب [4] و العقود بأحجام متفاوتة تبعا لأبعاد فتحة العقد و ارتفاعه .

تعتبر العقود من الوحدات المعمارية التي تجمع بين دورين ؛ وظيفي معماري و جمالي ، ففي الحالة الأولى تبرز أهميته في قوة تحمل السقف ، الإنارة و التهوية من خلال فتحته. أما كعنصر جمالي فإن شكلها هو الذي يوحي بخفتها.

و فيما يخص أول ظهور للعقود يشير الباحثين إلى ظهورها في العصور القديمة ، دون المصريين الذيـــن لم يعرفوا استعمالها في عمائرهم بخلاف الرومـــان ، فلم يعرفوها فحسب و إنما

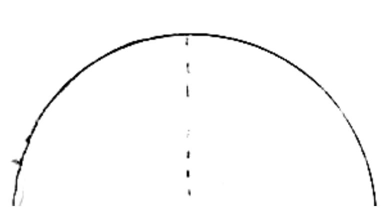
---

(1) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص .190.
(2) ــ فاروق عباس حيدر، تشييد المباني ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، 1986. ص. 137.
(3) ــ يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص .61 .
(4) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص . 190 .

أعطوها نسبا ، بحيث أخذ العقد لديهم من الأرض إلى باطنه ضعف عرضه [1] وقد تنوعت العقود المستعملة في المعالم المدروسة بين نصف الدائري ، المتجاوز والمتجاوز المنكسر وقلّ إستعمال النوع المفلطح .

العقد نصف الدائري :

يعرف العقد نصف الدائري بالعقد التام)شكل م :50 (و هو يتشكل من مركز واحد و يبدو أنه أول أنواع العقود ظهورا و حسب الدكتور عقاب فانه " ليس هناك اتفاق على أول استعمال له في العالم و لا بداية ظهوره و لوحظ استعمله في القديم و في التاريخ الإسلامي"[2] و عثر له أقدم نموذج في العراق العصور القديمة[3].و إستعمله الرومان و البيزنطيون [4] أما في العمارة الإسلامية فقد إستعمل لأول مرة في قبة الصخرة[5] ثم في قصر الحير الشرقي (120هـ . 728 ـ 729 م) و لوحظ استعماله في العمارة العثمانية بمدينة الجزائر بنوعيها الدينية و المدنية ، بحيث استعمل في أماكن محدودة من القصور كالمداخل مثلا .



)شكل م :50 (عقد نصف دائري ـ تام ـ

العقد المتجاوز:

يتألف العقد المتجاوز من قطاع دائرة أكبر من نصفها ، يرتفع مركزه عن رجل العقد كما يطلق عليه أيضا إسم حدوة الفرس لتطابق شكليهما و سمي أيضا بالعقد الإيراني[6].

(1) ـ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص. 190 .

(2) ـ محمد الطيب عقاب ، قصور... المرجع السابق ، ص. 175.

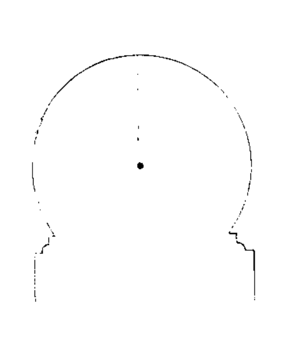
(3) – فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 201 .

(4) Lucien GOLVIN , Essai sur l’architecture religieuse musulmane , tome 1 , paris .1970. p.31

(5) ـ فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 201.

(6) Rachid DOKALI .op.cit p 50

إمتد إستعمال العقد المتجاوز)شكم : 51 (ما بين المشرق و المغرب الإسلاميين ؛ في المسجد الأموي بدمشق و في الأندلس في مسجد كوردو [1] وعن أصل العقد المتجاوز ، و حسب قولفن ، فقد إستعمله الساسانيين بإنكسار في أعلاه أحيانا و يعد من بين العناصر المعمارية التي أنتجها الفن المعماري الإسلامي و استخدم في العمارة المغربية جنبا إلى جنب مع العقد المفصص[2]*.



)شكم :51 (

أقبل معماريو المغرب الإسلامي و الأندلس على استعمال العقد المتجاوز بشكل واضح [3] في عقود بوائك المساجد والمساكن ، كما تبنت العمارة الجزائرية في مراحلها التاريخية إستعماله خاصة في قوس المحراب وأقواس بيت الصلاة و يلاحظ في مسجد سيدي أبي مدين وعقود بوائك مسجد سيدي الحلوي بتلمسان و الباب الرئيسي لمسجد الباشا وكذا قوس محراب وعقود بيت الصلاة بالجامع الكبير بمعسكر[4] كما غلب استعماله في أبواب الغرف في المساكن العثمانية بالجزائر[5].

العقد المتجاوز المنكسر :

إن العقد المتجاوز المنكسر)شكم :52 (عبارة عن قوس ناتج عن تقاطع دائرتين ، يزيد امتداده من

---

(1) — . David Talbo RICE ,.l'Art de l'islam p.77

*و القبة المخرمة ، في كوردو مثلا

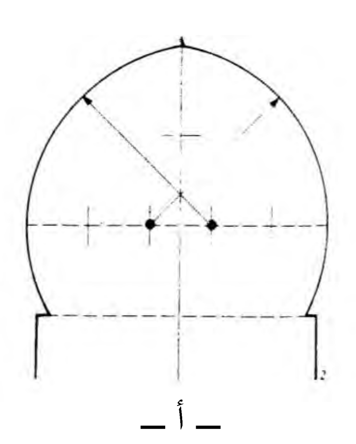
(2).. David Talbo RICE.op.cit.p.149.

(3) أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص .137.

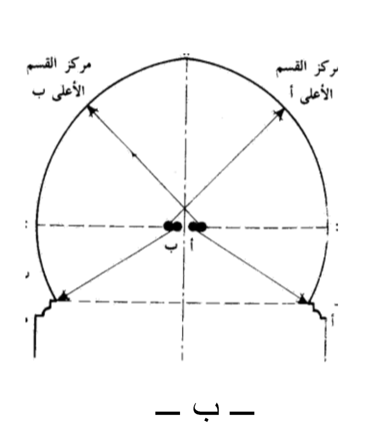
(4) مبروك مهيرس ، المرجع السابق ، ص. 120.

(5) – محمد الطيب عقاب ، قصور ... ، المرجع السابق ، ص . 175 .

أسفل عن خط إمتداد كتفي العقد [1] و ينشأ بمركزين* أو بأربع مراكز [2] و ظهر العقد ذي المركزين في الجامع الأموي بدمشق و في مسجد ابن طولون بمصر أما العقد ذي الأربع مراكز فقد ظهر في بغداد في مدينة الرقة و في سورية سنة 722 م و كذا في العراق في نفس السنة [3] و يطلق عليه أيضا إسم العقد الفارسي و كثر إستعماله في المواضع الرئيسية كالأروقة مثلا[4].



ـ أ ـ



ـ ب ـ

)شكل م :52 (تشكيل العقد المتجاوز المنكسر أ بمركزين ب بأربعة مراكز

يعتبر بعض الباحثين أن أول ما عرف العقد المتجاوز المنكسر كان لدى المسلمين و هو ما يذهب إليه الدكتور شافعي ، بحيث يعتبره إبتكارا إسلاميا و كان أول ظهور له في المسجد الجامع بحران[5] و في قصر الأخيضر ، أما كريزول ، فيرى أنــه و جدت له نماذجــا في منشآت مسيحيي

---

(1)– أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص .136.

(2)– يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص.61.

* كلما قرب المركزين من وسط العقد تزداد حدة الإنكسار في أعلى العقد و كلما بعد المركزين عن و سط العقد تنقص حدة الإنكسار في أعلى العقد .

(3)– محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص .69.

(4) – عبد القادر الريحاوي ، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري و الفني ، ص . 566.

(5) - Lucien GOLVIN , Essai ...op.cit. p .8

الشام و آسيا الصغرى و أصبح من أكثـــر أنواع العقود إنتشارا في المغرب الإسلامي أكثـــر منه في شرقه و ذلك منذ العصور المبكرة[1] و هو ما يذهب إليه قولفن بحيث يؤكد إنتقال إستعماله إلى عمارة المغرب الإسلامي و توظيفه في عمارة مسجدي القيروان و رباط سوسة [2] ثم إلى عمارة المغرب الإسلامي بحيث تصدر قائمة العقود التي استعملت في الجزائر في العهد العثماني و خصت له مواضعا ظاهرة ، فكانت منها أروقة مسجد القصبة . [3] و مسجد الباي محد الكبير بوهران (1207هـ .1892 م) و المسجد الكبير بمعسكر (1160هـ . 1747م) [4] و نجده أيض ـــا بأروقة الصحـــن بالمساكـــن و أبواب الغـــرف و الأواوين[5] " حتى إعتبرت الجزائر التركية الأكثر وفاءا له" [6] إضافة إلى أنه الشكل المميز للعمارة المغربية و الأندلسية [7].

العقد المفلطح

يسمى العقد المفلح)شكم : 53 (أحيانا بالعقد المستطيل و هو بين إستقامة نصف المستطيل و شكل البيضة المفلطح[8] و يعرف أيضا بمقبض القفة *، هكذا يسميه مارسيه ، و الذي يحدد تاريخه في عمارة مدينة الجزائر بالقرن 15 م [9] أما دوكالي فيرى أنه ظهر في القرن 16 م .و" لم يعرف أصله و يبدو أن الجزائر تنفرد به دون غيرها من البلدان الإسلامية " و لم يستعمله المعماريون لا في تونس و لا في المغرب الأقصى ولا في الأندلس[10] .

---

(1) - فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 203.

(2). Lucien GOLVIN , Essai ...op.cit .p.92.

(3). Rachid DOKALI .OP.CIT.P. 45.

(4) ـــ مبروك مهيرس ، المرجع السابق ، ص.120.

(5) ـــ محمد الطيب عقاب ، قصور ... ، المرجع السابق ، ص . 175.

(6). Rachid DOKALI .OP.CIT.P. 45.

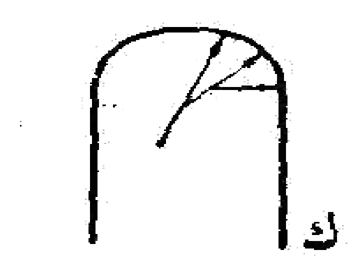
(7). .Georges MARÇAIS, les Monument .OP.CIT.P. 175.

(8) –محمد الطيب عقاب ، قصور ...، المرجع السابق ، ص. 177 .

* سماه مقبض القفة بسبب إنكسار طرفيه نحو الإستدارة و احتواءه على منطقة خطوط الشراشف المضرسة في وسطه الأفقي . عقاب 177 عن مارسيه .

(9). Georges MARÇAIS , l'Architecture... OP.CIT….p 450 .

(10) – محمد الطيب عقاب ،.مرجع سابق ، ص. 178.



)شكل رقم :53 (عقد مفلطح .

يوجد هذا العقد بكثرة في المساكن و القصور العثمانية في مدينة الجزائر حيث يلاحظ عند مقاعد السقائف و الخزائن الجدارية و فوق النوافذ و ينفرد وجوده في مسجد واحد بالجزائر هو مسجد سيدي عبد الرحمان ، مزينا للمئذنة[2].

الأسقف :

إن الأسقف من أساليب التغطية ، تنوعت أشكالها بين المسطحة و المقببة و يمكن أن ينفرد شكل منها في المعلم الواحد .

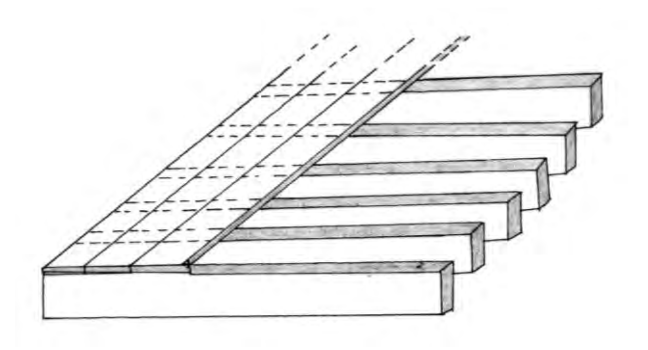
الأسقف المستوية :

إنّ الأسقف المستوية)شكل رقم :54 (من الأسقف الأكثر إستعمالا و هي مسطحة من الداخل و يناسب إنجازها تسقيف الغرف الطولية الشكل ، كما أنها الأنسب لإقامة مبان بطوابق و اقتصرت

---

(1). Rachid DOKALI .OP.CIT.P. 50.

أسقف العمائر بأنواعها في العصور الإسلامية المبكرة على هذا النوع من الأسقف [1] و ميزت كثيرا المساكن التقليدية بمدينة الجزائر [2] لتوفر الخشب و سهولة إعداده للتسقيف بحيث تتناسب أطوالها مع عرض الغرف ، الذي لا يتجاوز في كثير من الأحيان 4 م .



)شكل رقم :54 (**نموذج يوضح تركيب طبقات الأسقف المستوية**

القبة :

القبة أو ما تعرف بالخوذة لازمتها تسميات تبعا لشكلها الخارجي فجاءت القباب نصف كروية و مخروطية ، بصلية و مضلعة [3] و في كل الحالات أعطاها شكلِها المقبب من الخارج و المقعر من الداخل)شكل رقم :55 ( )شكل رقم :56 (تجانسا في وظيفتها و أمكن تحليتها بزخـــارف تنوعت بين كتابية و هندسية و مقرنصات .

---

(1)- صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 19.

(2) - محمد الطيب عقاب ، المرجع السابق ، ص .188.

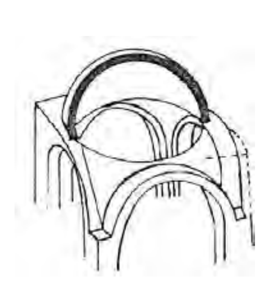
(3)- صالح لمعي مصطفى ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص.11.

* مقاييس التسمية هي : فنصف الكروية، تشبه كرة مشطورة من منتصفها، المخروطية بها رأس حاد و المضلعة تحتوي على أضلع متعددة

إن إختيار القبة كعنصر للتسقيف أخذ أوجها تكمل بعضها البعض ، أولهما هو إستغلالها لطرد القوة الحرارية ، كون سطحها الخارجي لا يتعرض دفعة واحدة لأشعة الشمس مقارنة بالسطح المستوي و ثانيهما المظهر الجمالي الذي يعطيه شكلها الذي يزيد من الرفعة السماوية للمبنى ، كما أنها تزيد من سعة الفضاء الداخلي للمبنى وتساعد على تجميع الأصوات و إرجاع صداها أثناء القراءات إضافة إلى صورتها التي توحي بخفتها رغم كبر حجم بعضها ومرجع ذلك المواد الخفيفة التي تبنى بها مثل ما هو بقبة آيا صوفيا [1].

بالرجوع إلى المراجع التي كانت دراسة القباب محور من محاورها ، نجد أن أولى القباب يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد في بلاد مابين النهرين و الشرق الأدنى [2] وعرف العصر البابلي إنشاء قباب الزيقورات (2125 ق م) و كثر إستعمالها في العمارة الرومانية و البيزنطية في نوعي مبانيها الدينية و العامة[3].





)شكل م :55 (قبة على حنايا ركنية)شكل م :56 (قبة على مثلثات ركنية عن : لمعي مصطفى

---

(1) - عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص .120.

(2) - جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص . 343.

(3) - صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ، ص .ص .18.17 .

*استعملت في العهد الروماني قباب خرسانية على مساقط دائرية.أما في العهد البيزنطي فإستعملت قباب بمساقط دائرية أو مربعة. أما القباب المضلعة بتعريقات و التي تشبه المضلة ، سبق و أن سقفت قاعة أحد الحمامات ـــ jean pierre la construction romaine p 198. و يمكن الرجوع إلى صورة واضحة و مهمة في ص198. لنفس المؤلف .

يمكن الحديث عن قباب العرب قبل الإسلام على أساس معرفتهم لها " من خلال ما شيد للملوك المنادرة في الحيرة و الأمراء الغساسنة في الشام... كانوا يقلدون الفرس و الروم في مظاهر السيادة

والجاه كما أن أشراف قريش حفظوا الآلهة المنزلية في قبة خاصة هي قبة القبيلة " [1] أما على عهد النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ فلم يدرج المسلمون في مساجدهم ومساكنهم عنصر القباب وهو ما حذاه الخلفاء من بعدهم ثم أخذ المسلمون بناء القبة عن الساسانيين و البيزنطيين و الأقباط بأشكالها المتعددة وأحجامها المتنوعة المصنوعة من الطوب[2] فظهرت في قبة الصخرة (72هــ/691-692 م) و اتفق على أنها أول قبة في العالم الإسلامي[3] و التي بناها عبد الملك بن مروان .

إنتشر استعمال القباب بشكل واضح في العهد الأموي حيث أنشأت في جامع دمشق قبة كبيرة[4] كما عرف حمام قصير عمرة بقاعته الساخنة قبه نصف كروية على أربع مثلثات كروية [5] و أكد المعماري المسلم على قدرة إستغلال هذا العنصر في مختلف المباني دون حصرها على نوع واحد و بالتالي أصبحت "عنصرا مميزا لفن العمارة الإسلامية " [6] ولم يعتبرها المسلمون " حلا بيئيا ومناخيا أو إنشائيا بل وأيضا رمزا روحانيا يرمز إلى السماء "[7].

تكاد القبة تلازم أنواعا من المباني الإسلامية ، كالمساجد وبعضا من قاعات الحمامات ، ففي المساجد شغلت خاصة أعلى المحراب و هو الموضع الذي يخالف تسقيفه بقية تسقيف المسجد و ذلك لتميزه بإعتباره مكان جلوس الخلفاء [8] و هي الصورة التي نجدها في مسجد القيروان (216 هــ 836. م) الذي تعد قبتـــه من أقدم القبـــاب الإسلامية في المغرب[9] و أيضـــا في مسجدي سوسة

---

(1).ـ طه الولي ، المرجع السابق ، ص. 276 .

(2) ـ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص .222.

(3)ـ محمد حسين جودي ، المرجع السابق ، ص .75 .

(4)ـ عبد القادر الريحاوي ، المدينة الإسلامية ... ، المرجع السابق ، ص . 134 .

(5)ـ كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص .38 .

(6) ـ طه الولي ، المرجع السابق ، ص . 278 .

(7)ـ يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص .79 .

..* سبق ذكره في عنصر الأضرحة .

(8).ـ صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ، ص . 20 .

(9)ـ أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص . 135 .

(236هــ . 856 م) ومسجد الزيتونة (250هــ. 864 م) حيث استغل تقاطع أسكوب المحراب وبلاطته بطريقة ذكية موفقة لإيجاد المسقط المربع ، في هذا الشأن أكد بوتي أن" القبة عامل رئيسي

يتدخل حتما في تعديل نظام بيت الصلاة وأن قاعدتها المربعة تستوجب تساوي ضلوع هذه القاعدة مع الإحتفاظ بتناسق أقسام هذا البيت "[1] إضافة إلى موضعها هذا وجدت لها مواضعا أخرى في المساجد ، كنهاية البلاطة المطلة على البهو و في طرف الأسكوب الأول لجدار القبلة .

إمتازت أغلب قباب المغرب الإسلامي بالشكل نصف الكروي ولم يكن الإقبال عليها كبيرا كما لم تعرف زخرفة كثيرة على سطحها الخارجي [2] و قد كان الإقبال عليها نتيجة التأثيرات المشرقية أو البيزنطية[3] و انتشرت إلى جنبها القبة المضلعة كالتي بمسجد الجامع الكبير بتلمسان (530هـ . 1153 م) و التي تعتبر من أرقى صور القباب المغربية و أول قبة بتعاريق في المغرب الإسلامي [4] مخرمة باثنتا عشرة ضلعا تتقاطع أضلاعها بتقنية متناهية الدقة تحاكي القباب الأندلسية * و اعتبرت من أروع قباب العالم الإسلامي و أنموذجا أخذت صورته إلى المشرق الإسلامي و الغرب المسيحي بتقنية رائعة تحمل عنصرا جديدا للفن المعماري الإسلامي[5].

إنتشرت القباب في العهد الموحدي و اعتبرت القبة في هذا العصر إحدى روائع فنه كالتي في مسجد تينمل* و هو ما ينطبق على العهد العثماني اذ أضحت القباب من أهم العناصر المعمارية التي أقبل المعماريون على إلحاقها بالمباني الدينية و المدنية على حد سواء و إن اختلفت في حجمها و عددها فيهما و نراها في معالم الأقطار التي حل بها العثمانيون و كان هذا الإقبال الشغوف عليها لتأثرهم في بداية عهدهم بالعمارة البيزنطية التي كانت كنائسها ترفع عليها القباب بمختلف الأحجام [6] من أهمها كنيسة آيا صوفيا بقبتها نصف الكروية [7]. و خصت القباب العثمانية لمرحلتين ، الفاصل

---

(1). أحمد فكري ، المرجع السابق ، ص . 137.

(2). أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص . 344. بتصرف

(3). عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص . 9.

(4)..- Rachid BOUROUIBA .OP.CIT.P.30.

(5) David Ttalbot RICE .OP.CIT.P. 77

* و هي من أقدم القباب المزينة بالمقرنصات و ظهرت القباب المقرنصة في بلاد المغرب في القرن 12 م.عبد الكريم عزوق ، القباب و المآذن ....،ص . 17.

(6). صالح لمعي مصطفى ، القباب في العمارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص . 21.

(7). أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص .134.

بينهما فتح القسطنطينية فقبله صممت القباب بالصورة الإسلامية التقليدية نصف الكروية برقبة مثمنة الإضلاع قليلة الإرتفاع و بعدد قليل من النوافذ أما بعد الفتح ، أصبحب تصمم " كروية الشكل تقل عن نصف كرة و برقبة اسطوانية ــ تميل للشكل المخروطي ــ و زودت بعدد كبير من النوافذ و هي من الداخل غيــر واضحة ... هذا هو الشكــل العام للقباب الكبــرى بعد فتــح القسطنطينية "و ما أكــده ــ أيضا ــ الريحاوي أنه " لا شك أن التكوين المعماري للقبة التركية ... فيه الكثير من الإقتباس من آيا صوفيا[1] " أما أحيانا فكانت تصمم قباب منفردة و أحيانا أخرى تلحق بالقبة المركزية قباب صغيرة أو أنصاف قباب صغيرة هي الأخرى . و هو ما عبرت عنه عمارة استانبول في رواق مسجد سنان ببولاق و جامع السلطان أحمد و مثيلتها في مصر بجامع محمد علي بالقلعة و أعطيت لها أهمية أخرى في عهد محمد علي " حيث أصبحت تغطي مساحــة كبيرة وسط رواق القبلــة من أربع جهات و بها أنصاف قباب " و ظهر عليها تأثرها بقباب آيا صوفيا [2] و يظيف بعض الباحثين رأيا في القبة التركية ، قائلا " حقيقة تعتبر القبة المركزية في عمارة مساجد سنان بأدرنة عنصرا هاما لتكامل دوريها المعماري و الزخرفي و التي أظهرت على أنها العنصر الأساسي في المسجد [3] ورغم ما أوليت القبة من أهمية في اظهار قيمة المبنى و إعطاءه الهيئة الضخمة الفخمة ، هذا لا يعني أنها تنفرد بالإهتمام ، فالمعلم الديني تبرز فيــه أيضا ، عناصرا معمارية أخــرى تؤكد قيمتــه المعمارية و الفنية .

حسب دوكالي و وفق دراسته المقارنة لقباب الجزائر المنتمية للعهد العثماني تصنف القباب إلى نمطين أولهما القبة القائمة على قاعدة دائرية و ثانيهما القبة ذات القاعدة المضلعة مثل قبة مسجد القصبة حيث تبدو قبته المركزية من الخارج بأضلاعها التي تلتقي عند قمة القبة و هي من القباب الثمانية الأضلاع و توجد بها أربع نوافذ ، نافذة لكل ضلعين [4] كما أن جامع الباشا بوهران تمثل فيه قبته المركزية المحاطة بقباب صغيرة[5] .

---

(1)– عبد القادر الريحاوي ، قمم عالمية ، المرجع السابق ، ص .ص . 565.566. بتصرف .

(2)– طه الولي ، المرجع السابق ، ص . 279 .

(3). David Talbo RICE.op.cit.p.184

.(4) Rachid DOKALI op.cit.p .P.P. 56.57

(5)– عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص .11.

طرق الإنتقال في القبة :

نظرا لعدم توافق المسقط الدائري للقبة مع القاعدة المربعة ألزم الأمر تطبيق تقنيات خاصة لرفع القباب وهي تحويل المربع إلى مثمن و ذلك بتغيير تصميم الأركان القائمة الزاوية و جعلها كمرحلة إنتقالية ما بين المربع و المثمن ، هذا الأخير الذي يعتبر الشكل الأنسب لتوضع عليه القبة . و استعملت لذلك حنايا ركنية أو أحيانا مقرنصات* أو مثلثات كروية و التي سيتم تفصيلها فيما يلي .

المثلثات الركنية :

الملثات الركنية)شكل م : 57 ( )شكل م : 58 (أو مثلثات القبة أو سروال القبة [1] نوع من الطاقات الركنية عبارة عن "جزء من كرة لا يتجاوز ربعها ، يتكرر في الزوايا الأربع للمربع الذي تقوم عليه القبة " [2] . يوضع رأسه في الركن و قاعدته مفتوحة إلى الأعلى[3] وهذه الطريقة أصلها فارسي ترجع إلى القرن 3 م[4] أمكن من خلالها تحويل المربع إلى مثمن و منه إلى دائري و " تميزت بهذا العنصر المعماري قباب الكنائس البيزنطية و لعل أول الأبنية الإسلامية التي عرفته هي قصير عمرة و خربة المفجر و حمام الصرخ إلا أنه ما لبث أن غاب هذا العنصر المعماري عن العمارة الإسلامية ".

---

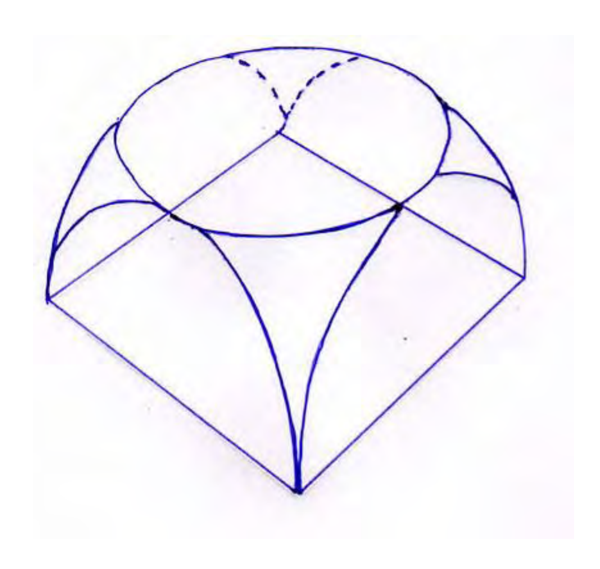
*المقرنصات عنصر معماري وزخرفي وهي إبتكار إسلامي ، يحي وزيري ، موسوعة ...ص . 79 .

(1) ــ عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص 348.عن الريحاوي ، العمارة ... ص ، 118 .274.

(2).ــ نفسه ، ص .348.

(3) – كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص .ص .83.82.81.80.

(4) – عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص .348.

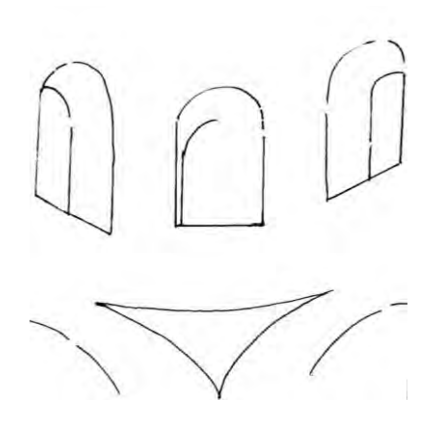


)شكل م :57 (مثلث ركني

و المثلثات الركنية من أكثر عناصر الإنتقال المصممـــة في القباب عامة و في مراكـــز الإنتقال في قباب العمارة العثمانية خاصة[1].

الرقبة :

الرقبة جدار يحمل القبة بمسقط دائري أو بيضاوي أو مضلع و الرقبة مرحلة ــ معماريا ــ تلي تطبيق المثلثات الركنية و هي المجال المناسب لفتح النوافذ للتهوية و الإضاءة أو للإضاءة دون التهوية [2] كما تساهم في رفع مستوى القبة وفق ما منحت من إرتفاع .



)شكل م :58 (تطبيق المثلث الركني في مركز الإنتقال في القبة

.(1)ــ فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 200.

(2) ــ أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص . 343.

الأقبية :

إستعملت الأقبية منذ القدم في المناطق الفقيرة من حيث الخشب و استعمل الآجر في تشكيلها كما في المناطق القريبة من نهر النيل[1] وهي على أنواع عديـــدة من أشهرها الأقبيـــة نصف البرميلية و الأقبية المتقاطعة .

الأقبية نصف الإسطوانية :

تسمى الأقبية نصف الإسطوانية بنصف البرميلية أو الطولية أو المهدية)شكل رقم : 59 (و هي على شكل مهدي مقلوب و على نوعين ؛ نصف اسطواني و نصف اسطواني منكسر* و هذا الأسلوب في التغطية يزيد من إرتفاع السقف . و يرتكز القبو في طرفيه على الجدارين المتقابلين للقاعة الطولية أو الرواق ، الذي عادة ما يميز تسقيفهما .

إن الأقبية نصف الإسطوانية ليست من مستجدات عصور إسلامية و إنما وظفت في العمارة القديمة و يرآه بعض المعماريين على أنه ضيق و ممل في شكله الطولي أعلى الجدران كما أنه لا يسمح بفتح نوافذ و إنهم الإغريق الذين حققوا تعدد العقود من خلال الجدران للتغطية بالأقبية نصف البرميلية في عدد من القاعات و الأروقة كمـــا استعمل في عمـــارة الفراعنة و الرومان و البيزنطيين و كذا الساسانيين ، الذين أخذ عنهم المسلمون إستعماله في عدد من عمائرهم الأولى بقصور بادية الأردن كالأخيضر و الطوبة و المشتى [2] و في المغرب الإسلامي ، نرى إستمرار إنشاء الأقبية في القصور و المساكن العثمانية كالذي في الطريق السفلي لقصر 18 و مخزن دار عزيزة و أيضا في مسجد المصيدة ، حيث تحمله دعامات و أعمدة[3].

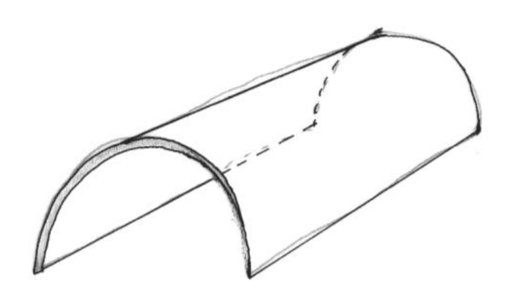
---

(1). Jean pier ADAM , op.cit, p 173.

* ظهر بداية القرن 12م . من ميزاته المعمارية أنه يعطي ارتفاعا أكثر من القبو نصف البرميلي غير المنكسر و له ضغط ضعيف مقارنة بالقبو نصف البرميلي و قد استعمل الرومان الأول و لم يستعملوا الثاني.

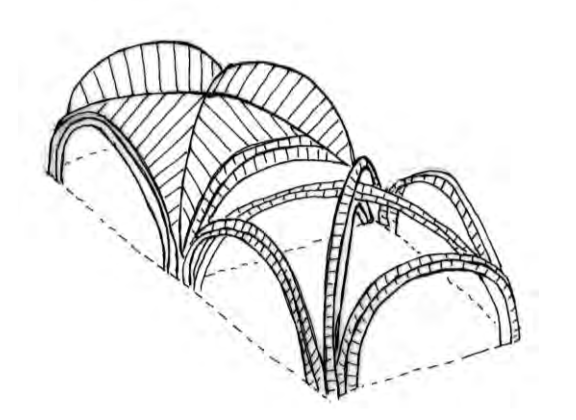
(2) ــ فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص . 197 .

(3) . Rachid DOKALI op.cit.p .P. 43



)شكل :59 (**قبو نصف اسطواني**

الأقبية المتقاطعة :



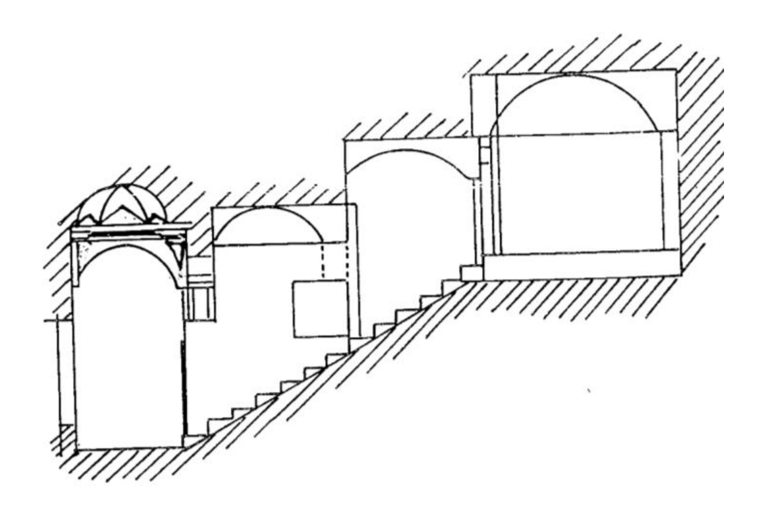
)شكل :60 (قبو متقاطع.

تصمم الأقبية المتقاطعة بتقاطع قبوين نصف برميليين بمسقطين مستطيلين على قاعدة مربعة)شكل : 60(.و إذا كان القبوان بنفس المقاسات ــ 90° ــ نحصل على مربع و ذلك بتطبيق قبوان نصف برميليا مفتاحيهما على نفس الإرتفاع اذ تعد الأقبية المتقاطعة كحل أنسب لمشكل إلتقاء حجمين مقببين .
و نظرا لأنها تحتوي على أربع نقاط إرتكاز فإنها تسمح بتوزيع الثقل نحو تلك النقاط مما يزيد من قدرة تحملها للثقل والضغط في أعلاها.

إن نجاح المعماري في تصميم الأقبية المتقاطعة كان نتيجة درايته بالنسب المعمارية و بتقنيات التقبيب و كذا لمعرفته لكيفية إنتشار و توزيع الضوء و بالتالي منح الفضاء الداخلي أكبر كمية ممكنة من الضوء .

لسلالم :

تعد السلالم في المباني ذات الطوابق عنصـــرا معماريا هاما و أساسيا للإنتقـــال بين الطوابق و الربط بينها . و هي إذ لم تحظى بالدراسة و الإهتمام الكافيين الذي حضيت به بقية العناصر المعمارية إلا أنها من العناصر التي لا يمكن للمعماري أن يستغني عنها في مثل هذه المباني و أولاها إتقانا خاصا و صلابة بحيث وضع للسلم موضعا خاصا فلازم ركن المسكن و هو أنسب موضع لشكله و تصميمه ، بحيث ينفتح على طرف الرواق بالطابق الأعلى . و تحتوي السلالم على إنكسارات قائمة الزوايا أو منحرفة)شركم :61(و لغرض إضاءتها فتحت في جدرانها الجانبية كوات [1] أو نوافذ تجمع بين غرضي التهوية و الإضاءة .



)شركم :61(ذ ظمم ن غمم . ع ه محمذان طيب عقاب

---

(1). محمد الطيب عقاب ، قصور ...، المرجع السابق ، ص . 180 .

الفصل الرابع

مواد البناء و طرق الإنشاء

أولا : مواد البناء .

ثانيا : طرق الإنشاء .

أولا : مواد البناء :

الحجر :

الحجر هو تلك القطع الصخرية التي تجمع بين الصلابة و القساوة و هو على أنواع تختلف في طبيعتها من منطقة جغرافية إلى أخرى* ، يعثر عليه في طبقات الأرض على شاكلتين على عمق نوعا ما كبير أو في الهواء الطلق في قمم الجبال على شكل كتل صخرية [1]. و نظرا لأنه يستخرج من المحاجر بشكل كتل صخرية ساذجة غير مناسبة الهيئة و الحجم للإستغلال الإنشائي كان من اللازم تفكيكها و تهذيبها و تهيئتها بالصقل .

تدخّل الحجر بشكل كبير في التشكيل المعماري في العصر البدائي و هو العنصر البنائي الرئيسي في عدد من المناطق الجغرافية ، تثبت ذلك أحجار الميقاليت التي يعتبر الحجر مادتها الأولى و النهائية بهيئته الساذجة و التي منها نماذجا في الشرق الجزائري بقسنطينة على جبال مازيلا [2] و تفوّق المصريون القدامى إلى حد بعيد في استعمال الحجـــر* و نالوا شرف الأسبقية الأسبقية **

---

*. و عن أهم و أشهر أنواعها يمكن الرجوع إلى :

Quatremere DE QUINCY , Encyclopédie , architecture, tome 1, pomckouche , Paris.1788 . p.p 115. 118

(1)–. Quatremere DE QUINCY, op .cit..p.p. 115 , 118

(2)– paul Albert FEVRIER .OP.CIT. P. 10.

* إستعمل الحجر بناء الأهرامات إلا أن الطين كان أسبق منه في الإستعمال .

*جمعت العمارة الإغريقية في بناءها بين استعمال الحجر و الرخام و الآجر ، إلا أن الكثيرمن الأبنية الآجرية زال.

في ذلك إستعمال الحجر المنحوت [1] و هو ما انطبق أيضا على العمارة الرومانية التي إستعملت فيها الحجارة المصقولة بكل عناية و دقة [2] كما إستعمل بكثرة في العمارة الإغريقية و ظل المعمار ينظر إلى الحجر على أنه تلك المادة التي تحمل خاصيتي الصلابة و المقاومة و الوصل الجيد للحرارة و عزل الرطوبة [3] و ظل متمسكا بتوظيف هذا العنصر بما يلائم متطلباته الدينية و المدنية بجهد لازم تشكيله و لم يستغن عنه و لم يضعه جانبا لدراية البنائين الكافية بضرورة إنجاز عمارة ثابتة بفكرة الدوام و هو سر مكوث العمارة الإغريقية حتى اليوم [4] و استعمله الفرس لوفرته مقارنة بالمواد الأخرى[5] كما عرف لدى المسحيين ــ القوط ــ و استطاعوا أن يحققوا بالحجر فكرة الإتجاه نحو السماء و أنشؤوا قبابا ، و ساعدهم في ذلك العصب الذي إقتبسوه عن العرب لخفته [6].

رغم إكتشاف مواد بناء أخرى استمر استعمال الحجر بشكل مواز لتلك المواد و يشير علي خلاصي إلى وفرة المقالع في الجزائر و كانت تتطلب أيادي عاملة إضافة إلى تكاليف نقلها إلى المدن حيث مواضع البناء و كانت أعمال استخراجه و تهذيبه تتم أيضا في الجزائر[7] .

الآجر :

الآجر مادة بنائية بلون ضارب إلى الحمرة ، يتكون من تربة متحجرة و يتم تشكيله في قوالب من خشب بالطهي ــ الشيّ ــ مما يعطي له المقاومة الضرورية للبناء[8].

---

(1) ــ عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص .19.

(2) ــ نفسه ، ص .96.

(3) ــ نفسه ، ص . 75 .

(4) ــ عربية موساوي، المرجع السابق ، ص. 195.

(5) ــ عبد الرحيم سالم ، دراسات... ، المرجع السابق ، ص . 24.

(6) ــ نفسه ، ص .41.

(7) ــ علي خلاصي ، قصبة الجزائر ، القلعة و قصر الداي ، شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة ، الجزائر ، 1985.ص . 328.

(8) ــ محمد الطيب عقاب ، قصور... ، المرجع السابق ، ص. 153.

يتميز الآجر بخصائص هامة ، فهو أكثر مسامية من الحجر مما يتيح له القدرة على جذب الجبس و بالتالي إعطاء نتيجة إيجابية في التصاقه بين القطع الآجرية كما أنه لا يتأكسد أثناء الحرق لذا فهو يستعمل خاصة في بناء المداخن و فضل في أغلب الأحيان على الحجر و وفّق كبار المعماريون القدامى في إستعماله و تشهد على ذلك آثار روما ببناءاتها القديمة التي تمكنت من الحفاظ على كيانها بفضل الآجر[1] كما استعمـل في العمـارة القديمـة لآسيا بكيفيتين ؛ مجففـا في الشمس و مطهيا في الفرن ممزوجا بالقش أو القصب المرحي [2] كما قامت العمارة الفارسية على مادة الآجر رغم وفرة الحجر [3] بخلاف مناطق أخرى إستعمل فيها الآجر كمادة مكملة للحجر أو كمادة أساسية لندرة الحجر أو لرداءة نوعه في تلك المناطق [4] كما كان الآجر مادة بنائية مميّزة في منشآت العصر العباسي بحيث إستعمل بدلا عن الحجر[5].

الخشب :

الخشب مادة تستخرج من الشجر [6] يتكون من ألياف طولية و متماسكة إلى بعضها البعض تجعل منه مادة غير سهلة الكسر و بالمقابل سهل العمـل عليه [7] و كل نوع من الشجر يتمتع بميزة خاصة ، مما جعـل الصناع يفضلون نوعا من الشجـر على غيره كأشجار البلوط التي تمتاز بالقـوة و المتانة[8] إضافة إلى أشجار العرعر و شجر الطقسوس و شجر السرو [9] و يخضع هذا الإختيار لدراية الإنسان بطبيعة تكوين نسيـج الخشب مـن حيث قوته و متانتـه[10] فالخشب "مقاوم و صلب

---

(1) – Quatremere DE QUINCY, op .cit.p.320.
(2) – IBID ,p.317
(3) – عفيف بهنسي ، المرجع السابق ، ص . 65.
(4) – Quatremere DE QUINCY, op .cit .p .317.
(5) – عبد القادر الريحاوي ، العمارة... ، المرجع السابق ، ص . 94.
(6) – Quatremere DE QUINCY, op .cit.p .289.
(7) – IBID.p.291
(8) IBID.p.290

(9) – علي خلاصي ، المرجع السابق ، ص . 330.
(10) Quatremere DE QUINCY, op .cit.p .293.

و قوي بالنسبة إلى وزنه و خفيف بالنسبة إلى حجمه " [1] وتتعدد أوجه إستعماله بحيث يمكن " وضعه إما واقفا أو بالجنب أو مائلا " [2] و هو سهل النقل و كغيره من المواد البنائية فإن الإستفادة منه تكون بعد تسويته و تعديل أوجهه و إعطاءه الأشكال و الأحجام المطلوبة للإستفادة منه و ذلك بمعالجتها بالنجارة و الخشب إلا أن من مساوئه سرعة إحتراقه و امتصاصه للماء مما يعرضه للتلف .

إقتصر تسقيف المباني في العصر الإسلامي المبكر على الأسقف المستوية و اعتمد في ذلك على مادة الخشب و ادخلت معه مواد أخرى كالطوب و اللبن ، كما في مسجدي البصرة و الكوفة و مسجد عمــر ابن العاص في مصــر [3] و تعتبر قبة الصخرة من أروع النماذج المعمارية الخشبية و التي كسي وجهييها الداخلي بالقاشاني بينما سطحها الخارجي فإستعمل فيه النحاس و الرصاص[4].

يجمع الخشب بين و ظيفتين هامتين متكاملتين ، تتمثل إحداهما في العمل البنائي و الثانية في العمل الزخرفي ، كما ينال إهتماما و رعاية فنية بحيث يجهز ليكون من جملة المواد الأساسية في البناء في مختلف مجالا ت العمارة كعمل الأسقف والحوامل و الأبواب و النوافذ و الأثاث بمختلف أنواعه و استخداماته . و تركز الدراسات التي مست الصناعات الخشبية البنائية على صناعة الأبواب و لم تلمس صناعة الأسقف بالدقة و التوسيع . و يعترف لبراعة الفنان المسلم في الصناعة الخشبية من حيث إمكانية إستخدام القطع الصغيرة و تقطيعها و شطف حوافها ثم تجميعها بأشكال هندسية مختلفة و تعد الأطباق النجمية إبتكارا هاما في هذا المجال[5] ، و لازم هذا الإبــداع الصناعي إبداعا زخرفيا

---

(1) ــ توفيق أحمد عبد الجواد ، معجم العمارة و إنشاء المباني ، مصر ، ص . 155.

(2) – Quatremere DE QUINCY, op .cit 291.

(3) ــ صالح لمعي مصطفى ، المرجع السابق ، ص . 19.

* البصرة 14 .635 الكوفة 17. 638 عمر 21. 641.

(4) ــ عبد الرحيم سالم ، المرجع السابق ، ص .57.

(5) ــ يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص . 39.

يمنح جمالا أخّاذا بحيث لم تترك المنتجات الخشبية من دون إدخال أعمال فنية زخرفية عليها كـــأن تطعّم بالصدف و العـــاج أو النحاس و يعد " تكفيت الأبواب بالذهب أو الفضة أو البرونز" [1] أو تخريمها بأشكال نباتية و هندسية و كتابية [2] من أروع الأعمال الفنية الإسلامية " حتى إرتبط تطور و ازدهار فنون المسلمين في إبداع الأبواب إلى حد كبير بتطوير يمنـــح جمالا أخّاذا بحيث لم تتـــرك فن الزخرفة و الحفر على الخشب " [3] كما " تميّز نوع الخشب المستعمل في صناعة الأبواب بإستعمال الساج و الجوز المطعم " [4].

الملاط :

الملاط أو المونة من المواد التي تسهم في ربط المواد البنائية كالحجر و الآجر و هو يتركب من مواد مختلفة كالطين المشوي و الجير و مواد عضوية أو من الجير و الحصى و الجبـــس . و في كل حالة يضاف إليه الماء و يعمل منـــه خليط على شكـــل عجينة ليوضع بين قطع الحجر أو الآجر و يسهم في تماسكهما إلى بعضهـــا البعض و تعـــد سرعـــة تصلبه و قـــوة تحمله للضغط ؛ خاصيتين تساعدان على الربط الجيد و إن تحمله للضغط ناتج من المواد التي تدخل في تركيبه ، لذا كان من الضروري خلط مواده بنسب صحيحة من جير ، رمل و ماء .

و رغم كـــون الملاط رابطا أساسيا لتثبيت البنـــاء لم يستعمله الرومـــان في معالمهم الأولى و استبدل عندهم بالفواصل المعدنية ذات الغرض نفسه . و استعمله المصريون القدامى و كان يحتوى على الجير و الجبس.

---

(1) ــ يحي وزيري ، المرجع السابق ، ص . 39.

(2) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص. 23.

(3) ــ جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص .318.

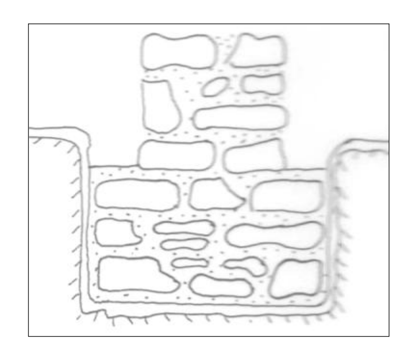
(4) ــ عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص. 23 . بتصرف.

ثانيا : طرق الإنشاء :

قد تتشابه طرق الإنشاء و قد تختلف من عصر إلى آخر و من تقنية إلى أخرى و ذلك حسب نوع المواد المتوفرة ، سواء كانت حجرا، آجرا ، خشبا أو معدنا و التي يستفيد منها البنّاء بعد تحويلها و معالجتها و من ثم صياغتها في أشكال و أحجام لخدمة الإعمار [1].و هو ما يعني هنا أثر البيئة في الإنشاء . إضافة إلى هذه المواد يعتبر الماء من العناصر الضرورية و الهامة التي تتدخل في البناء ، و حتى لا يكون عائق توفره بنيت المدن الإسلامية في المناطق غير البعيدة عن مصادر جلبه .و إن لإختيار نوع المواد التي تتدخل في البناء و كذا المزج بينها بنسب صحيحة ، عوامل تعطي البناء صلابة و متانة .

بناء الأساسات :

أول ما يشرع به في البناء هو الأساسات ؛ التي تكون أكثر سمكا من الجدران و هي" إلى عمق يتراوح ما بين 1 م – 1.5 م بالنسبة لأرضية ذات طبقة مائية قريبة من السطح و تصل أو تتجاوز 0.70 م في أرضية جافة " [2] . و تنجز الأساسات تبعا للأرضية ، بحيث يتباين ذلك بين الأراضي المستوية و التي تكون أساساتها مستوية (شكل : 62) و بين الأراضي المنحدرة التي يتبع الأساس شكلها أيضا ، أما في المواقع الصخرية فتحفر الأساسات في الصخر[3].



(شكل : 62) تشكيل الأساس ــ عن : أوليفيي ــ

- (1)

DAVIDE TALBOT RICE ..op.cit. P 9.

(2) ــ عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، دراسة أثرية معمارية و فنية ،رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999.

كما تملأ الأساسات بأحجار كبيرة و غير مهذبة بحيث تغمر بالملاط لتتماسك و تكون كأرضية صلبة تمهّد للبناء الصلب . و لا يتشابه نوعي الحجر المستعملين في بناء الأساسات و الجدران ففي الحالة الأولى يستعمل الدبش الصلب أما في الجدران فيستعمل الدبش اللين[1].

تقنيات بناء الجدران :

أمكن من خلال أخذ عيّنات من جدارين ؛ إحداهما لدار عزيزة (صورة : 145) و الثانية لدار عابد (صورة :147) من التعرف على نوع المواد المستعملة في بناء الدارين ــ و تعذر ذلك في بقية المنشآت ــ بحيث لوحظ في فيهما تداخل القطع الآجرية بالقطع الحجرية ــ الدبشات ــ المختلفة الأشكال و الأحجام تلحمهم طبقة كثيفة من الملاط مما يعطي البناء صلابة و قوة ، خاصة و قد إستعملت في الطبقة السفلى للجدران و في كلا الدارين .



(صورة : 145) جزء ــ عينة ــ من جدار بدار عزيزة

Emil OLIVIER .Tecnologie de methode de construction , les maçonneries , tome 3 , 4 edition .p.P 42. - (1)



(صورة : 147) جزء ــ عينة ــ من جدار بدار عابد

من بين الطرق التي إستعملت في بناء الجدران هي الطابية و التي يستعمل فيها قالب يتناسب عرضه مع سمك الحائط المطلوب لنوع البناء * و تحدد له مقاسات متناسبة " بين السمك و الطول و الإرتفاع و يعطى لذلك مثلا : إذا كان طول القالب يتراوح مابين 1.80م و4 م فإنه سيكون له إرتفاع متناسق" (1)، كما تستعمل أحيانا حبالا لتوجيه الحائط و تسويته .

إن الحجارة المستعملة في الجدران تتطلب أعمالا لتحضيرها ، بحيث يختار منها المهذبة و هي التي تخصص لبناء الزوايا خاصة و يشترط هنا أن تكون الدبشات على مستوى واحد (2). كما تتم تسويتها و ملأ الفراغات بينها بملاط سميك و قطع من الدبش .

---

* هناك إختلاف بين سمك جدران المساكن و الحمامات ، ففي الحالة الثانية يكون السمك أكبر مراعاة لحفظ درجة حرارتها .

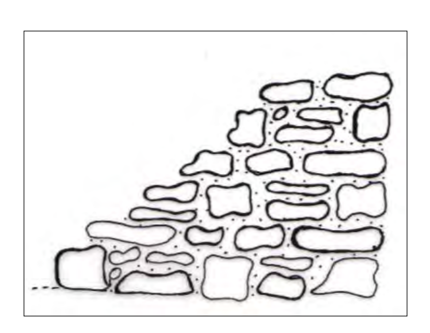
(1) ــ عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ... ، المرجع السابق ، ص . 657.

(2) ــ Emil OLIVIER .,op.cit .p.P 39.

أما في حالة البناء بالآجر، فإنه يتم بمداميك منتظمة ، إما بطريقة طولية أو عرضية أو الطريقتين معا[1].

إن ما توصل إليه الأستاذ عبد العزيز لعرج في إستعمال مواد البناء في العصر المريني هو " المزج بين مادتي الطابية و الآجر ، حيث نظم الآجر على شكل مدماكين ، داخلي و خارجي ، بسمك معين يصل الى 0.60 م ، و ملأ ما بينهما بالطابية و قد اشتركت معهما حجارة الدبش " [2] و قد أصبحت هذه الطريقة ذات أهمية معمارية و هي التي " سوف تلعب دورا كبيرا في المنشآت الجزائرية في العهد العثماني " [3].

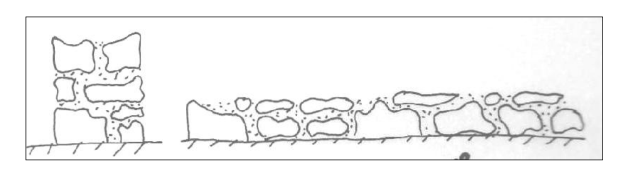
إن تمام البناء ما هو إلا نتيجة وضع صفوف المادة البنائية (الأشكال : 68.67.66.65.64.63) بشكل أفقي و التي تلحم فيما بينها بالملاط بسمك معين . و تتكرر العملية إلى أن يصعد بالبناء و يجعل منه كتلة واحدة و ما الأشكال إلا حتمية للعلاقة بين التكنولوجيا ــ ان صح التعبير ــ و الوظيفة [4].



(شكل :63) تقنية التدرج في بناء جدار . عن : أوليفيي

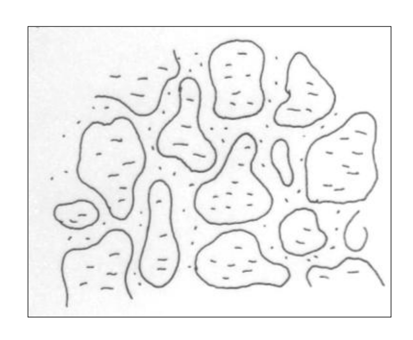
---

(1) ــ عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ... ، المرجع السابق ، ص . 657.
(2) ــ نفسه ، ص . 664. بتصرف .
(3) ــ نفسه ، ص . 664.
(4) ــ عبد الرحيم سالم ، دراسات ... ، المرجع السابق ، ص . 24.

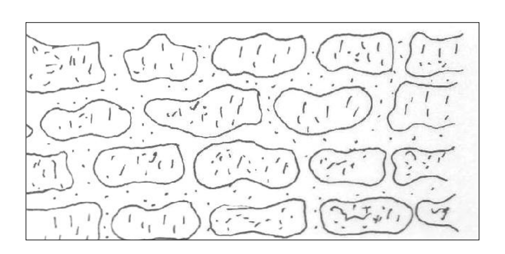


ـ ب ـ   ـ أ ـ

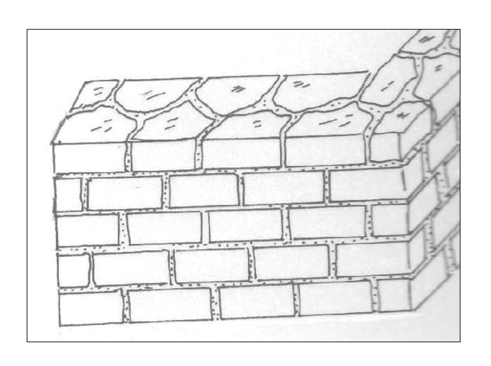
(شكل :64) أ : منظر مواجه للجدار . ب : منظر جانبي للجدار .



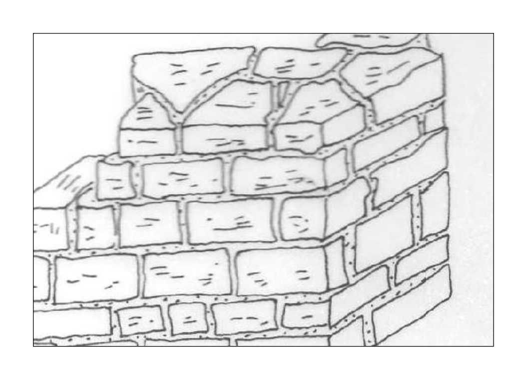
(شكل :65) البناء بالدبش الصلب .عن : فريدراتي عن بريقو .



(شكل :66) البناء بالدبش المنحوت . عن : فريدراتي عن بريقو .



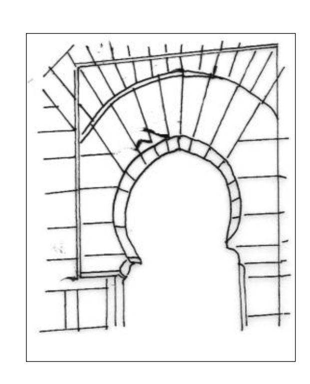
(شكل :67) البناء بالدبش المنظم الموحد .
عن : أوليفيي .



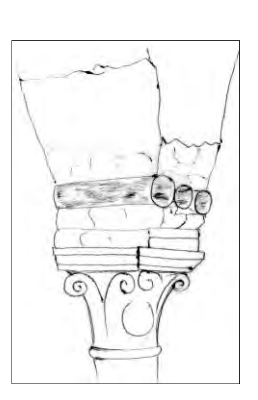
(شكل :68) البناء بالدبش االمنظم غير الموحد
عن : أوليفيي .

تقنية بناء العقود :

يخضع تماسك العقد و متانته إلى نوع المادة البنائية و يختار لذلك عادة الآجر لخفته و متانته و يستعمل لذلك قالبا خشبيا تصفف فوقه القطع الآجرية (شكل:69) بحيث تكون عند أسفل العقد مستوية و تميل تدريجيا إلى غاية مفتاح العقد ، حيث " يترك فراغا مثلثا قاعدته مقوسة إلى الأعلى و رأسه إلى الأسفل "[1] . و في حالات أدخلت ألواح ــ حلقات ــ خشبية في بناء العقود و ذلك لغرض حفظ المبنى من التصدعات و الهزات (شكل : 70) و هو ما استعمل في قصور مدينة الجزائر[2] .



(شكل :69) تقنية بناء عقد متجاوز منكسر.
ــ عن : ريكار ــ





(شكل :70) تقنية دمج الحلقات الخشبية في بناء العقد



ــ عن : سكينة ميسوم .

---

(1) ــ عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ... ، المرجع السابق ، ص . 657.
(2) ــ انظر: سكينة ميسوم ، المرجع السابق . ص 238. 239 .

تقنيات بناء عناصر التسقيف :

تتنوع طرق التسقيف في المنشآت المعمارية ، بين الأقبية الإسطوانية و المتقاطعة و القباب و تتشابه تقنيات بناء هذه العناصر في بعض منها ، بحيث تستعمل في الأقبية الإسطوانية قوالبا خشبية كما أمكن الإستغناء عنها . و استعملت الطريقة الأولى عند الساسانيين و استمرت إلى العمارة الإسلامية المشرقية و المغربية [1]. و يتم فيها تركيب المداميك بشكل أفقي عند نقاط إرتكاز القبو ليأخذ في الميل و الإنحناء الى أن يتم تشكيل قوس القبو الإسطواني .

و تماثل تقنية بناء القبو المتقاطع تلك في القبو الأسطواني من حيث تركيب المداميك عند نقط الإرتكاز إلا أن درجة الميل هنا تختلف بحسب سعة القبو أو ضيقه و من ثم تلتقي المداميك عند قمة القبو . أما في حالة بناء القباب فيتم ترتيب المداميك وفق حلقات متتالية [2] تبرز العليا عن السفلى و تلحم بملاط لتتماسك مشكلة بذلك بدنا مقعرا ، يؤكد قدرة تحكم المعماري في مختلف التقنيات البنائية و ذلك عبر العصور المتتالية .

---

(1) ــ عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ... ، المرجع السابق ، ص . 668.

(2) ــ نفسه ، ص . 669 .

الخاتمة :

بقدر نقاء ماء الشرب ... إذا قدمناه في كوب نقي إزددنا شغفا لشربه ، كذا بتقديمنا للمعالم الأثرية بمدينة البليدة في قالب علمي إزددنا حرصا على الدعوة الى حفظها و تصنيفها . فالمدينة تجمع في وجهها الحضاري صورا للتنوع المعماري الذي شهدته المدن الإسلامية الأخرى ، حيث و جدنا بها معالما عبرت بحق عن حيوية المدينة و نشاطها الإجتماعي و هي ذات أهمية كبيرة في تكويـــن نسيجها العمراني ؛ مـــن مساجد ، مساكـــن و حمامات ، صيغت بتخطيطات تطابقت مع تخطيط معالم الفترة العثمانية ، التي مثلتها مدينة الجزائر كعاصمة سياسية ، ركّز فيها العثمانيون مختلف نشاطاتهم و التي كانت حصيلة جهاد لسادة بحر و بر في بلد مثل الجزائر .

إن مسجد إبن سعدون و المسجد الحنفي التركي مثلا خصائص الفن المسجدي ، المتمثلة في بيت الصلاة كعنصر أساسي في المسجد و ملحقاته المكملة لدوره ، كالمحراب و المئذنة و الميضأة. كما أن دار عزيزة و دار عابد ، عبّرتا أيضا عن ميزات مشتركة في التصميم ، منها الصحن الأوسط الذي تحيطه الغرف و الأروقة و المرافق كالمطبخ و الحمام .و يجمع أيضا كل من حمام سيدي عبد الله و حمام بوعلام بن شريفة باش آغا في خصائصهما تماثلا من حيث الدور و توزيع عناصر البناء بهما .

و عليه ، فقد ظهرت تلك المنشآت بميزات خاصة ، حملت خصائص الفن المعماري الإسلامي الذي رأيناه و تتبعنا أنواعه من عمارة المساجد القائمة و الدور الآهلة و الحمامات التي تقدم خدماتها ؛ حافظت كلها على الإرث الفني المعماري الإسلامي ، فنّا تجاوب مع قيم إجتماعية و معطيات جغرافية و مادية لإقليم مدينة البليدة و لمسنا أن للفن المعماري الإسلامي وحدته ، التي تأثرت بها معالم مدينة البليدة ، هذه الأخيرة التي استحقت تسميتها مدينة الورود ، إن لم نقل عنها الآن مدينة التراث الثقافي ، العلمي و الأثري .

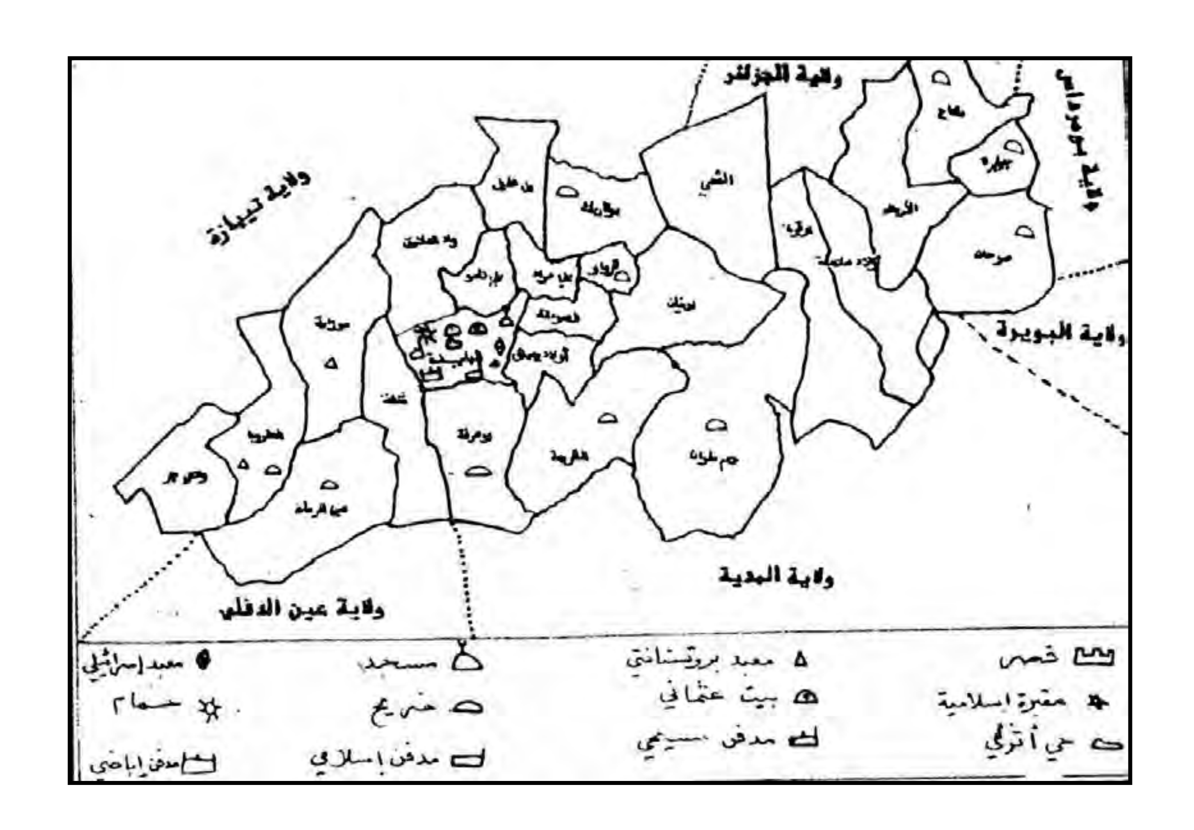
ملحق

ـ خريطة المواقع الأثرية بولاية البليدة .

ـ وثيقة من دليل المعالم الأثرية بولاية البليدة .

ـ قائمة جرد المعالم الأثرية بولاية البلدية .

ـ إرسال خاص بالتصنيف .



خريطة المواقع الأثرية لولاية البليدة
- عن مديرية الثقافة للبليدة -

دليل المعالم و المواقع الأثرية لولاية البليدة

اهم الأضرحة	الأحياء العتيقة والبيوت	الحمامات	معالم أخرى
سيدي الكبير	حي الجون	III	/
سيدي عبدالقادر	حي الدويرات		
سيدي يعقوب	دار شرشالي/عابد		
سيدي الحربي			لوحات زيتية
بابا سليمان			
يما حليمة			
/	/		بقايا رومانية
بلدية الشريعة	/	/	/
سيدي أحمد			
سيدي ابراهيم			
سيدي ع القادر	/	/	/

قصر عزيزة بني تامو

(شكل : 1) وثيقة دليل المعالم و المواقع الأثرية لولاية البليدة عن مديرية الثقافة من — لولاية البليدة —

République Algérienne Démocratique et Populaire

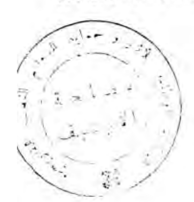
MINISTERE DE LA CULTURE
ET DE LA COMMUNICATION

Agence Nationale d'Archéologie
et de Protection des Sites
et Monuments Historiques

وزارة الثقافة والإتصال

الة الوطنية للآثار وحماية
المعالم التاريخية

الفرع الأثري لولاية البليدة
المكتبة الشعبية البلدية لمدينة البليدة
ساحة عبان رمضان ، رقن 10
البليدة



قائمة جرد المعالم و المواقع
التاريخية لولاية البليدة

إسم الأثر	المسجد التركي الحنفي : بني في العهد التركي بفترة زمنية قصيرة بينه و بين المسجد بن سعدون .
طبيعة الأثر	مسجد جامع
الدائرة	دائرة البليدة
البلدية	بلدية البليدة
طبيعة الملكية	ترجع ملكيته و تسييره إلى نظارة الشؤون الدينية لولاية البليدة
حالة الحفظ و الصيانة .	المسجد التركي الحنفي (المعروف بالحنفي) مبنى هذا الأخير هو في حاجة إلى ترميمات معمارية و دراسة تقنية للحفاظ على الطابع المعماري الأصلي
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	تم إقتراحه من طرف اللجنة الولائية لتصنيف المعالم و المواقع التاريخية
الملاحظة	الإهتمام و المحافظة على هذا المعلم التاريخي العثماني الإسلامي

(شكل : 2) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	مقصورة االمسجد الجامع الحنفي
طبيعة الأثر	مبنى تابع و مقابل للمسجد التركي الحنفي ، و يتشكل من غرفة مستطيلة الشكل و هي عبارة عن مخزن يحفظ فيه أدوات الدفن لأهل المدينة المسلمين
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	وزارة الشؤون الدينة ، نظارة الشؤون الدينية مصلحة الوقف و الشعائر الدينية
حالة الحفظ و الصيانة	المعلم محفوظ و غير متضرر
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	المقصورة غير مصنفة
الملاحظة	المعلم الأثري مقصورة جامع المسجد التركي الحنفي هي عبارة عن رمز يشكل طريقة دفن المسلمين

(شكل : 3) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	ضريح سيدي أحمد الكبير
طبيعة الأثر	قبة تشكل ضريح سيدي أحمد الكبير يرجع تاريخه إلى الفترة الإسلامية 1540 م
الدائرة	البليدة
البلدية	بوعرفة
طبيعة الملكية	أهل المدينة (البليدة)
حالة الحفظ و الصيانة	محفوظ
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنف
الملاحظة	لا شيء

(شكل : 4) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	بني المسجد الجامع بن سعدون بن محمد بن بابا علي في أواخر القرن التاسع و بداية القرن العاشر الهجريين و هو إحدى الجوامع الكبرى للمدينة العتيقة
طبيعة الأثر	مسجد جامع
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	ترجع ملكيته و تسييره إلى نظارة الشؤون الدينية لولاية البليدة
حالة الحفظ و الصيانة	مبنى المسجد الجامع بن سعدون يحتاج إلى بعض الترميمات و الصيانة
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	تم إقتراحه من طرف اللجنة الولائية لتصنيف المعالم و المواقع التاريخية و هو في طريق التصنيف
الملاحظة	لا تقل أهميته على مسجد التركي و الوجه المختلف للمسجد المذكور أنه كان به المذهب المالكي و المأذنة المربعة الشكل يجب إدخالها في القائمة الوطنية للمعالم الأثرية

(شكل : 5) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	المعبد الإسرائيلي
طبيعة الأثر	معبد إسرائيلي
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	منظمة يهودية
حالة الحفظ و الصيانة	المعلم في حالة خراب
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنف
الملاحظة	المعلم الأثري يحتاج إلى ترميمات إستعجالية حيث حالته في خراب و ما بقي منه إلى الباب الرئيسي و الجدران

(شكل : 6) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	المدفن الإباضي
طبيعة الأثر	المقبرة الإباضية العتيقة
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	المنظمة الإباضية لمدينة البليدة
حالة الحفظ و الصيانة	الموقع الأثري محفوظ و مسيج
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	الموقع الأثري الإباضي غير مصنف ضمن القائمة الوطنية للمعالم و المواقع التاريخية
الملاحظة	لا شـيـئ

(شكل : 7) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

إسم الأثر	المدافن المسيحية (المقبرة المسيحية)
طبيعة الأثر	مقبرة مسيحية لمدينة البليدة
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	وزارة الشؤون الدينية ، نظارة الشؤون الدينية
حالة الحفظ و الصيانة	الموقع الأثري محفوظ و محروس
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	الموقع الأثري المسيحي غير مصنف ضمن القائمة الوطنية للمعالم و المواقع التاريخية
الملاحظة	لا شـيـئ

(شكل : 8) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

إسم الأثر	الحممات (الخواص)
طبيعة الأثر	الحمامات الخواص و عددها 14 يرجع تاريخها غلى الفترة التركية
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	ملكية للخواص
حالة الحفظ و الصيانة	معظمها مستغلة و محفوظة
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنفة
الملاحظة	تحتاج البعض منها للدراسة و التصنيف نظرا لأهميتها التاريخية و المعمارية

(شكل : 9) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

إسم الأثر	بيوت تركية بوسط المدينة
طبيعة الأثر	مجموعة من بيوت تركية إسلامية متواجدة في وسط مدينة البليدة العتيقة
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	معظم هذه البيوت هي ملكية خاصة للخواص
حالة الحفظ و الصيانة	البعض منها يحتاج إلى بعض الترميمات
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنفة
الملاحظة	هي محور للدراسة و المحافظة على طابعها المعماري الأصلي

(شكل : 10) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

إسم الأثر	ضريح سيدي يعقوب الشريف
طبيعة الأثر	قبة سيدي يعقوب الشريف
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	بلدية البليدة
حالة الحفظ و الصيانة	محفوظ و مسيج
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنف
الملاحظة	لا شـيء

(شكل : 10) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

إسم الأثر	حمام بن شريفة باشا آغا
طبيعة الأثر	حمام يعود إلى الفترة التركية و قدر تاريخ بنائه إلى سنة 1825 م
الدائرة	البليدة
البلدية	البليدة
طبيعة الملكية	ملكية خاصة
حالة الحفظ و الصيانة	غير محفوظ و مهدد بالتهديم
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنف ، و اقترح للتصنيف على اللجنة الوطنية لتصنيف المعالم و المواقع التاريخية
الملاحظة	المعلم الأثري مهدد بالتهديم

(شكل : 10) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

بلدية بوعرفة

إسم الأثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي أحمد العربي	يقع ببلدية بوعرفة	
سيدي فوضيل	//	
سيدي المخفي	//	
سيدي عبد الرحمان	//	
سيدي علي الشريف	//	
سيدي الشريف الرابطي	//	

بدلية الشريعة

إسم الأثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي عبد القادر	الشريعة	محطة الإرسال التلفزيوني توقفت منذ حوالي 10 سنوات
سيدي أحمد	قرية كراش	
سيدي إبراهيم	قرقور كراش (الشريعة)	
سيدي بومهدي	ريوساف الشريعة توقفت منذ 25 سنة	
سيدي عبد الله	قرية كراش	
سيدي منصور	ترقة (الشريعة) توقفت منذ 25 سنة	
سيدي العربي	طريق القصطل	
بابا سليمان	بني علي توقفت منذ 15 سنة	
يما حليمة	الجبهة الشرقية	

(شكل : 11) قائمة المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

بلدية الجبابرة

إسم الاثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي علي خوجة	دوار القهاليز	

بلدية حمام لوان

إسم الاثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي بلقاسم الشريف 1400	المرابطين	
سيدي عثمان 1600	في زوكاصة	
سيدي خلدون 1600	الصباغنية	
سيدي أحمد 1600	سيدي سرحان	

(شكل : 12) قائمة المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

بلدية شفة

إسم الاثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي البختي	طريق البرج	
سيدي يحيى	مركز الشهداء	
سيدي زغيمي	القطاع الجبلي لجنوب البليدة	
سيدي المدني القديم	طريق المدية	
سيدي الحاج	جبل أهل الواد	
سيدي بودومة	جبل وسفوف	

عين الرمانة

إسم الاثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي رابح	جهة نحاوة	
سيدي براهيم	عين الرمانة	
سيدي بن علي	سيدي قيرة	
سيدي عمور	برج الأمير عبد القادر	
سيدي عبد القادر الجيلالي		
سيدي براهيم الحاج		
سيدي يخلف	عين الرمانة	

(شكل : 13) قائمة المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

العفرون

إسم الاثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي زغيمي	نهج بن عودة علي	
سيدي عبد القادر	حي بوغرون	
سيدي النويحي	شارع حمودة أحمد	
سيدي خليفة	حي بن مويمون	
سيدي سالم	//	
سيدي بوشاشية	//	
الأربعين والي	شارع القدس	
سيدي المخفي	شارع قبيلي عبد القادر	
سيدي عيسى	بني جماعة	
سيدي أحمد	أولاد حميدان	
سيدي الجيلالي	حي بني مويمن	

بوفاريك

إسم الاثر	موقع الأثر	ملاحظات
سيدي عبد القادر	بوفاريك	

(شكل : 14) قائمة المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	بلدية العفرون
طبيعة الأثر	بعض اللوحات الزيتية المتواجدة بمقر البلدية يرجع تاريخها إلى الفترة الفرنسية
الدائرة	العفرون
البلدية	العفرون
طبيعة الملكية	تحتاج هذه اللوحات الزيتية الفنية ذات قيمة تاريخية معتبرة إلى عناية و صيانة من طرف السلطات المحلية
حالة الحفظ و الصيانة	غير محفوظة
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	غير مصنفة
الملاحظة	عدم وجود متحف على مستوى التراب الولائي لولاية البليدة فهي محفوظة بمقر البلدي لبلدية العفرون و تحتاج إلى عناية كبيرة نظرا لأهميتها الفنية و التاريخية حيث تعبر على مشاهد سكان المنطقة في تلك الفترة الزمنية و كانت هذه اللوحات عبارة عن هدية تبرع بها صاحبها إلى الحاكم البلدي المستعمر في ذلك الوقت

(شكل : 15) قائمة جرد اضافية لأهم المواقع الأثرية لولاية البليدة
ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ



إسم الأثر	الكنيسة المسيحية
طبيعة الأثر	الكنيسة المسيحية العتيقة (محكمة العفرون سابقا)
الدائرة	العفرون
البلدية	العفرون
طبيعة الملكية	وزارة الشؤون الدينية
حالة الحفظ و الصيانة	المعلم الأثري يحتاج إلى المحافظة عليه و إخلاء بعض السكان منه
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	المعلم الأثري المسيحي غير مصنف
الملاحظة	المعلم الأثري يحتاج إلى عناية من طرف السلطات المحلية و إخلاء السكان الغير الشرعيين منه

(شكل : 16) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	موزاية المناجم
طبيعة الأثر	بقايا أثرية رومانية بيزنطية
الدائرة	موزاية
البلدية	موزاية
طبيعة الملكية	بلدية موزاية
حالة الحفظ و الصيانة	الموقع الأثري محفوظ و غير مسيج و غير محروس و يحتاج إلى عناية كاملة
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	المعلم الأثري غير مصنف ضمن القائمة الوطنية للمعالم و المواقع الأثرية
الملاحظة	تحديد المعلم و تسيجه و حراسته من العوامل الإنسانية و محافظة على البقايا الأثرية

(شكل : 17) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة
ـــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ـــ

إسم الأثر	كنيسة مسيحية
طبيعة الأثر	كنيسة مسيحية يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي (تحولت إلى مسجد)
الدائرة	موزاية
البلدية	موزاية
طبيعة الملكية	وزارة الشؤون الدينية ، نظارة الشؤون الدينية
حالة الحفظ و الصيانة	الموقع الأثري محفوظ و مستغل من طرف وزارة الشؤون الدينية
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	المعلم الأثري غير مصنف
الملاحظة	نسجل من هذا المعلم الأثري إلا بعض البقايا من الكنيسة المسيحية و نلاحظ بعض التعديلات في المبنى

(شكل : 18) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

إسم الأثر	موقع أثري لبقايا أثرية من المعسكر الروماني
طبيعة الأثر	بقايا أثرية من الموقع الأثري من المعسكر الروماني
الدائرة	موزاية
البلدية	موزاية
طبيعة الملكية	بلدية موزاية
حالة الحفظ و الصيانة	الموقع غير محفوظ و غير مسيج
بالنسبة للمعالم المصنفة و تاريخ التصنيف	الموقع الأثري لبقايا من المعسكر الروماني غير مصنف
الملاحظة	يتطلب هذا الموقع إلى تسييجه و المحافظة عليه و على البقايا الأثرية المتواجدة فيه

(شكل : 19) قائمة جرد المعالم و المواقع التاريخية لولاية البليدة

ــ عن : الوكالة الوطنية للآثار و حماية المعالم التاريخية .ــ

الجمهوريـه الجزائريـه الديمقراطيـه الشعبيـه

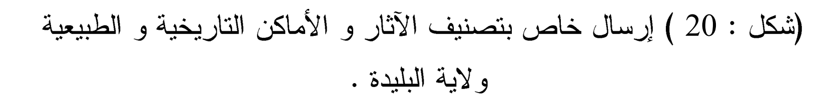
ولايـة البليـدة
الأمانـة العـامة
مصلحة التنسيق و النظيم
0623/أ.ع/م.ت.ت/99

23 مايو 1999

والـي ولايـة البليـدة
إلـى
السادة : مدير التنظيم و الشؤون العامة للولايـة.
مدير الثقـافة للـولايـة.
مدير التعميـر و البنـاء للولايـة.
مدير المنـاجم و الصنـاعة للولايـة.
مدير أمـلاك الدولـة للولايـة.
مدير المجـاهديـن للولايـة
مدير السكن و التجهيزات العمومية للولايـة.
مدير التربيـة للولايـة.
مدير الأشغـال العموميـة للولايـة.
محـافـظ الغـابـات للـولايـة.
رئيس مفتشية السياحة و الصناعة التقليدية للولاية.
نـاظـر الشـؤون الدينيـة للولايـة.
محـافـظ البيئـة للولايـة.
رئيـس المجلـس الشعبـي لبلديـة البليـدة
تحـت إشـراف السيـد رئيـس دائـرة البليـدة.
مديـر فـرع الوكـالة الوطنيـة للآثـار.
رئيس الجمعية الولائية للتراث و التنشيط الثقافـي.

الموضـوع: محضر إجتماع اللجنة الولائية لتصنيف الإثار و الأماكن التاريخية و الطبيعيـة.
المرجـع : واحدة (01).

يشرفني أن أوافيكم ، للإطـلاع و التنفيـذ ، كـل فيمـا يخصـه ، بمحضـر إجتمـاع اللجنـة الولائية لتصنيف الاثار و الأماكن التاريخية و الطبيعية ، المنعقد بتاريخ : 18 ماي 1999 بمقر الولاية – الأمانة العامـة –.



(شكل : 20) إرسال خاص بتصنيف الآثار و الأماكن التاريخية و الطبيعية ولاية البليدة .

5/1

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية البليدة
الأمانة العامة
مصلحة التنسيق و النظيم

محضر إجتماع

في عام ألف و تسعمائة و تسعة و تسعون و في اليوم السابع عشر من شهر ماي و بمقر الولاية - الأمانة العامة - إنعقد إجتماعا للجنة الولائية المكلف بتصنيف الآثار و الأماكن التاريخية و الطبيعية تحت إشراف السيد : محمد بوسماحة - الأمين العام للولاية ، بحضور السادة أعضاء اللجنة الآتي ذكرهم:

- سعداوي بوساعد : مدير أملاك الدولة للولاية.
- بوعبشة فريد : مدير التعمير و البناء للولاية.
- أونار سليم : محافظ البيئة للولاية.
- حمادى مدني : رئيس مفتشية السياحة و الصناعة التقليدية للولاية.
- بوطاوس عبد القادر : محافظ الغابات للولاية.
- بغدادي صالح الدين : مدير المناجم و الصناعة للولاية.
- هاشمي إبراهيم : مدير الري للولاية.
- بنجودي مصطفى : مدير الثقافة للولاية.
- مهيادوى عبد الحميد : رئيس مكتب بمديرية التعمير و البناء للولاية.
- ساحد رضا : رئيس مصلحة بمديرية التعمير و البناء للولاية.
- لمناجلية عبد الغاني : مكلف بمصلحة بنظارة الشؤون الدينية للولاية.
- عيسو بلقاسم : رئيس مصلحة الأملاك ببلدية البليدة.
- عثمان نور الدين : رئيس مصلحة بمديرية المجاهدين للولاية.
- كويسي نعيمة : رئيسة مكتب الدرسات بمديرية الأشغال العمومية للولاية
- ـباح أحمد : رئيس جمعية الولائية لحماية التراث و التنشيط الثقافي.
- بونصايري نصر الدين : مدير الفرع الأثري للوكالة الوطنية للآثار
- جليد مولود : رئيس مصلحة بمديرية التربية للولاية.
- بن عودة عبد الباقي : رئيس مكتب بمديرية الثقافة للولاية.

** **جدول الأعمال** : - **تصنيف مسجدي (إبن سعدون) و (الحنفي التركي) بالبليدة.**
- **تصنيف حمام (بن شريفة باشا بوعلام) بالبليدة.**

بعد إفتتاح الجلسة و الترحيب كالعادة بالسادة الحاضرين ، ذكر السيد الأمين العام بأن هذا الإجتماع يندرج ضمن سلسلة الإجتماعات و اللقاءات التي تعقدها اللجنة الولائية لتصنيف الآثار و الأماكن التاريخية من أجل دراسة ملف إقتراح تصنيف المعالم السالفة الذكر .إثر ذلك ، نوه بموضوع جدول الأعمال و ذكر بالنقاط التي تضمنتها قرارت اللجنة خلال إجتماعها السابق بتاريخ : 05 أفريل 1999 و الذي يندرج في نفس السياق.

.../...

5/2

أحيلت الكلمة بعد ذلك للسيد : مدير التعمير و البناء للولاية لتقديم تقريره حول نشاط لجنة العمل المصغرة التي أحدثت تحت رئاسته و بمشاركة كل من مديرية الثقافة ، محافظة البيئة، مديرية الرّي ، مديرية أملاك الدولة ، بلدية البليدة ، مفتشية السياحة و الصناعات التقليدية ، نظارة الشؤون الدينية و محافظة الغابات ، حيث أن هذه اللجنة قامت حسب تقرير السيد مدير التعمير و البناء باجراء عدة زيارات ميدانية للمعاينة و الاستقصاء لوضع هذه المعالم الأثرية المراد تصنيفها و **هي : مسجد ابن سعدون و مسجد الحنفي البتركي** ، و **حمام بن شريفة باشاغا** بوعلام ، الكائنين ببلدية البليـــدة.

و في إطار المهمة التي أسندت لها ، حددت اللجنة المساحات الاصلية المبينة لهذه المعالم الأثرية في المرة الأولى مع كل لواحقها ، كما أجرت بحوثا حول المصادر التاريخية و الأرشيفية على مستوى المركز الوطني للأرشيف و الوكالة الوطنية لمسح الأراضي بالجزائر العاصمة و كذا جامعة البليـــدة.

أشار السيد المدير أيضا بأنه تم تعيين مكتب دراسات للقيام بوصف و تحديد الوضعية الجديدة للبنايات المعنية بالأمر ، كما تضمن تقريره أيضا المعلومات الاتي ذكرها.

1) - بخصوص تصنيف مسجد إبن سعدون :

رغم إنعدام المصادر التاريخية و الدرسات الكافية إلا أن اللجنة سجلت هذين المسجدين (إبن سعدون و الحنفي) كمعالم أثرية بعد الاتصال بجامعة البليدة و الوكالة الوطنية لمسح الاراضي و المركز الوطني للأرشيف.

و حسب المصادر المتوفرة و المعلومات المستقاة من الأرشيف ، فان هذا المسجد بني في أواخر القرن التاسع و بداية القرن العاشر الهجريين ، و هو احدى الجوامع الكبرى بالمدينة العتيقة ، و هو يحمل اسم صاحبه الذي بناه مع مجموعة من الدكاكين (حبوس) لتسديد حاجيات المعبـد.

لقد تعرض المسجد للزلزال سنة 1825 و قام " حسان باشا " داي الجزائر بترميمه سنة 1827 ، كما أعيد بناء السقف و السطح في العهد الإستعماري الفرنسي.

يحتل مسجد ابن سعدون حيزا مستطيلا ، و تحيط به أربع شوارع يوجد بداخل احداها الدكاكين ، و له ثلاثة مداخل و تبلغ مساحته المبنية المقترحة للتصنيف :258،9 م² و هو يقع بين شارع الإخوة شويط من الجهة الجنوبية و شارع 17 جوان (الكراغلة) من الجهة الغربية ، و شارع بن كالي من الجهة الشرقية ، و هو تابع لمصلحة الوقف و الشعائر الدينية بنظارة الشؤون الدينية ، باعتباره ملك وقـــف.

.../...

2) - بخصوص تصنيف مسجد الحنفي (التركي) :

يقع هذا المسجد بين شارع العيشي عبد الله من الناحية الجنوبية و شارع شويط من الناحية الشمالية ، بني هذا المسجد سنة 1750 أيام الحكم العثماني بالجزائر ، و تعرض للزلزال و رمم بتاريخ 1827 من طرف داي الجزائر " حسان باشا " ، و في سنة 1930 صدر قرار ادماجه في أملاك الدولة من طرف الحاكم العام الفرنسي و تبلغ مساحة المسجد المقترحة للتصنيف : 317،40 م².

بعد ذلك قام السيد مدير أملاك الدولة بتوضيح بعض الجوانب المتعلقة بطبيعة الملكية للمسجدين و كذا بعض اللواحق المتواجدة بها التي سجل بها بعض الاشكال خلال جلسات اللجنة الولائية في إجتماعاتها السابقة.

في هذا السياق أكد السيد المدير بأن هذين المسجدين يعتبران حسب الوثائق المتوفرة أملاك وقفية و يوجد قرار وزاري مؤرخ في 1841 يدمج هذه المساجد في أملاك الدولة.

و من هذا المنطلق فلا يحق لأي كان أي يدعي حق الملكية عليها أو حق الانتفاع و الإستغلال لانها خاضعة لحماية الدولة.

أما بخصوص المحلات الموجودة بمسجد إبن سعدون (04 محلات) منها (02) مشغولين بطريقة قانونية و (02) الآخرين مستغلين بصفة عشوائية فقدم التوضيحات التالية:
أولا : السكن المشغول من طرف ورثة (قارة) بغير وجه قانوني ، هذه القضية مطروحة أمام العدالة ، و تم تعيين خبير لهذا الغرض ، كما اقترح استبدال هذا المحل المشغول بمحل آخر بناءا على تقرير الخبير.
ثانيا : المحل المشغول من طرف الاسكافي بصفة غير قانونية ، هذه القضية أيضا مطروحة أمام العدالة ، و تعرف نفس الوضع السابق.

فتح بعد ذلك نقاش عام مع جميع الأعضاء الحاضرين لتسليط الضوء على الجوانب القانونية و التنظيمية لهذه القضية ، حيث أكدوا جميعا على امكانية اقتراح هذين المسجدين للتصنيف بالاجماع.

3) - بخصوص تصنيف حمام بن شريفة باشاغا بوعلام بالبليدة:

قدم السيد : مدير التعمير و البناء ، أيضا ، تقريرا عن هذا المعلم الأثري (حمام) الذي تمّ شراؤه و بيعه لمالك جديد ،الذي تجرى الاتصالات بينه و بين البلدية من أجل شراء هذا الحمام مع العلم أنه موضوع تحت حماية الدولة بموجب قرار ولائي تحت رقم 83 و مؤرخ في 1999/02/16.

.../...

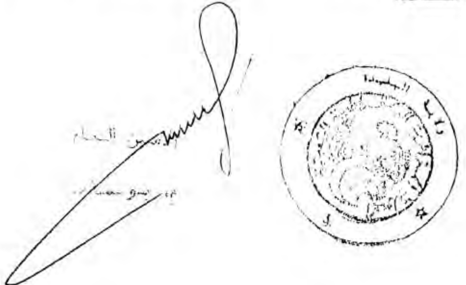
انّ هذا الحمام مملوك لصاحبه السيد : بشير بوعلام الملياني ،و قد بني حسب الشهادات المقدمة سنة 1825 ، و يتمتع بقيمة معمارية و أثرية هامـــة في تاريخ المنطقة.

و هو حسب مناقشة أعضاء اللجنة للموضوع ، لا يطـرح إشكالا قانونيـا فـي تصنيـــفه بل أنّ اللجنـــة حثت البلديـــة على القيـــام بالإجـراءات اللازمة لشرائه على مالكه الحالي و إتباع الطرق و الصيغ القانونية لذلك.بعد رفـع الالتباسـات القانونيـة التـي كـانت مطروحـة فـي السابـــق و المناقشة المستفيضة حول هذا الموضوع قررت اللجنة مايلـــي:

*** القــرارت المتخـــذة:**

- اقتراح تصنيف مسجد إبن سعدون بالبليدة.
- اقتراح تصنيف مسجد الحنفي (التركي) بالبليدة.
- اقتراح تصنيف حمام بن شريفة باشاغا بوعلام بالبليدة.
- وضع هذه المعالم الأثرية تحت حماية الدولة و تقديم ملفاتهـا علـى سـبيل الإقـتراح إلـى اللجنـه الوطنية لتصنيف الآثار و المعالم التاريخية و الطبيعية من أجل تصنيفها.
- القيام بايداع معارضـة ثالثة باسم الولايـة (مصلـح المنازعـات) و مديريـة أمـلاك الدولـة للولايـة علاوة على نظارة الشؤون الدينية و هذا لدى الجهـــات القضائيـــة المختصة ، بخصوص استغلال المحلين المشغولين بصفة غير قانونية بمسجد إبـن سـعدون (المسـكن و محـل الاسـكافي) و العمـل على إخلائهما بالطرق القانونية الممكنة.

بعد استفاذ النقاط المدرجة بجدول الأعمال ، شكر السيد الأميـن العـام للولايـة أعضاء اللجنة ، و رفع الجلسة على الساعة الثانية عشر زوالا مـن نفـس اليـوم و الشـهر و السـنة المذكورين أعـــلاه.



5/5

قائمة المصادر و المراجع :

1 ــ المصادر :

القرآن الكريم .

الحديث النبوي الشريف : ــ صحيح مسلم بشرح النووي ، الجزء السابع ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1929.

ــ إبن بطوطة ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2001 .

ــ إبن جبير ، رحلة ابن جبير ، تقديم سليم بابا عمر ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1988 .

ــ إبن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، في أيام االعرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، بيروت .

ــ إبن عبد الحكم ،عبد الرحمان بن عبد الله ، فتوح افريقية و الأندلس ، حققه و قدم له عبد أنيس الطاع ، بيروت ، 1987 .

ــ إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 2004.

ــ البكري أبو عبيد عبد الله ابن عبد العزيز ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، بغداد.

ــ البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر، فتوح البلدان ، وضح حواشيه عبد القادر محمد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000.

ــ بفايفر سيمون ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال ، ترجمة و تعريب و تقديم ، أبو العيد دودو ، الجزائر ،1998.

ــ خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تقديم و تعريب و تحقيق ، محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2005 .

ــ ياقوت بن عبد الله الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان .

2 ــ المراجع :

ــ الألفي أبو صالح ، الفن الإسلامي .
ــ الأنصاري رؤوف ، عمارة المساجد ، دار النبوغ ، بيروت ، 1996 .
ــ الباشا حسن ــ الفنون القديمة في بلاد الرافدين، مكتبة الدار العربية للكتاب مصر ، الطبعة الأولى ،2000.
ــ المدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، 1979 .
ــ بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الثانية عشر ، 1993.
ــ بهنسي عفيف ، العمارة عبر العصور، الطبعة الأولى، دار طلاس ، 1983.
ــ بورويبة رشيد و آخرون ، الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي ، الجزء الثالث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
ــ بوعزيز يحي ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري ، 1830. 1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995.
ــ جبار آسيا ، مدن الجزائر في القرن التاسع عشر، ANEP، الجزائر ، 2005.
ــ الجنحاني الحبيب ، القيروان عبر العصور،ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ، الدار التونسية ، 1968 .
ــ جودي محمد حسين ، العمارة العربية الإسلامية ، خصوصيتها، ابتكاراتها ، جماليتها ، الطبعة الأولى ، عمان ، 1998 .
ــ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، العصر العباسي الثاني في المشرق و مصر و المغرب و الأندلس ، ج 4 ، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثالثة عشر ، القاهرة ، 1991.
ــ حليمي عبد القادر ، مدينة الجزائر ، نشأتها و تطورها قبل 1830 ، الطبعة الاولى ، 1972.
ــ حيدر فاروق عباس ، تشيد المباني، الطبعة الأولى ، الإسكندرية،1986.
ــ رفعت موسى محمد ، الوكالات و البيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية .

ــ الريحاوي عبد القادر ــ العمارة في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مركز النشر العلمي ، جدة ، 1990.
ــ قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري و الفني، ج2 ، دمشق ، 2000 .
ــ مدينة دمشق ، تراثها و معالمها الأثرية،دمشق ، 1969.
ــ ريمون أندريه ، العواصم العربية ، عمارتها و عمرانها في الفترة العثمانية ، تعريب قاسم طوير .
ــ زبادية عبد القادر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،
ــ الزحيلي وهبة ، الفقه الإسلامي و أدلته ، دار الفكر ، الجزائر، 1991 م.
ــ زغلول سعد عبد الحميد ، العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، المعارف ، الإسكندرية ، 1986.
ــ سالم عبد الرحيم ، دراسات في الشكل و التطور المعماري ، الطبعة الأولى ، الأردن ، 1993.
ــ سالم عبد العزيز ــ المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها و تطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .
ــ تاريخ العرب في عصر الجاهلية ،مؤسسة شباب الجامعة،الإشعاع ، الإسكندرية.
ــ بحوث إسلامية في التاريخ و الحضارة و الآثار ، القسم الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1992.
ــ تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثاني ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993 .
ــ سامح كمال الدين ، العمارة في صدر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1991.
ــ سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1996.
ــ سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 .
ــ السليماني أحمد ، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة ، دار القصبة للنشر .
ــ شافعي فريد ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، 1970 .
ــ شنيتي محمد البشير ، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني ، بحث في منظوكمة التحكم العسكري ، الليمس الموريطاني ، و مقاومة المور ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجزائرية .

ــ صفر أحمد ، مدنية المغرب العربي في التاريخ القديم ، عشرون قرنا من تاريخ إفريقية ، من عصور ماقبل التاريخ الى آخر العهد البيزنطي ، ج1، بوسلامة ، تونس ، 1959 .

ــ الصفصافي احمد المرسي ، استانبول عبق التاريخ ، روعة الحضارة ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ،1991.

ــ عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الأول ، مكتبة الحياة ، بيروت .

ــ عبد الستار عثمان ، المدينة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، دار الآفاق العربية ، 1999 .

ــ عبد الملك بن حبيب ، أدب النساء .

ــ عبده عبد الله كامل موسى ، الأمويون و آثارهم المعمارية في الشام و العراق و الحجاز و اليمن و مصر و إفريقية ، الطبعة الأولى ، 2003.

ــ عزوق عبد الكريم ، القباب و المآذن في العمارة الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1996.

ــ العسلي بسام ، خير الدين بربروس ، و الجهاد في البحر ، دار النفائس ، الطبعةالثالثة ، بيروت ، 1986 .

ــ عقاب محمد الطيب ــ قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة ،2000.

ــ لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر ، 1990 .

ــ غانم محمد الصغير ، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري ، فترة فجر التاريخ ، دار هومة ، الجزائر ، 2006 .

ــ فكري أحمد ، مساجد القاهرة و مدارسها ، العصر الفاطمي ، الجزء الأول ، دار المعارف ، مصر ، 1965 .

ــ الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2003.

ــ كونل أرنست ، الفن الإسلامي .1980.

ــ لحسن رابح ، أضرحة الملوك النوميديين و المور، دار هومة.2004 .

ــ لعرج عبد العزيز محمود ، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ، لبنان

ــ لقبال موسى ، تاريخ المغرب الإسلامي ، دار هومة .

ــ لمعي صالح ــ التراث المعماري الإسلامي في مصر ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية ،

بيروت ، 1984 .
ــ القباب في العمارة الإسلامية ، دار البهجة العربية ، بيروت.

ــ عمارة الحضارات القديمة المصرية،وما بين النهرين، اليونانية الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت ، 1979 .
ــ لومبيز إيلي ، تطور العمارة الإسلامية في اسبانيا و البرتغال و شمال إفريقيا ، دار آسبا ، بيروت ، 1985 .
ــ ماهر سعاد ، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، مصر ، 1971 .
ــ مؤنس حسين ــ المساجد.
ــ المحامي فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقي ، الطبعة الاولى ، دار النفائس ، 1981.
ــ مرزوق عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني .
ــ تاريخ المغرب و حضارته ، من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، بيروت 1992.
ــ المظفر العميد طاهر ، تخطيط المدن .
ــ الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب .
ــ نخلة منى يوسف ، علم الآثار في الوطن العربي ، جروس برس ، لبنان .
ــ نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، منذ أقدم عصورها الى انتهاء العهد العثماني ، الطبعة الثانية ، الجزائر ، 1962 م .
ــ نويصر حسني محمد ، الآثار الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1998 .
ــ الولي طه ، المساجد في الإسلام .

الموسوعات و المعاجم :

ــ الباشا حسن ، موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، 1999 .
ــ الشهابي قتيبة ، معجم دمشق التاريخ ، للأماكن و الأحياء و المنشئات و مواقعها و تاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين ،ج1 ، دمشق 1999.
ــ رزق عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، 2000 .

ـــ عبد الجواد توفيق أحمد ، معجم العمارة و انشاء المباني ، مصر .
ـــ عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، عربي ، فرنسي ، انجليزي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1988.

ـــ قاجة جمعة أحمد ، موسوعة فن العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، لبنان ، 2000 .
323
ـــ وزيري يحي ، موسوعة عناصر العناصر الاسلامية ن الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي ،1999 .

دائرة المعارف :

ـــ يفر ، البليدة ، دائرة المعارف ، يصدرها بالعربية أحمد الشناوي و آخرون .

الملتقيات و المؤتمرات و الحوليات :

ـــ أوجيل سمرة ، أعمال المؤتمر العام الثالث للدراسات العثمانية حول الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، الجزء الأول و الثاني ، منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و المورسكية و التوثيق و المعلومات . 1990 .
ـــ عقاب محمد الطيب ، المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر ، المؤتمر29 محرم- صفر 1403هـــ ، 15- 18 نوفمبر – تشرين الثاني ، 1982 .
ـــ كنتور رابح ، الوقف و آثاره، دراسة تاريخية للوقف في منطقة البليدة 1791-1873 ، الحولية 3- 4 ، جامعة الجزائر.
ـــ لعرج عبد العزيز محمود ـــ العمران الإسلامي و عمارته السكنية ، حولية المؤرخ، مجلة دورية يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائرية – العدد 3-4 ،2003 .
ـــ صورة المسكن المغربي الإسلامي في العصرين المريني و الزياني من خلال النصوص التاريخية و الشواهد الأثرية ، دراسات في آثار الوطن العربي ، الملتقى الرابع للآثاريين العرب الندوة العالمية الثالثة، القاهرة ، 2001 .

الرسائل الجامعية :

ـــ خلاصي علي ، قصبة الجزائر ، القلعة و قصر الداي ، شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة ، 1985.
ـــ لعرج عبد العزيز محمود ، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، دراسة أثرية معمارية و فنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1999.
ـــ مهيرس مبروك ، المساجد العثمانية بوهران و معسكر– 1401–1402 ، الدراسات المعمقة ، 1981. 1982.
ـــ موساوي عربية ، الحمامات الجزائرية، رسالة ماجستير، علم الآثار، جامعة الجزائر1980.1981 .

المجلات :

ـــ البليدة ، خمسة قرون من الحضور ، آفاق واعدة ، المجلس الشعبي لبلدية البليدة ، القرطبية للإعلام و الإشهار ، 2003.
ـــ مرآة متيجة ، مجلة إعلامية ، فصلية ، ولاية البليدة ، العدد 1، 1986
ـــ مونوغرافية البليدة ، العدد الثالث ، 1988 .

وثائق أخرى :

ـــ دليل المعالم الأثرية لمدينة البليدة .
ـــ قائمة جرد المعالم و المواقع الأثرية لولاية البليدة .
ـــ ملف تصنيف المعالم الأثرية لولاية البليدة .عن: الوكالة الوطنية لحماية المعالم و النصب التاريخية

المراجع بالفرنسية :

- BALOUT ,L. Algérie préhistorique, Paris.
- BERQUE ,A.. l'Algérie terre d'art et d'histoire, Alger, 1937.
- BOUROUIBA,R., les Hammadits, entreprise nationale du livre, Alger- 1984.
- BOUROUIBA,R. Apports de l'Algerie a l'architecture religieuse arabo-islamique, office des publications. Alger,1986.
- BOUROUIBA,R. l'Art Musulman en Algerie, s n e d, Alger, 1972.
- DIEHL, CH. l'Afrique Byzantine.
- DOKALI,R. les Mosqués de la période turque à Alger, 1984.
- FEVRIER,P, A . l'Art de l'Algerie Antique.
- GAID, M.L'Algerie sous les turcs 2eme édition-Alger-1991
- GOLVIN,L . Palais et demeures d'Alger a la periode ottomane , inas , Alger , 2003.
- GOLVIN,L . Palais et demeures de Tunis, 18-19, cnra, Paris, 1983.
- GOLVIN,L . le Maghreb central à l'époque Zirides, recherche d'archeologie et d'histoire arts et métiers graphiques, paris 1957.
-GRABAR. le Monde de l'islam, l'histoire et la culture musulmane de Mohamed à nosjours, Paris.
- HOAG , J, D. Architecture islamique, gallimard, electa, 1991.
- KADDACH,M., l'Algérie des Algériens, de la préhistoire à 1954, EDIF.2000
- KLEIN, H. Feilles.

- LYES , F, et d'autre. Guide, Blida, Cherea et leurs environs, Blida, 1948.
- MARCAIS, G. les Monuments arabes de Tlemcen-Paris-1930.
- MARCAIS, G. l'Algérie médiévale, monuments et paysage historiques, Paris, 1957.
- MARCAIS, G. l'Architecture musulmane d'occident, Paris, 1955.
- MARCAIS G. Manunuel d'art musulman, Paris, 1926.
- MISSOUME,S. Alger à l'époque ottomane, la médina et la maison traditionnelle, inas, Alger, 2003.
- MOHEN,P. le Monde des mégalithes Castermau, Portugal
- MONNACHE ,M. Alger et ses environs, 4 plans, 2 cartes, 14 gravures, librairie hachette, Paris 1927.
- OLIVIER .Technologie.
-PAPADOPOULO .l'Islam et l'art-musulman-editions citadettes et mazenod, 1976.

- PAUTY ,E. les Hammams du cair
- REVAULTS ,J. Palais et demeures de Tunis, 18-19, cnra, Parais, 1983.
-. SADEK MESSIKH, M . El-Djazaïr , La mémoire, Edition Raïs- B. Encyclopedie de l'islam, Paris.
- SAIADOUNE, N. l'AlgerieRural à la fin de l'époque ottomane, 1791-1830 . Dar el gharb el islami
- STERLIN, H. Architecture de l'Islam de l'atlantique au gange, office du livre, 1979.
- TALBOT VICE , D. l'Art de l'islam
- TERASSE , Ch . Histoire de l'art, depuis les origines jusque nosjours, époque préhistoire-antique-art chrétien-art bysan-art musulman, Paris, 1953.
- TERASSE, H.l'Art hispano-mauresque des origines aux 14 ciecles .
-TRUMELET . Blida , récites selon la légende la tradition et l'histoire , Alger , 1887 .

الموسوعات باللغة الفرنسية :

- DE Quincy, Q. Encyclopedie metodique ,architecture , pomckoucke , paris ,1788.
- DOUTE , E. Menarets, Revue africaine, 1899.
- LEWIS B , LEWIS et d'autres . Encyclopedie de l'islam , paris

الفهرس

الفصل الثاني : المساجد و الأضرحة .

الفصل الثالث : الدور و مساكن الأحياء .

الفصل الرابع : الحمامات .

الفصل الخامس : العناصر المعمارية .

الفصل السادس : مواد و تقنيات الإنشاء .

تم بعون الله و الحمد لله